الفيصل

مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 31 DECEMBER 1979.

العدد (٣١) ـ محرم ١٤٠٠ هـ/ديسمبر ١٩٧٩ م (السنة الثالثة)



صفحة مفقودة

بسم الله الرحمن الرحيم

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية

رئيس التحرير
علوي طه الصافي

العدد (٣١) محرم ١٤٠٠ هـ ديسمبر ١٩٧٩ م

هذا العدد



★ ظهرت دار الكتب الوطنية في تونس للوجود سنة ١٨٨٥ م، تحت اسم المكتبة الفرنسية، وكانت مجرد مكتبة بحث تضم بعض الوثائق المتعلقة بتاريخ فرنسا. لكنها اليوم تطورت وأصبحت مرجعاً للباحثين والدارسين. طالع ص (١٣٢) ★



★ الاستماع للوهلة الأولى لعمل موسيقي غير مألوف يتيح نوعاً من المتعة التلقائية نحصل عليها ببساطة كلما اجتاحتنا موجات الصوت التي توقظ فينا تجاوباً حسياً. وإذا ما أعدنا الاستماع استيقظت فينا أنواع لا حصر لها من التداعيات وبدأ الذهن في البحث عن وقائع البناء الموسيقي. ص (١١٠) ★



★ الإنسان من أرقى الكائنات التي تعيش على وجه الأرض، له لغة تعتمد على الألفاظ والأصوات. أما الحيوان فله لغته الخاصة. ترى ما هذه اللغة؟ الإجابة (ص ٩١) ★

من كتاب هذا العدد
من كتاب هذا العدد
من كتاب هذا العدد



د. محمود محمد حسن

● من مواليد السودان .

● دكتوراه في الطب – جامعة الخرطوم .

● عمل أخصائياً لطب الأطفال ، ورئيساً لقسم الأطفال بمستشفى الخرطوم .

● منح شهادة زمالة كلية الأطباء الملكية – ادنبره ، وزمالة كلية الأطباء الملكية – جلاسجو .

● عضو اللجنة العلمية الاستشارية للأمومة والطفولة بمنظمة الصحة العالمية ، وعضو المجلس الطبي للبحوث .

● عمل كبير أخصائي طب الأطفال لوزارة الصحة السودانية .

● كما عمل مديراً لمشروع أبحاث النزلات المعوية في السودان .

● له بعض الكتب المطبوعة .

● له مجموعة من الأبحاث الطبية والمقالات في أمراض الأطفال .



د. منير سلطان

● من مواليد مدينة الإسكندرية عام ١٩٣٧م .

● دكتوراه في النقد والبلاغة – قسم اللغة العربية – جامعة القاهرة .

● من مؤلفاته المطبوعة « ابن سلام وطبقات الشعراء » ، « إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة » . وله مؤلفان تحت الطبع .

● يعمل حالياً مدرساً للدراسات البلاغية في كليتي البنات والتربية – جامعة عين شمس – وآداب طنطا .



محمد علي قدس

● من مواليد مكة المكرمة عام ١٣٦٧ هـ .

● تلقى علومه المتوسطة والثانوية في جدة .

● دبلوم المراقبة الجوية بمعهد الطيران المدني .

● دبلوم (الجدارة الصحفية) ، جامعة الملك عبد العزيز بجدة .

● عمل في الصحافة – عضو بنادي جدة الأدبي .

● صدر له كتاب « ومضات في الفكر والأدب » ، ومجموعة قصصية بعنوان « نقطة الضعف » .

● له تحت الطبع كتاب عن الفن الصحفي السعودي ، ومجموعة قصص قصيرة أخرى .



ريمون يوسف الكك

● من مواليد ١٩٤٨م ، (لبنان) .

● الإجازة التعليمية (ليسانس تعليمية) في التاريخ – الجامعة اللبنانية – بيروت .

● الدبلوم العام (دراسات عليا) في التاريخ – جامعة القديس يوسف – بيروت .

● مدرس التاريخ في الانترناشونال كولدج – بيروت منذ ١٩٦٩م .

● من مؤلفاته الماثلة للطبع : «لبنان : من العصر العباسي حتى نهاية الإمارة الشهابية عام ١٨٤٢م» .



فاروق منيب

● من مواليد مصر .

● له خمس مجموعات قصصية ، ومسرحية من ثلاثة فصول ، وكتاب في النقد .

● عمل رئيساً للقسم الأدبي بصحيفة « المساء » ، ثم رئيساً للقسم الأدبي بصحيفة « الجمهورية » .

● حاز على جائزة الدولة في القصة القصيرة ، ووسام العلوم والفنون من الدرجة الأولى .

● يكتب حالياً رواية جديدة بعنوان « أيام الأمل » ، عن تجربته في السنوات الخمس الأخيرة .

● يقيم حالياً في لندن للعلاج بالكلى الصناعية .

** من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وادبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحا شهريا لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب ، بل في «العالم» الانساني .

أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا ، والله الموفق **

في الوطن العربي :

- جائزة لأحسن كتاب يصدر في السعودية .
- إنشاء كلية للدراسات الإسلامية في لبنان .
- مسابقة حول الوقاية من إصابات الأطفال .
- مؤتمر للعلوم الفسيولوجية في الأردن .
- دورة تدريبية للعاملين في رعاية الطفولة .
- تخطيط السياسة الخارجية للثقافة العربية .

في العالم :

- طباعة ثاني أكبر كتاب في العالم .
- أول مجلة علمية إلكترونية .
- افتتاح صالة جديدة في متحف اللوفر .
- اكتشاف مدينة فينيقية عمرها ثلاثة آلاف سنة .
- اللغة العربية مادة إجبارية في مدارس إيران .

معرض تشكيلي

أقيم في (**الطائف**) تحت رعاية (**نادي الطائف الأدبي**) معرض ومسابقة للفنون التشكيلية ، اشترك فيه عدد من الفنانين والفنانات بالطائف .

جائزة لأحسن كتاب

رغبة من الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون في تشجيع الكتّاب السعوديين ، قررت منح جائزة مالية لأحسن كاتب أو عالم أصدر كتاباً مفيداً على مستوى المملكة ، وستكون هذه الجائزة سنوية .

دعوة للمثقفين

أصدر **نادي جدة الأدبي** دعوة إلى كل من يحمل القلم في شتى العلوم المختلفة ، وذلك رغبة من النادي في أن تشترك هذه الأقلام في إخراج مجموعة ثقافية إعلامية تفيد الجميع في أي فرع من فروع المعرفة البشرية ، وذلك بأن يتقدم الكاتب إلى النادي ، ببعث **مقالة** واحدة تحوي فكرة عن شيء ، أو **تقرير** ملخص عن تجربة اجتماعية أو عقلية عايشها ويرى أن مواطنيه سيستفيدون منها ، أو **رأي** في موضوع علمي أو اقتصادي ، أو أدبي ، أو اجتماعي ، أو مالي ، أو تاريخي ، أو أن يقدم **اقتراحاً لمشروع تعاوني** جديد في المجالات التي يمارسها الأفراد والجماعات علمياً وأدبياً واقتصادياً .

مسابقة أدبية

من ضمن المسابقات الثقافية التي تنظمها **الرئاسة العامة لرعاية الشباب** على مستوى المملكة في مجال **الشعر والقصة والمقالة** ، أعلن مكتب الرئاسة بمنطقة المدينة المنورة عن مسابقته لعام ٩٩ / ١٤٠٠ هـ ، وذلك ضمن موضوعات محددة وتاريخ محدد ، ينتهي بنهاية شهر محرم سنة ١٤٠٠ هـ .

- في مجال الشعر : قصيدة بعنوان (رسالة الشباب المسلم في المجتمع) .
- وفي مجال المقالة : مقالة بعنوان (الإسلام وأثره في بناء المجتمعات) .
- وفي مجال القصة القصيرة : قصة بعنوان (يد الله مع الجماعة) .

نشر الثقافة العربية

أعدّت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مشروعاً يعمل على تنمية الثقافة العربية بالخارج ودعت إلى عقد اجتماع تأسيسي لتخطيط السياسة الخارجية للثقافة العربية ، وقد تقرر عقده في نوفمبر (تشرين الثاني) ، وسيقوم باستضافة هذا الاجتماع (جامعة الرياض) والدعوة إليه ، وقد وجهت الدعوة إلى أكثر من ثمانين من قادة الفكر والسياسة والمال في الأقطار العربية ، ويهدف هذا الاجتماع إلى وضع خطة موحدة ترمي إلى نشر الثقافة العربية خارج الوطن العربي ، وتأسيس صندوق تنمية الثقافة العربية في الخارج ، وتوفير مصادر التمويل اللازمة لتنفيذ مشروعات وبرامج تنمية الثقافة العربية .

كتب جديدة

- « **حوار وصدى** » ، تأليف **عبد الله جفري** ، صدر عن جمعية الثقافة والفنون بالغربية .

خبر .. وصورة

تم تسليم أول أثر تذكاري لمدينة الرياض إلى أمانة البلدية .. وهو عبارة عن « **المبخرة** » التي لا يخلو منها منزل في **المملكة العربية السعودية** .

وقد أصبحت المبخرة اليوم تمثل مظهراً وتقليداً في المنازل ، تعطر برائحتها الأجواء ليس في المملكة العربية فحسب ، بل في دول الخليج أيضاً .

قام بتصميم المبخرة **الفنان السعودي المعروف محمد السليم** ، وتنفيذ **دار الفنون السعودية** ، قدمتها هدية **شركة دونج آه الكورية** التي تكفلت بجميع تكاليف تنفيذها بمناسبة تنفيذها لمشروع توسعة الهاتف الآلي في المملكة .

يبلغ **طول** الأثر عشرة أمتار مع القاعدة التي يبلغ طولها أربعة أمتار من **الخرسانة** المكسوة **بمرمر كرار الأبيض اليوناني** ، والمبخرة من **البرونز** الخالص ، وقد تم تسليحها من الداخل بزوايا وقضبان من





● « **زخارف فوق أطلال عصر الجون** » ، الديوان الثالث عشر **لحسن عبد الله القرشي** .

● « **حركة التأليف والنشر في المملكة العربية السعودية** » ، **ليحيى محمود ساعاتي** ، صدر عن **النادي الأدبي بالرياض** .

● « **همسات العريف** » ، إعداد وجمع **زهير محمد جميل كتبي** ، صدر عن دار الفنون .

كما صدر عن دار المجمع العلمي بجدة :

١ - « **في سبيل علم اجتماع إسلامي** » ، تأليف **هاني يحيى نصري** .

٢ - « **مدخل إلى علم المعلومات** » ، تأليف **نسيبة عبد الرحمن كحيلة** .

من منشورات نادي الرياض الأدبي :

١ - « **ابن طباطبا ــ الناقد** » ، **للدكتور محمد عبد الرحمن الربيع** .

٢ - « **امرأة تعبر تفكيري** » ، مجموعة قصصية للكاتب **سليمان الحماد** .

الحديد . . ويبلغ وزن المبخرة ثلاثة آلاف كيلوجرام .

الجدير بالذكر أن هذا الأثر **نصب عند مدخل مدينة الرياض بالنسبة للقادمين من الجو . . أمام مطار الرياض .**



كلمة

وداعاً عام الطفل

بهذا العدد يودع العالم عام الطفل الدولي الذي أقيمت بمناسبته التظاهرات الإعلامية ، والثقافية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، في أغلب شعوب العالم إن لم يكن كلها .

وساهمت حكومات العالم على اختلاف مستويات حياتها الاقتصادية والاجتماعية في إبراز حسن نواياها ، وتعاطفها مع الطفولة الإنسانية ، سواء بالتبرعات ، وإعداد البرامج ، أو التخطيط لبعض المشاريع التي تعنى بتربية الطفل ، والمحافظة على صحته العقلية والنفسية ، والجسمانية .

والسؤال . . هل الطفولة عام واحد يُحتفى به ، ثم تعود الحياة كما هي ؟

هل الفائدة من عام الطفل مجرد اظهار المشاعر الطيبة ، والنوايا الحسنة ؟

ثم ماذا بعد عام الطفل ؟

هل ستستمر الأمم المتحدة من خلال منظمة « اليونيسيف » متابعة قضية الأطفال في العالم لتوفير الوسائل الكفيلة بتحسين أوضاعهم المتردية المزرية خاصة في دول العالم الثالث . . أم أن دورها مجرد اثبات وجودها من خلال تحريك القضية ، ومن ثم تطوى بعد ذلك ، لتحفظ في ملفات تضمها رفوف المحفوظات لتكون في المستقبل وثيقة تاريخية هامة من وثائق الأمم المتحدة العديدة يرجع إليها الباحثون والدارسون للاستفادة من معلوماتها !!

هل يعقل أن تحول قضية الأطفال في العالم إلى صورة أو شكل من أشكال مراجع ومصادر الدارسين ؟

هل القصد من الاحتفال بعام الطفل مجرد تجميع المعلومات عن أطفال العالم ، وما يعانونه من جوع ، وفقر ، وتشرد ، وجهل ، ومرض ؟

إن قضية الطفل يجب أن تكون قضية كل الشعوب ، والحكومات ، في كل زمان ومكان ، قضية اليوم ، والغد ، وقضية كل الأجيال الحاضرة ، والأجيال القادمة .

وفي رأينا أن عام الطفل الدولي ليس إلا جرس انذار للعالم المتطاحن على التوسع العسكري ، واختراع وسائل الموت والدمار .

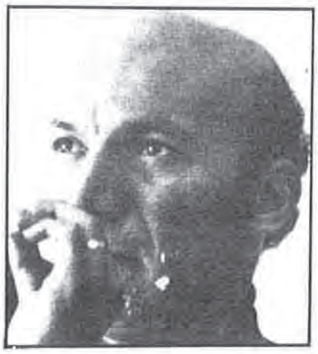
فإذا انصرم عام الطفل فإن الأطفال ما زالوا باقين بآلامهم ، ومعاناتهم .

لهذا فالقضية ليست مرتبطة بزمن محدد . . إنها قضية كل الأزمان إلى أن تقوم الساعة .

وإذا كانت هذه المجلة قد واكبت عام الطفل كاملاً في كل أعدادها من خلال الدراسات التربوية ، والنفسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، والفنية التي نشرتها ، فإن هذا لا يعني أن دورها انتهى بنهاية عام الطفل . . بل ستظل من حين لآخر تثير قضايا تهم الطفولة ، لأنها جزء هام من اهتماماتها الأساسية .

إذا رحل عام الطفل . . فنحن من أجل الأطفال سوف نستمر في القيام بواجبنا ، لأننا كما قلنا أكثر من مرة إن أطفال العالم هم مستقبل العالم ، والمستقبل ليس أياماً محدودة ، إنه مرتبط بكل الأيام القادمة ، مزروع في الحاضر وممتد مع كل الأجيال القادمة .

المجلة



★أحمد عبد المعطي حجازي★

سورية

＊كتب جديدة＊

● « **الضيق** » ، المجموعة القصصية الأولى للقاص السوري **محمود عبد اللطيف** ، صدرت عن **وزارة الثقافة والإرشار القومي** .

● « **شعراء من رومانيا** » ، ترجمة وتقديم **سليمان عواد** .

● أصدرت **وزارة الثقافة والإرشاد القومي** مجموعة من الكتب :

١ ـ « **على طريق محو الأمية** » ، دراسة من تأليف **سميح عيسى** .

٢ ـ « **في القلب شيء آخر** » ، مجموعة قصصية تأليف **د . ناديا خوست** .

٣ ـ « **من مختارات التراث** » ، ج ٢ ، من **كتاب الحيوان** ، تحقيق **نعيم الحمصي وعبد المعين الملوحي** .

٤ ـ « **البحث عن الزمن المفقود** » ، ج ٢ ، تأليف **مارسيل بروست** ، ترجمة **إلياس بديوي** .

٥ ـ « **الجنيات العشر** » ، قصص للأطفال ، ترجمة **اليان ديراني** .

٦ ـ « **أطفالنا كيف نفهمهم سلوكاً ودوافعاً وتفكيراً** » ، ترجمة **عبد الكريم ناصيف** .

● « **الأبيض والأسود** » ، **لمحمد أبو خضور** ، من منشورات **اتحاد الكتاب العرب بدمشق** .

لبنان

كلية للدراسات الإسلامية

قرر **المركز الإسلامي بلبنان** ، إنشاء كلية **(الإمام الأوزاعي) للدراسات الإسلامية** ، وذلك بهدف تعليم الإسلام وتطبيقه في مختلف نواحي الحياة في مفهوم الشريعة القائمة ، من خلال تدريس العقيدة والفقه والشريعة والقانون والتنظيم والتاريخ والآثار والحضارة والفلسفة والاجتماع والتربية والاقتصاد والإدارة والسياسة والعلاقات الدولية والانتشار الجغرافي ، والدعوة وتكوين الدعاة ، والتنوع اللغوي ، وتنوع الأجناس ، والعمارة والفن وغيرها من العلوم المرتبطة بالإسلام ، وستبدأ الدراسة فيها من محرم سنة ١٤٠٠ هـ .

＊كتب جديدة＊

● « **الحكم العثماني في اليمن ١٨٧٢ و١٩١٨م** » ، **لفاروق أباظة** ، صدر عن **دار العودة** ، والكتاب في أصله أطروحة ماجستير قدمت لجامعة الإسكندرية .

● « **الجبل والضباب : من أوراق مقاتل** » ، تأليف **جهاد أحمد صالح** ، صدر عن **دار ابن رشد** .

● « **نار البراءة** » ، مجموعة قصصية **لمحمود شاهين** ، صدرت عن **دار ابن رشد** وبالاشتراك مع « **دائرة الإعلام والثقافة** » في **منظمة التحرير الفلسطينية** .

● « **الإقطاع والرأسمالية الزراعية في مصر** » ، تأليف **صالح محمد صالح** ، صدر عن **دار ابن خلدون** .

● « **القرية والطوفان ـ دراسات نقدية** » ، **لجبرا إبراهيم جبرا** ، صدر عن **المؤسسة العربية للدراسات والنشر** .

● « **قاموس الحج والعمرة من حجة النبي وعمره** » ، تأليف **أحمد عبد الغفور عطار** ، صدر عن دار العلم للملايين .

● « **وطن بلا جاذبية** » ، عنوان كتاب ضمّ قصتين هما للقاص اللبناني **جورج شامي** .

● « **بوصلة من أجل عباد الشمس** » ، الرواية الأولى للكاتبة الفلسطينية **ليانة بدر** ، صدرت عن **دار ابن رشد ببيروت** .

● « **كائنات مملكة الليل** » ، ديوان شعري **لأحمد عبد المعطي حجازي** ، صدر عن **دار الآداب ببيروت** .

● « **تاريخ مصر الاجتماعي ـ الاقتصادي ـ من مصر الفرعونية حتى عهد المماليك** » ، تأليف **أحمد صادق سعد** ، صدر عن **دار ابن خلدون** .

● « **صدى الأعماق** » ، **لجورج شكر الله** ، صدر عن **مطبعة دار الكتب للنشر** .



★سعدي يوسف★



★خليل حاوي★

● «عذاب وانتظار»، لجورج شكر الله، صدر عن مطبعة فغالي للنشر.

● «من حصاد الفكر العالمي»، لسمير شيخاني، صدر عن دار الآفاق الجديدة.

● «الوحي والملائكة ـ في اليهودية والمسيحية والإسلام»، لأحمد عبد الوهاب، صدر عن دار النهضة العربية للكتاب.

● «ذو النورين ـ عثمان بن عفان»، للدكتور علي شلق، صدر عن دار المسيرة في بيروت، وضمن سلسلة كواكب الإسلام.

● «مكاشيف من أطراف الدينا»، للمؤلف الفرنسي بيار دوران، ترجمة جورج عبدو، صدر عن دار الفارابي.

● «فلسفة في التربية والحرية»، للدكتور علي ماضي، صدر عن دار المسيرة.

● «تاريخ الدعوة الإسماعيلية»، للدكتور مصطفى غالب، صدر عن دار الأندلس.

● «الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده»، لسليمان البستاني، تحقيق ودراسة خالد زيادة، صدر عن دار الطليعة.

● «العقل والثورة»، لهوبرت ماركوز، ترجمة الدكتور فؤاد زكريا.

● «نهاية التاريخ ـ دراسة في بنية الفكر الصهيوني»، للدكتور عبد الوهاب المسيري، صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

● «ثقافتنا في مواجهة العصر»، للدكتور زكي نجيب محمود، دراسة صدرت عن دار الشروق ببيروت.

● «منطلق تاريخ لبنان»، للدكتور كمال الصليبي.

● «نافذة في المنزل المغربي»، لسعدي يوسف، صدرت عن دار ابن رشد.

● «أمراض الذاكرة»، لجان دولاي، ترجمة ميشال أبي فاضل، صدر عن دار عويدات.

● «من جحيم الكوميديا»، ديوان شعري للدكتور خليل حاوي، صدر عن دار العودة.

● «قبل أن أنسى»، للدكتور أنيس فريحة، مجموعة حكايات صدرت عن دار النهار للنشر.

● «المسألة الطائفية ومشكلة الأقليات»، لبرهان غليون، صدر عن دار الطليعة.

عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر وضمن سلسلة «أعلام الفكر العالمي» صدرت الكتب التالية:

١ ـ «بلزاك»، تأليف فيليب بوتو، ترجمة منى الرافعي.

٢ ـ «تشيخوف»، تأليف إيليا اهرنبورغ، ترجمة الدكتور ضياء نافع.

٣ ـ «مالارميه»، تأليف شارل مورون، ترجمة حسين غر.

٤ ـ «هنري ميللر»، تأليف هنري ميللر، ترجمة سعدي يوسف.

● «الأغاني الثانية لمهيار الدمشقي»، ديوان شعري للشاعر أدونيس، صدر عن دار النهار للنشر.

● «رسائل الوحشة»، لمحمد العبد الله، عن دار الفارابي.

الكتاب : إني لبيتي راجعة
الكاتبة : كريستيان كولانج

هذا عنوان كتاب قدمه **التلفاز الفرنسي** لندوة من السيدات الفرنسيات، يمثلن مختلف المذاهب السياسية والاجتماعية، بحضور **مؤلفته السيدة كريستيان كولانج**، قبل عدة أشهر. والكتاب من **منشورات مكتبة (كراسة) في باريس** في أواخر ١٩٧٨ م، وعدد صفحاته (١٨٨) ص.

أثار الكتاب جدلا كبيراً في ندوة التلفاز، وتحدثت عنه الصحف والمجلات الفرنسية بإسهاب، ولا سيما و«عودة المرأة لدارها» لا تقره نصيرات المرأة المتحررة في أوروبا.

وقد تعرضت الكاتبة لهجمات ثلاث طوائف من النساء والرجال : طائفة الذين يرون في خروج المرأة من دارها والعمل في المعامل والدوائر تصرفاً يزيد في اليد العاملة، ويكثر الإنتاج الوطني. لكن حجتهم لم تكن قوية في الوقت الذي تعاني فيه فرنسا وسائر أوروبا أزمة البطالة المفزعة. **والطائفة الثانية** ترى في خروج المرأة من بيتها مظهراً من مظاهر تحررها، سواء أفاد خروجها الاقتصاد وصحة الأولاد أم لم يفد. **والطائفة الثالثة** تعتقد أن المرأة لا تملك حريتها، ولا تستطيع التصرف بشؤون حياتها كما تريد إلا إذا كسبت المال من غير طريق

مصـــر

كتب جديدة

● صدر عن **دار الفكر المعاصر** الكتب التالية :

١ ـ « **أقوال جديدة عن حرب البسوس** » ، ديوان جديد للشاعر **أمل دنقل** .

٢ ـ « **وقائع عام (٢٠٠٠) كما يرويها الشيخ نصر الدين جحا** » ، **لعبد الفتاح الجمل** .

٣ ـ « **الخروج من الظل** » ، للشاعر **فؤاد قاعود** .

٤ ـ « **أحلام رجال قصار القامة** » ، **لمحمد البسطامي** .

● « **قصر العيني .. تاريخ وأثر** » ، إعداد **الدكتور حسن الباشا** .

● « **السينما المصرية ... في موسم** » ، للدكتور **عبد المنعم سعد** .

● « **عشرون على القمة** » ، **لحسن علام** ، يتعرض في كتابه هذا لـ (٢٠) من كبار نجوم المجتمع في مصر .

● « **الناس في كفر عسكر** » ، رواية **لأحمد الشيخ** ، صدرت عن **الهيئة المصرية العامة للكتاب** .

● « **الحب فوق هضبة الهرم** » ، مجموعة قصصية **لنجيب محفوظ** ، صدرت عن **مكتبة مصر** .

● « **الأسس الفنية للإبداع في الرواية** » ، للدكتور **مصري عبد الحميد** صدر في القاهرة .

تونس

كتب جديدة

● « **تاريخ الحركة القومية التونسية** » ، جمع وتعليق **محمد الصباح** ، صدر عن **دار العمل الحزبية** .

● « **أعمدة من دخان** » ، مجموعة قصصية تأليف **نافلة**

زوجها ، فتحفظ بذلك كرامتها وهي متزوجة ، وتعول نفسها وأولادها إذا مات الزوج أو مرض أو فقد عمله أو تقاعد أو وقع الطلاق بين الزوجين .

جابهت السيدة كريستيان كولانج مهاجميها بقوة وجرأة وحكمة . ولعل قدرتها على الرد والصمود كانت صادرة عن إيمانها العميق بما تقول . فهي لا تدافع عن مذهب ، ولا تدعو إلى فلسفة جديدة ، وإنما تدعم رأيها الشخصي وقرارها الفردي الذي اتخذته بعد التجربة والتأمل لتوجه حياتها الشخصية توجيهاً جديداً تعتقد أنه الأصح والأصلح لها .

قبل تأليف الكتاب استطاعت السيدة كريستيان كولانج التوفيق بين دارها وعملها فربت أبناءها الأربعة ، **وعملت في الصحافة** مدة خمسة وعشرين عاماً ، **وألفت كتابين :** الأول « **السيدة والإدارة** » ، والثاني « **السيدة والسعادة** » . فهي إذن عليمة خبيرة بالحياة العملية وبحياة الأسرة حين اتخذت قرارها بالرجوع إلى البيت وأخرجت فيه المؤلف الذي نحن في صدده .

بدأت المؤلفة القول بأنها ـ بالنسبة لمجتمعها ـ معدودة بين الناجحات في التوفيق بين حياة الأسرة والعمل خارجها . ثم عدت اللواتي نجحن مثلها في هذا التوفيق فوجدتهن كثيرات . ثم تساءلت قائلة : هل السبب في نجاحنا مهارتنا وشجاعتنا وصبرنا ؟ أم أن هناك أسباباً أخرى هامة ؟ كغنى الأسرة ، والعيش الوثير الذي تتمتع به طبقتنا الاجتماعية ، وحظنا في الحصول على مهنة سهلة ، بالنسبة للمهن الأخرى ، تسمح لنا بأن نكون دوماً على مقربة من أبنائنا ، وهذا أمر لا يتيسر لأكثر النساء العاملات في المصانع والمتاجر البعيدة جداً عن مساكنهن ؟ كما لا يتيسر لهن استئجار الممرضات والحاضنات والخادمات ؟

ثم عمقت بحثها وطرحت السؤال التالي : هل التوفيق بين حياة الأسرة الحقيقية والعمل المجدي خارج الدار أمر ممكن في واقع الحياة ؟ أم لا بد من الاختيار بين حياة الخدمة الطويلة داخل البيت طول النهار والسآمة بين جدران الدار ، أو الجهد المضني وتهدم الأعصاب في الأعمال المهنية خارج البيت ؟ هل لها أن تقضي وقتها راكضة وراء أبنائها وبناتها وحاجاتهم للغذاء والكساء والبيت النظيف طول اليوم أو أن تراهم أقل من ساعة في الصباح وساعتين فقط في المساء ؟ هل تقبل بحياة يعدها الناس حياة العصر القديم والمرأة المطيعة القابلة لكل شيء أم تؤثر نمط الحياة الذي يعده الناس نمط التحرر والانطلاق والحرية الكاملة ؟

يبدو لقارىء كتاب السيدة كريستيان كولانج أنها وجدت صعوبة كبيرة في الجواب على هذه الأسئلة لأنها تريد الأمرين معاً ، تريد أن تحيا الحياتين بصورة تامة كاملة وهذا لا يمكن لإنسان . لذلك ظلت مترددة مدة طويلة لا تدري أي طراز من المعيشة تختار !

ثم دخل تفكيرها في طور جديد حين تزوج أحد أبنائها وجاء الحفيد ، فشعرت بمعزة الولد ، وولد الولد ، وتفجرت في قلبها كل عاطفة الأمومة التي احتبس قسم كبير منها في نفسها بسبب انشغالها عن أولادها في الماضي للعمل خارج البيت . وبفضل الحفيد والأمومة الكاملة التي فجرها في حياتها الداخلية ـ ولو جاء متأخراً ـ شعرت شعوراً عميقاً جارفاً لا يقاوم بأن المرأة لا يكمل نموها النفسي والروحي ولا تبلغ كمال تطورها ولا يتألق جوهرها إلا إذا قامت بدور الأم قياماً كاملاً غير منقوص . فإن فاتها



★ سعدي ★

ذهب ، صدرت عن منشورات صفاء للنشر والتوزيع والصحافة بتونس .

● « الضحك بلا حدود » ، مجموعة قصصية لمحمد المختار العبيدي ، صدرت عن الدار العربية التونسية الليبية .

● « جمالية الرسم الأسمى » ، تأليف الكسندر بابا دو بولو ، ترجمة علي اللواتي ، صدر عن مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله .

● « تأصيلاً لكيان » ، تأليف محمود المسعدي » ، صدر عن مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله .

● « مدخل إلى الابستمولوجيا » ، كتاب في الفلسفة تأليف لطفي العربي ، صدر عن دار الجديد بتونس .

كتب جديدة

● « بول ايلور ـ مختارات » ، ترجمة وتقديم الدكتورة سامية أحمد أسعد ، صدر ضمن سلسلة الكتب المترجمة لوزارة الثقافة والفنون في بغداد .

● « كافافي » ، ديوان شعري يضم (١٢٠) قصيدة من أعمال الشاعر اليوناني كفافي ، ترجمه سعدي يوسف ، صدر عن مكتبة النهضة العربية في بغداد .

● « أسواق بغداد حتى بداية العصر البويهي » ، للدكتور حمدان ـ عبد المجيد الكبيسي ، رسالة دكتوراه صدرت عن وزارة الثقافة والإعلام .

● « العربية بين أمسها وحاضرها » ، للدكتور إبراهيم السامرائي ، صدر ضمن سلسلة « دراسات » التي تصدر عن وزارة الثقافة والفنون العراقية .

● « حول الهيكل البشري » ، كتاب ياباني من تأليف ساكس

هذا الدور في تربية أولادها في الماضي فإنها قررت ألا يفوتها في تربية أحفادها في المستقبل . لذلك تركت عملها خارج الدار وعادت للبيت لترعى زوجها وأولادها وأحفادها بوجه خاص ، بنفس راغبة صادقة وقلب منشرح جذلان ، وأعلنت ذلك على رؤوس الاشهاد في كتابها الذي نحن بصدده .

والعودة للبيت تيار تزداد قوته يومياً في فرنسا وألمانيا وسائر البلاد الغربية . وكان انعقاد **المؤتمر العالمي للأسرة** ، في مبنى **اليونسكو بباريس** في يناير/ كانون الثاني ١٩٧٩م ، مناسبة لوزيرة الصحة ووزير التربية في **فرنسا** ، ووزيرة الشؤون الاجتماعية في **السودان** ، ووزير الشؤون الاجتماعية في **ألمانيا الغربية** للتوكيد على أن **وجود الأم في البيت من أقوى العوامل لتمكين الأسرة واستفادة الأولاد من تماسكها المنعش المقوي ، ونعمها الكثيرة .** وفي ختام مقال نشرته **جريدة لوموند الباريسية في ١٤ / ٣ / ١٩٧٩م ،** (١٥ / ٤ / ٩٩ هـ) ، للوزيرة الفرنسية المسؤولة عن شؤون المرأة نقرأ العبارة التالية : « **علينا أن نجعل مجتمعنا أشد اهتماماً ورعاية للطفل ، وأقدر على تقديم الخدمات وتبادل المساعدات وحسن الجوار ، وأن نعيد إلى النساء ثقتهن بأنفسهن ليصبحن قادرات على حسن اختيار المهنة التي يحببنها لمعيشتهن ، وبالدرجة الأولى طبعاً مهنة الأمومة** » . واقترحت المربية الألمانية السيدة **جرهيلد هور** GERHILD HEUER **في جريدة في مونيخ** في فبراير/ شباط ١٩٧٩م ، تأليف نقابة خاصة بالسيدات المفضلات للعمل داخل الأسرة والبيت .

تحري الانصاف يدعونا إلى تغيير المعايير المألوفة التي تقسم النساء إلى محافظات ومتحررات ، إلى راغبات في الاستقرار في البيت وخارجات للعمل بعيداً عنه . لأن الأصح في نظر أكثر الدارسين لمشكلات المرأة في عصرنا هو تقسيم النساء إلى طائفتين : الطائفة المحظوظة وهي التي تتيح لها ظروف الحياة حرية الاختيار بين لزوم الدار أو الشغل خارج الدار . ومؤلفة الكتاب من هذه الطائفة . والطائفة الأخرى ، هي الطائفة غير المحظوظة من النساء : طائفة **الفقيرات جداً** من المتزوجات (المضطرات لمعونة الزوج الفقير) وغير المتزوجات ، وطائفة **المطلقات** ، وطائفة **الأرامل** والمتفردات اللواتي ليس لهن معيل . كل النساء في هذه الطائفة غير المحظوظة (وعددهن في فرنسا بالإحصاء الرسمي يزيد على المليونين) مضطرات للعمل خارج الدار رغم أنوفهن ، ولا يملكن حرية الاختيار بين الدار ومكان العمل والارتزاق الشريف .

وفي رأي مؤلفة الكتاب أنا لو سألنا كل الأطفال الذين هم في سنهم دون العاشرة لفضلوا جميعاً بلا استثناء أن تبقى أمهاتهم في الدار لمصلحة الأسرة بمجموعها . فإن صح هذا فلتسعد الأمهات اللواتي سمح لهن حسن الطالع بالاستقرار في الدار لرعاية الأسرة ، وليشكرن الله على هذه النعمة التي لا تقدرها إلا النساء اللواتي حرمن منها وأبناؤهن وبناتهن .

قسم الدراسات في مكتب رابطة العالم الإسلامي في باريس

ساسودا ، ترجمة الطبيب **عبد الكريم عبد الرزاق** ، وقد ترجمه إلى العربية والإنجليزية واللاتينية .

الكويت :

مسابقة حول الوقاية من إصابات الأطفال

أعلن المركز العربي لبحوث الإصابات عن مسابقة فنية تشمل الوطن العربي **لأفضل ملصق** يصدر حول **الوقاية من اصابات الأطفال** ، وستقدم خمس جوائز مالية لأفضل خمسة ملصقات ، وتقدم هذه الملصقات باسم (رئيس اللجنة الوطنية للاحتفال بالسنة العالمية للطفل — في المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، في موعد لا يتجاوز الأول من نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٧٩ م .

حلقة خاصة عن ثقافة الطفل

ستقيم الجامعة العربية في الكويت حلقة خاصة عن ثقافة الطفل في الخليج والجزيرة العربية (في أوائل ديسمبر / كانون الأول) ، وسيحضر المؤتمر عدد من المثقفين في العالم العربي .

كتب جديدة

- « **سكان إيران — دراسة في التغير الديموجرافي** » ، دراسة صدرت عن **الجمعية الجغرافية الكويتية** وبالتعاون مع قسم الجغرافيا **بجامعة الكويت** .
- « **التفكير المستقيم والتفكير الأعوج** » ، تأليف **روبرت تاولس** ، ترجمة **حسن الكرمي** ، صدر ضمن سلسلة « **عالم المعرفة** » ، التي تصدر عن **المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت** .
- « **أزهار أيار** » ، ديوان شعري **لخزنه بوريلي** ، صدر عن **وزارة الإعلام الكويتية** .

لقطة

★ الطفل في الدول المتقدمة ★



★ الطفل في الدول النامية ★





★سميح القاسم★

فلسطين

كتب جديدة

● «ليل الغرباء متى يرحل»، الديوان الأول للشاعر **محمد الأسمر**، صدر عن **مطبعة الأمل التجارية في القدس**.

● «**الريح والجدار**»، مجموعة شعرية للشاعر **جمال قعوار**، صدرت عن **دار الصوت بالناصرة**.

● «**الأدب الشعبي في بلدي**»، تأليف **محمد شحاده وجميل السلحوت**، صدر عن **كتاب الشراع**.

ومن منشورات «عربسك»:

١ ـ «**الأرض والممارسة الصهيونية**»، للشاعر **أسعد الأسعد**.

٢ ـ «**الصورة الأخيرة في الألبوم**»، **لسميح القاسم**.

● «**الضفة والقطاع ٦٧ ـ ٧٨ بين الإلحاق والدمج**»، تأليف **حسين أبو النمل**، صدر عن **مركز الأبحاث بمنظمة التحرير الفلسطينية**.

● «**توازن النقائض**»، **لسليمان بشير**، صدر في **القدس**، عبارة عن محاضرات في أدب الجاهلية وصدر الإسلام.

● «**تراجم وآثار أدب العربية في إسرائيل**»، **لمحمود عباسي، وشموئيل موريه**، صدر في **حيفا** ومن **منشورات دار الكرامة**.

● «**كواكب النساء**»، **لنائلة هاشم صبري**، صدر في **القدس المحتلة**.

الأردن

معارض فنية

عدد من **المعارض الفنية** أقيمت في قاعة المعرض الدائم التابع لوزارة الثقافة وكان من أبرزها: معرض اللوحات الفنية الألمانية بالتعاون مع سفارة ألمانيا الديمقراطية، ومعرض **الفنانين السودانيين** ومثّلهم **نادية وطه الطيب**، ومعرض للفنانة العراقية **نها الراضي**، ومعرض الفنان الأردني **يوسف بداوي**.

مؤتمر للعلوم الفسيولوجية

نظمت **جامعة اليرموك** المؤتمر العربي الثالث للعلوم الفسيولوجية، وقد قدمت فيه عشرات البحوث الجديدة في هذا الحقل.

كتب جديدة

● «**نابلس في القرن التاسع عشر**»، تأليف **أكرم الراميني**، صدر عن **الجامعة الأردنية**.

● «**نظرات حول المجلس الوطني الاستشاري**» للدكتور **محمد سليم الغزوي**.

● «**أطفال القدس القديمة**»، قصص مصورة للأطفال، تأليف **مفيد نحلة**.

المغرب

ندوة ومعرض للفنون التشكيلية

اشترك عدد من الرسامين في معرض ضم رسومهم كما دارت في نفس المعرض ندوة حول الفن التشكيلي.

عمان

دورة تدريبية للعاملين في رعاية الطفولة

تقام في **مسقط** خلال الفترة من ٢٩ سبتمبر (أيلول) إلى ٢٩ أكتوبر (تشرين الأول)، دورة تدريبية للعاملين في مجال رعاية الطفولة بالدول العربية الخليجية، وتنظم هذه الدورة **وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل والصحة**، بالتعاون مع الاتحاد الدولي لرعاية الطفولة، والهدف من هذه الدورة رفع مستويات العاملين في هذا المجال.

ليبيا

كتب جديدة

● «**السور الكبير**»، مجموعة شعرية تأليف **خالد زغبية**، صدرت عن **الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان**.

بريطانيا

ثاني أكبر كتاب في العالم

تجري الآن في بريطانيا طباعة كتالوج يتكون من (٢٦٠) مجلداً من الكتب المحفوظة في **المتحف البريطاني** منذ القرن (١٥) متضمناً (٧) ملايين مادة ، وتبلغ **تكاليف طباعته حوالي (٥) ملايين دولار ،** ويعد ثاني أكبر كتاب في العالم ، إذ إن أول كتاب طبع أصدرته **الولايات المتحدة الأميركية** في (٦٠٠) مجلد ويغطي أسماء الكتب في (١١٠٠) مكتبة منها **الكونغرس .**

معرض ياباني مصور

عرضت في بريطانيا مجموعة من (٤٠٠) صورة فوتوغرافية تمثل **تاريخ التصوير في اليابان** ، موضحة أن بداية التصوير كانت في منتهى الصعوبة ، ذلك لأنه كان من المعتقد أن الكاميرا تسلب روح الإنسان .

أول مجلة علمية الكترونية

تستعد **المكتبة القومية البريطانية** لإصدار **أول مجلة علمية إلكترونية** من نوعها ، تكون مهمتها إمداد العلماء في مختلف التخصصات بأحدث ما ظهر من بحوث ودراسات في أسرع وقت ممكن ، وقد اختير البرفسور (**برايان شاكيل**) رئيس قسم العلوم الإنسانية بجامعة (لوفبروف) ليرأس تحريرها .

مجلة جديدة اسمها (بلقيس)

تصدر في **لندن** باللغتين العربية والإنجليزية مجلة جديدة تحمل اسم الملكة العربية اليمنية الشهيرة (**بلقيس**) تهتم بالمرأة وشؤونها ومجال اهتماماتها ، ويرأس تحريرها الصحفية التركية **زلفي دراز .**

معرض للرحالة كوك

يقيم **المتحف البريطاني** بالتعاون مع **المكتبة العامة البريطانية** معرضاً بمناسبة مرور (٢٠٠) عام على وفاة الكابتن (**جيمس كوك**) صاحب الرحلات العجيبة الذي وضعت رحلاته الاستكشافية الثلاث في ١٧٦٨ ، ١٧٧٢ ، ١٧٧٦ م ، العالم من منظور جديد مدهش ، وقد



★ فيكتور لوبرون ★

استعيرت بعض المواد في هذا المعرض من مجموعات أخرى محفوظة في أنحاء مختلفة من أوروبا ، وتروي تفاصيل منجزات هذا البحار الذي ولد لأب عامل بسيط .

الفنون العراقية في الخمسينات

تحت هذا العنوان يقيم **المركز الثقافي العراقي في لندن** معرضه .

* أحدث الكتب *

● « **الفلسطينيون** » ، للكاتب البريطاني **جوناثان ديمبلبي ،** صدر عن **دار** « **كوارتيت** » .

فرنسا

وفاة سكرتير تولستوي

توفي عن (٩٨) عاماً « **فيكتور لوبرون** » في قريته « بوي سانت ـ ريبراد » في جنوبي فرنسا ، والذي عمل سكرتيراً لتولستوي الكاتب الروسي الكبير لمدة أربع سنوات وهي الأخيرة من حياة الكاتب ، ومما يذكر أن (فيكتور) من مواليد أوكرانيا الروسية .

افتتاح صالة جديدة باللوفر

افتتح بمتحف « **اللوفر** » في باريس صالة جديدة في الجناح الخاص **بالآثار الفرعونية** بعنوان « **مدفن أوزيريس** » ، ويتضمن هذا الجناح قبر أوزيريس الذي نقله **شامبوليون** إلى باريس مع **مسلة الأقصر** وغير ذلك من التحف ، هذا وقد استغرق بناء هذه الصالة أربع سنوات من العمل الدقيق .

أسبانيا

اكتشاف مدينة فينيقية عمرها (٣) آلاف سنة

عثر علماء الآثار الإسبان خلال عمليات التنقيب التي كانوا يقومون

نافذة

تطور الفن القصصي

الحديث عن القصة ذو شجون ، فرغم كثرة ما كتب وما يكتب في هذا الميدان يظل دائماً بحاجة إلى الآراء الجديدة التي يُخيل إلى البعض أنها تساهم في تحديد مفهوم القصة مع أن مثل هذا التحديد لا يمكن قبوله في جميع الحالات وعلى مختلف المستويات ، حيث إن ما يمكن قبوله من قيود على القصة في بيئة معينة قد لا يمكن قبوله في بيئة أخرى .

وهذا لا يعني **الشكل** في القصة فقط بل يشمل **المضمون** أيضاً ، فالمضامين القصصية في الوقت الحاضر لم تعد كما كانت في الماضي ، وأكثر من ذلك أن كتّاب القصة الحديثة سببوا إزعاجاً لمن أتى بعدهم عندما افترض النقاد أن يسير كتّاب القصة الجدد على المنوال الذي سار عليه من سبقهم ، وهذا ما حصل في **أميريكا** ، وأذكر بالمناسبة مقالة طريفة لكاتب أميريكي إسمه **لوي روين** بعنوان : (**الموت الغريب للقصة**) ، وتتضح طرافة الموضوع في الطريقة التي استعان بها الكاتب لتوضيح العبء الثقيل الذي يشكله كتاب القصة الحديثة على من أتى ويأتي بعدهم . . يقول الكاتب : « . . يحكى أنه فيما مضى من الزمان . . كانت هناك مجموعة من الكتاب الملهمين عرفوا باسم كتاب القصة الحديثة ، وإذا أردنا أن نذكرهم بالاسم فهم : **جويس ، وبروست ، ودريز ، ومان ، وفولكنر ، وفيتزجرالد ، وهمنجواي ، وولف** ، وبرغم أن لكل واحد من هؤلاء أسلوبه الخاص في الكتابة ، فقد أجمع أهل الرأي على أنهم جميعاً من خيرة كتاب القصة الحديثة ، وكانت هناك من ناحية أخرى مجموعة من الناس منهم اللامع والموهوب ، ومنهم من هو أقل من ذلك ، وقد عرفت هذه المجموعة باسم **نقاد الأدب** . وقرأ نقاد الأدب ما جادت به قريحة كتاب القصة الحديثة . . والتفت كل منهم يقول للآخر . . إننا نعرف الآن ما هي القصة الحديثة واعتبروا أن هذه ملاحظة تدل على منتهى الحذق والفطنة وباتوا راضين عن أنفسهم كل الرضى .

ودارت عجلة الزمن وانتقل كل أفراد المجموعة الأولى إلى جوار ربهم ، وبرز إلى الوجود أناس جدد دبجوا لنا كتباً ، وأخذوا يصرون على أن هذه الكتب قصصاً ، وأنهم بكل تأكيد من كتّاب **القصة الحديثة** ، فهب الناس الذين سميناهم بنقاد الأدب وقالوا : كلا ، إن كتاب القصة الحديثة هم الذين كتبوا قصصاً حديثة ، وكلنا يعرف ما هي القصة الحديثة ، إنها قصة يكتبها جويس أو بروست ، أو دريز ، أو مان ، أو فولكنر ، أو فيتزجرالد ، أو همنجواي ، أو وولف .

فوقف الكتّاب الجدد وصاحوا لسنا هؤلاء ، إننا **بيلو ، وميلامود ، وستيرون ، وبارث ، وسالنجر** . فرد النقاد : يا للسخف . . إن لم تكتبوا لنا نفس النوع من القصص التي أنتجها كتاب القصة الحديثة ، فلن تكن كتبكم قصصاً حديثة ولن تكونوا أنتم من كتاب القصة الحديثة .

واحتج الكتاب قائلين : ولكن هؤلاء الناس قد ماتوا جميعاً ، فرد النقاد على الفور : قد ماتوا حقاً وقد ماتت القصة أيضاً ، فتساءل الكتاب : وماذا تسمون إذن كل ما كتبناه ؟ فأجاب النقاد : لا ندري . . إننا منذ أن ماتت القصة لا نتابع ما يكتب في هذا المجال . . . » .

إن هذا يؤدي بنا إلى أن التعريف المتحجر الثابت لا يمكن قبوله ، وأن الرفض الذي يواجه الإنتاج القصصي الجديد من قبل أولئك السابقين لا يمكن اقراره ، لأن الجيل الذي يمنع الجيل الذي يليه إنما يقتل نفسه ، فالجيل عندما يترك تراثاً أدبياً إنما يصنع تاريخاً وتقاليد لمن يأتي بعده ، فكيف يستطيع أن يمنع من يأتي بعده من الاستفادة من ذلك التاريخ وتلك التقاليد بفهمها **أولا** وإضافة الجديد عليها بما يتناسب ومتطلبات الحياة الجديدة **ثانياً** ، فالخبرات التي تم بواسطتها التوصل إلى نظريات جديدة في **علم النفس** جعلت هذا العلم يساهم في انقاذ القصة من هذا التخبط في ضبط الإيقاع النفسي بين **تصرفات الشخصيات** في القصة وبين **الجو العام** الذي تعيش فيه ، وهذا لم يكن لو لم يستغل كتاب القصة النظريات النفسية تمزيق سجف الغموض الذي يحيط بالنفس البشرية مع أن ذلك كان مفقوداً إلى حد كبير في الماضي .

ربما خيل إلى البعض أن كتابة القصة سهلة ميسورة متاحة للجميع ، وهذا الرأي يجانب الصواب كثيراً ، فليست القصة باللون الأدبي السهل الميسور ، لأن عملية جعل القارئ يفهم ما يريد الكاتب أن يعبّر عنه في قصته تحتاج من كاتب القصة أن يكون ملتزماً بوجهة نظر معينة والاصرار عليها ، ولكي يكسب معطيات القصة فعالية أكثر عليه أن يبتعد عن تظليل أو تضبيب البيئة القصصية باستثناء ما قد تفرضه المتطلبات الفنية للقصة ، حتى الجزئيات البسيطة لا بد أن تكون من الصفاء إلى الحد الذي يمكنها من إعطاء المعنى الحقيقي البعيد عن التخمين أو حتى التأويل ، وهذا لن يكون إلا عن طريق رصد الحركة الداخلية والحدث الخارجي في الموقف الواحد لتكتسب القصة نبضاً حياً وساخناً وحاداً .

خليل إبراهيم الفزيع
قطر - الدوحة

بها في منطقة **تلال** (**بويرتيه**) في منطقة (**سانتا ماريا**) بمقاطعة (**قادس**) ، على بقايا مدينة فينيقية قديمة يعتقد بعض علماء التاريخ أنها مدينة (**مينستيو**) التي أقام الفينيقيون فيها منذ ما يزيد على ثلاثة آلاف سنة ، وقد عثروا على بعض الأواني التي كتبت عليها عبارات فينيقية بالإضافة إلى بعض الأواني الخزفية ، كما عثروا على بقايا عظام هي الآن قيد الدراسة .

أحدث الكتب

● « **الأدب التونسي المعاصر** » ، صدر عن **المعهد الثقافي الإسباني - العربي** ، باللغة الإسبانية وضمن **سلسلة مختارات وطنية** المجلد الثاني .

● « **المغاربة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر** » ، تأليف **رامون لوريدو** ، صدر عن **المعهد الثقافي الإسباني - العربي** وباللغة الإسبانية .

فرنسا

مؤسسة جديدة لمساعدة الكتّاب الجدد

أسست جمعية أطلق عليها « جمعية همنغواي » هدفها الرئيسي مساعدة الكتّاب الجدد ، وسيكون أحد مصادرها المالية المبلغ الذي تدفعه دار نشر


★ بريخت ★


★ الفيتوري ★

أميركية إلى زوجة «همنغواي» مقابل نشر رسائله الخاصة لقاء (٢٢٠) ألف دولار أميركي .

باحثون عالميون يجرون أبحاثاً عن الشمس

ذكرت **المؤسسة القومية للعلوم في واشنطن** أن نحو (٤٠٠) باحث عالمي سيجرون في غضون التسعة عشر شهراً القادمة أبحاثاً عن الشمس **بمناسبة أطول سنة شمسية** .

*** أحدث الكتب ***

● «**الطاقة خلال العشرين سنة القادمة**» ، كتاب جديد صدر في نيويورك يؤكد أن الصورة ليست بالقتامة التي نتصورها عن مشكلة الطاقة ، صدر عن **مؤسسة فورد** ، وهو الكتاب الثالث من دراسة تقوم بها المؤسسة في هذا المجال .

ألمانيا

آثار عراقية متجولة

يقام في (**ميونيخ**) بألمانيا الغربية **معرض للآثار العراقية المتجولة** ، يضم المعرض الذي يستمر (٧٥) يوماً أكثر من مئتي قطعة أثرية تتحدث عن العصور التي مرت بها حضارة وادي الرافدين .

معرض للفنون الشعبية الليبية

أقيم في مبنى **المجلس الوطني في** (**برلين**) معرض **للفنون الشعبية الليبية** ، ضم مختلف مظاهر هذه الفنون .

ثلاث رسائل لبريخت

نشرت **مجلة** «**نوتاتي**» ، ثلاث رسائل كتبها **برتولد بريخت** في منفاه **بالسويد** عام ١٩٤٠ م ، هذه المجلة تصدر عن مركز بريخت بألمانيا الشرقية . وتعد هذه الرسائل جزءً من مجموعة نادرة لمخطوطات بريخت سلمها هذا العام الكاتب الدانمركي (**فردريك مارتنر**) إلى مركز بريخت .

*** أحدث الكتب ***

● «**شعوب على ضفتي نهر الأردن**» ، لمؤلفه **البروفسور بورشارو برينتيس** ، العالم في **الآثار الشرقية** ويحكي في كتابه هذا عن **تاريخ فلسطين** .

الأرجنتين

ترجمة كتب الريحاني إلى الإسبانية

باشرت **الدكتورة** «**اليسيا داكاسيان**» أستاذة الأدب المقارن بكلية الآداب في جامعة **بيونس ايرس** ، ترجمة المؤلفات الكاملة «**لأمين الريحاني**» إلى **اللغة الإسبانية** ، ويبلغ عدد المؤلفات (٢٩) كتاباً **بالعربية** ، و(٣١) كتاباً **بالإنجليزية** .

إيران

اللغة العربية إجبارية

كان من ضمن النصوص التي تضمنها **الدستور الإيراني** ، جعل **اللغة العربية** مادة اجبارية في جميع **المدارس الثانوية** بمختلف أنواعها ، وقد وافقت اللجنة على هذا النص . وقد كانت اللغة الإنجليزية هي اللغة الأجنبية الوحيدة الاجبارية في جميع مراحل التعليم الثانوي ، فيما كانت العربية اجبارية فقط بالنسبة للسنوات الثلاث الأولى من التعليم الثانوي الذي يمتد سبع سنوات ، وقد أكد الدستور على تعليم اللغة العربية في جميع المراحل ، ذلك لأنها لغة **القرآن الكريم** ، ولأن لها تأثير على **اللغة الفارسية** .

إيطاليا

معرض لرسوم (دافنشي)

عرضت في (**فلورنسا**) بإيطاليا مجموعة تتكون من (٥٠) صفحة اختيرت من بين (٢٠٠) صفحة رسمها الرسام العالمي (**ليونارد دافنشي**) عن فن التشريح والتي تعتبر أول رسوم في هذا المضمار حيث تعكس طريقة تفكير دافنشي العصرية .

*** أحدث الكتب ***

● «**النجوم تغتسل في العاصفة**» ، ديوان شعري يصدر في **روما** للشاعر السوداني **محمد الفيتوري** .

اكتشاف نصوص قديمة

عثر في مكان قريب من العاصمة الصينية، على ثلاثة نصوص مكتوبة على الورق يرجع عهدها إلى فترة ما قبل الميلاد.

تشو يحصل على الجائزة الكبرى

حصل الرسام الكاريكاتوري الفرنسي «تشو» على الجائزة الكبرى خلال **المهرجان العالمي الحادي عشر لرسم الكاريكاتير** الذي أقيم مؤخراً في مدينة «**سكوبليج**» بيوغسلافيا، تحت عنوان «إنها الحياة»، شارك في هذا المهرجان (٢٥٠٠) من رسامي الكاريكاتير من (٢٠) دولة من أنحاء العالم.

وفاة ابنة تولستوي

توفيت في فالي كوتيج في شمالي نيويورك عن (٩٥) عاماً (الكسندرا تولستوي) ابنة المؤلف الروسي المعروف **(ليو تولستوي)**.

المصطلحات العلمية في ندوة

تُعقد لمدة ثلاثة أيام ندوة عالمية حول **(المشكلات النظرية والمنهجية في علم المصطلحات)**، وتنظم هذه الندوة **(أكاديمية العلوم السوفياتية)**، بالاشتراك مع المنظمة الدولية لتوحيد المصطلحات والمركز الدولي لتوثيق المصطلحات والجمعية الدولية للسانيات التطبيقية بمشاركة **مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي**، وستبحث هذه الندوة (حالة علم المصطلحات الراهنة وإمكانية تطويره).

آلات نسيج منذ (٣) آلاف عام

عثر علماء الآثار على **مركز لنسيج السجاد في إقليم تركمان** خلال بعض الحفريات الأثرية التي أجريت حول منطقة سكنية قديمة يرجع تاريخها إلى أكثر من ثلاثة آلاف عام.

معرض للفن الشعبي الفلسطيني

أقيم في (**براغ**) معرض **للفن الشعبي الفلسطيني** جرى فيه عرض **أثواب** فلسطينية **وأوان** زجاجية **وحلي** قديمة **وأعمال صدف وخشب** زيتون **وزجاج وقش** وغيرها.

اليوم و الغد

بطارية تستخدم عشر سنوات

● تمكن أحد أساتذة الكيمياء من تركيب مادة جديدة تمتاز بخاصيّة **تخزين الطاقة الكهربائية** بكثافة عالية جداً وبإمكانها أن تخزن (٢٠٠) وات لكل كيلوجرام واحد من وزنها، وذكر أن هذا يعني إمكانية إعادة استخدام البطارية عدة مرات عن طريق تغيير المادة الفعالة بالبطارية لمدة عشر سنوات.

جهاز جديد للتنقيب عن البترول

● أنتجت **إحدى الشركات البريطانية** جهازاً جديداً يستخدم للتنقيب عن البترول في قاع البحر وعلى عمق يتراوح بين (٣) أمتار و(نصف كيلومتر) وذلك عند استخدامه في وضع رأسي، أما إذا أضطر الباحث لاستخدامه بزاوية تميل إلى الأفقي فيتراوح مداه في هذه الحالة بين (٣٠) و(٦٠) متراً. الجهاز يعمل بكفاءة عالية رغم ظروف الضغط الهائل عند الأعماق، كما أنه يعمل في مختلف الظروف الجوية، والجهاز يستخدم في عمليات التنقيب بالموجات فوق الصوتية والكاميرات التليفزيونية ويشبه قوارب الصيد.

كاميرا للجيب

● نجحت **إحدى الشركات اليابانية** المتخصصة في الصناعات البصرية، من إنتاج **أصغر وأخف كاميرا «اس. ال. آر»** من نوعها في العالم. الكاميرا الجديدة **لا يتجاوز حجمها علبة السجائر**، ولا يزيد وزنها عن (١٧٠) جراماً، وعلى الرغم من صغر حجمها إلا أنها تتمتع بمعظم الميزات الموجودة في الكاميرات العادية كالتحكم الأوتوماتيكي في فتحة العدسة، ووجود ضوابط لتحديد الفتح والإغلاق، وهي مجهزة بعدسة ٢٤ ملليمتر ويمكن وضعها بكل سهولة في جيب القميص.

الموسيق القاتلة

● اخترع موسيقار أمريكي اسمه (**بوب براون**) ويعمل عازفاً للجيتار، جهازاً جديداً يطلق ذبذبات صوتية سريعة التردد تقضي على الصراصير والبراغيث، أطلق عليها اسم «**الموسيق القاتلة**».

رادار جديد لا يمكن التشويش عليه

● أعلنت **إحدى الشركات البريطانية** عن إنتاج رادار متحرك مزود بأجهزة تكنولوجية متقدمة تجعل التشويش عليه أمراً مستحيلاً، الرادار الجديد يمكن نقله من مكان إلى آخر بسهولة وذلك بسحبه على عجلات ويبلغ مداه ٣٠٠ ميل بحري ويستخدم في أغراض الدفاع الجوي.

● قد يكون للسلطة يد في ايجاد المدرسة ووضع البرامج للمدارس ولكنه ليس في يد السلطة على الاطلاق أن تقول لهذا الرجل : تزوج هذه المرأة . ونحن نعرف أن فواجع الزواج أكثر من أن تحصى ، والطفل الذي يولد في عائلة عيشها هانئ وخبزها موفور هو غير الطفل الذي يولد في بيت يتحكم فيه الخلاف بين أبيه وأمه ، أو تعز لقمة العيش فيه ، ويد الدولة أقصر من أن تطال البيوت وأن تخلف آباء صالحين وأمهات صالحات ، لذلك تبقى التربية البيتية خارج نطاق الدولة ، وتبقى أبعد بكثير من أن يتحكم فيها مجموع . هناك عباقرة ولدوا في أفقر العائلات ، وهناك مجرمون ولدوا في أغنى العائلات ، لذلك تبقى التربية البيتية أمراً لا يمكن أن نتحكم فيه ، لا نحن كأفراد ولا الدولة كمؤسسة والتي تمثلنا بعض التمثيل ، وما دمنا لا نستطيع أن نتحكم في التربية البيتية فإن كلامنا على التربية يبقى تمنيات أكثر منه وقائع .

إن العالم الأمثل الذي نفكر به لا يزال بعيد جداً عن التحقيق ، ذلك لأن لكل إنسان حياة يشترك فيها مع باقي الناس وحياة لا يشاركه فيها أي إنسان ، لذلك تبدأ التربية بالفرد قبل أن تتناول المجموع .


★ميخائيل نعيمة★

ميخائيل نعيمة ـ مجلة (اليقظة) الكويتية

● إن الشكل العمودي لم يعد الشكل الأوحد كما كان في الماضي ، أو كما يعتقد أولئك الذين كتبوا به ولم يكونوا يتصورون أن بالإمكان تجاوز حدوده مع ذلك يظل الشكل العمودي الشكل الأسمى لأسباب متعددة منها :

ـ إنه المعبّر عن أصالة عبقريتنا الموسيقية ، وعن غناه اللامتناهي الذي يتكشف أكثر فأكثر كلما تقدمت الدراسات الموسيقية الحديثة ، ثم يجب ألا ننسى صعوبته التي تبدو أحياناً كأنها شيء من الاستحالة مما يخلع عليه صفة الندرة ، وفي اعتقادي أنه يمكن لنا إذا بلغنا درجة سامية من امتلاك لغتنا العربية في أرق أساليبها ودلالاتها أن نكتب في أكثر المواضيع معاصرة ، وأن نعبّر عن عصرنا وحقيقة إنسان عصرنا دون أن يعني ذلك اقتصارنا على هذا الشكل وبالطبع من دون أن ننفيه أيضاً .


★أحمد سليمان الأحمد★

أحمد سليمان الأحمد ـ مجلة «الوطن العربي» باريس

● لا أعتقد أن وعاء الشعر العربي أصبح ضيقاً بحيث لم يعد قادراً على استيعاب التجربة الشعرية المعاصرة ـ حتى نبحث للشعر عن وعاء جديد ـ فالمهم أن تكون للشاعر القدرة على نقل التجربة ، ولقد قيل مثل هذا القول عن الشعر العمودي قبل بروز الشعر الحر ، وبالرغم مما أعطاه هذا الأخير ، إلا أن الشعر العمودي ، ظلّ بدوره قادراً على نقل تجارب الشعر ومؤثراً في رسالته ، على أن هذا لا يعني عدم البحث عن آفاق جديدة لإثراء التجربة الشعرية وتطويرها واكتشاف أساليب جديدة تجعل مسيرة الشعر أكثر يسراً وسهولة ومرونة ، مع المحافظة على الركائز الأصلية للشعر بحيث يكون هناك فرق واضح بين الشعر والنثر ، ولا يبعد عن الذهن أن (الشعر لآلئ الفكر) كما عبّر أحد النقاد الغربيين ، لذلك فإنه لمن الضروري أن يكون وعاء هذه اللآلئ الغالية لائقاً ، وأصدافها ملائمة ، والشعر عموماً في رأيي هو ـ للخاصة ـ ينبغي أن يرتفع إليه القارئ الجيد لا أن يهبط هو إلى مستوى القارئ العادي .


★حسن عبد الله القرشي★

الشاعر حسن عبد الله القرشي ـ مجلة «المستقبل» باريس

العربية..

بقلم: علوي طه الصافي

بداهة أن يكون لكل أمة لغتها الخاصة بها، واستتلاء لذلك أدبها، وتاريخها وكل معطياتها العقلية التي تصب داخل ذاكرة هذه اللغة الخاصة كمصدر من مصادر ثروتها، تحفظ للأجيال ما ساهمت به أمتها في تراث الإنسانية.. وإذا ما كانت هذه الأمة ذات مكانة خاصة في ميزان الحضارة والقوة، فإن لغتها تأخذ بالتالي هذه المكانة فيمتد تأثيرها خارج منطقتها الجغرافية كما هو الحال بالنسبة لبعض اللغات الأوروبية كالإنجليزية والفرنسية.

ونحن لسنا في مجال إيراد الأسباب التي جعلت مثل هذه اللغات لغات عالمية لضيق المساحة من ناحية، ولأننا سبق أن أشرنا إليها في موضوع سابق نشر في أحد أعداد السنة الأولى من هذه المجلة.

السؤال.. هل من الممكن جعل لغتنا العربية واحدة من اللغات التي يتحدث ويكتب بها شعوب غير عربية، خاصة أن هناك شعوباً إسلامية غير عربية في آسيا وإفريقيا وأوروبا، تتطلع إلى أن تكون للغة القرآن مكانتها العالمية، لكنها لم تجد الطريق أولا إلى تحقيق هذا الأمل، ولم تمتد ـ ثانياً ـ يد إليها لمساعدتها على تلاوة قرآنها وقراءة الأحاديث النبوية والتفسير والفقه، وتاريخ الإسلام ككل باللغة العربية؟

إذن.. كيف السبيل لتحقيق الانتشار للغة العربية لتكون لغة يحتاج إليها الإنسان في حياته العملية؟

في رأينا أن في يد الحكومات العربية مفاتيح الأبواب المغلقة في وجه اللغة العربية، فهي تستطيع، بتضافر جهودها الصادقة وبحكم تأثيرها العالمي استراتيجياً ووزنها الدولي سياسياً واقتصادياً، أن تعيد للعربية مكانتها.

ونحن نعرف أن الحكومات العربية استطاعت في السنوات الأخيرة أن تجعل من اللغة العربية إحدى اللغات المعترف بها رسمياً في أكثر من مؤسسة دولية .. فلماذا لا نستطيع مضاعفة الجهود لجعلها لغة عمل ، وتجارة ، واقتصاد عالمي ، خاصة أن أغلب الحكومات العربية ترتبط بمعاهدات ثقافية مع عدد كبير من حكومات العالم التي استفادت لغاتها من هذه المعاهدات في الوقت الذي لم نلمس فائدة اللغة العربية من هذه المعاهدات ؟

ومن الظواهر الملموسة وجود عدد من مراكز ومعاهد ومدارس تعليم اللغات الأجنبية في كثير من أقطار العالم العربي ، تبذل جهوداً جبارة في نشر لغاتها وسط أبنائنا بدون مقابل ، وتقدم كل التسهيلات للمنتسبين إليها ، والراغبين في دراستها ، هذا إلى جانب أن أغلب العقود التجارية القائمة ، والتي تقوم بين العرب وغير العرب حكومات وشركات ومؤسسات وأفراداً تكتب بغير العربية في الوقت الذي يكون فيه الطرف الرئيسي والأول والمهم في العقد هو الطرف العربي .

وحين يسافر العربي إلى بلاد غير عربية يجب أن يحتوي جواز سفره على البيانات المطلوبة بغير العربية ، وإلا فلن يسمح له بدخول البلاد ، مع أن الأجانب يدخلون البلاد العربية بجوازات سفرهم المكتوبة بلغتهم ، ولا يطالبون بكتابة أية معلومات أو بيانات في هذه الجوازات بالعربية .. وهذا الوضع ينعكس على تعبئة بطاقات الدخول والخروج في المطارات ، وغيرها من الموانئ البحرية والبرية .

وقد تضخمت أخيراً « عقدة الخواجا » بين أبنائنا وإخواننا العرب ، فأصبحت اللغات الأجنبية على ألسنتهم مصدر فخر واعتزاز ، يرددونها بمناسبة وبدون مناسبة بين أهلهم وقومهم وعشيرتهم .

كما انتشرت ظاهرة الرسائل باللغات الأجنبية بين مؤسسات عربية وبين مؤسسات غير عربية ، وأحياناً بين مؤسسات عربية .. وهذا ما حدا بوزارة الداخلية في المملكة العربية السعودية إلى إصدار أمرها بمنع استعمال غير العربية في هذه الرسائل ، وبودنا أن يتبع هذا الأمر النبيل حملة منظمة على كل الشركات والمؤسسات داخل المملكة للتأكد من تنفيذ الأمر ، لإيماننا أن مثل هذه الأمور لا يكفي



★بالأساليب الحديثة تدرس اللغات الأجنبية★



★بهذا الأسلوب تدرس اللغة العربية★



★صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية ..
المطالبة بمتابعة القرار بعدم استعمال غير اللغة العربية في المملكة★

لحلها مجرد صدور أمر رسمي ، إذ لا بد أن تدعمه متابعة وملاحقة أمينة تحقق أهداف الأمر الكريم .

إلى جانب غزو اللغات الأخرى إلى ديار العربية في مراسلات المعاملات التجارية ، نجد أن عدداً لا يستهان به من أسماء المحلات والشركات والمؤسسات التجارية تحمل أسماء وشعارات غير عربية على مرأى ومسمع من حماة لغة القرآن داخل ديار الإسلام والعرب ! !

كما أن قوائم الطعام في الفنادق الكبيرة مكتوبة باللغات الأخرى ، وإذا وجدت العربية فعلى استحياء .

هذا جانب مما يحدث في داخل البلاد العربية .. فكيف نطمح أن يكون للغة العربية مكانتها العالمية ، والطوابير الخامسة تحاربها في عقر دارها ؟!

واستطراداً للوضع المتقهقر الذي تعيشه اللغة العربية داخل أقطارها العربية نستسمح القارئ أن نروي بعضاً من الوقائع والأحداث التي مرت بنا أثناء أسفارنا .

دُعينا ـ رسمياً ـ مرة إلى أحد البلدان العربية منذ ستة أعوام تقريباً ، وكان وصولي إلى المطار في وقت لم أجد فيه مستقبلاً من قبل الجهة الداعية ، وحين وقفت في الطابور بعد أن تسلمت بطاقة وجهها كتب بالعربية ، والآخر بلغة أجهلها ، ولا أود ذكرها كي لا أثير حساسيات صغيرة عفا عليها الزمن ، وحين تسلم الموظف المختص البطاقة طلب مني أن أضع هذه البيانات باللغة الأخرى على الوجه الآخر من البطاقة ، فأفهمته أنني لا أجيد هذه اللغة وأنني جئت بدعوة رسمية لا من أجل السياحة ، أو التجارة ، بل من أجل حضور مؤتمر عربي ، فأصر الموظف بعناد ، حاولت تلطيف الجو فقلت له إن وجود وجه من البطاقة بالعربية وآخر باللغة الأخرى يعطي الحق للراكب تعبئتها بإحدى هاتين اللغتين ، وقد مارست حقي فكتبت بالعربية على وجه البطاقة العربي ، فلم يفهم مني كما تصورت ، ونظر إليَّ كإنسان متخلف وجاهل ! ! !

سألته ـ في صبر ـ لماذا يكتب الآخرون المعلومات المطلوبة على وجه البطاقة غير العربي ولا يطالبون بكتابة هذه المعلومات مرة أخرى على الوجه العربي ؟

أجابني بطريقته الخاصة إما أن تكتب باللغة الأخرى ، أو لا تدخل ! ! ؟

عند هذا الحد لا أدري لماذا وجدت نفسي مصراً على موقفي ، فأنا عربي ، والبلد الذي سأدخله عربي ، والبطاقة تعطيني الحق في الكتابة بالعربية .. كما أنني جئت بدعوة رسمية .. لكن كل هذه المبررات لم تزحزح صاحبنا عن موقفه .

وحين أدركت إصراره طرحت أمامه حلاً آخر بأن أكتب البيانات بلغة أخرى أعرفها بدلا من اللغة المطلوبة التي لا أعرفها ، ولكنه لم يوافق وتركني بعد أن أنهى عمله وحيداً أقتات ذل لغتي العربية الغريبة في بلادها ! ! !

وساق الله إلي موظفاً آخر شرحت له مشكلتي فعاونني بأن ترجمت له بالعربية إلى اللغة الأخرى التي أفهمها ، والتي كان هو الآخر يفهمها فترجم ذلك إلى اللغة الأجنبية الأصلية المطلوبة في البطاقة .

وفي داخل هذا البلد وغيره من البلدان العربية القريبة منه رأيت العجب العجاب ، وأن زمناً طويلاً لن يحل مشكلات اللغة العربية إذا لم تتضافر الجهود الرسمية .

وقد عجبت كيف تمكنت هذه اللغات الأجنبية من أبنائنا في تلك البلاد بشكل جعلت التفاهم معهم في بعض الأحيان صعباً ، ومدعاة للحزن .

إذن .. ما المطلوب ؟

المطلوب يجب أن نعترف أنه لن يتحقق بين عشية وضحاها ، ولن تثبت العربية وجودها الشامل داخل كل الأقطار العربية إلا إذا وجدت النيات الصادقة من كل الحكومات العربية وانتبهت للأمر ، وتبنته بكل وسائل السلطة التي تمتلكها إلى جانب وسائل الإعلام المختلفة من إذاعة ، وصحافة ، وتلفزة ، وأن تكون الخطط نابعة من البيئة لا مستوردة ، لأن أهل مكة أدرى بشِعَابها .



★ أحد المواطنين في نيجيريا يقوم بتدريس اللغة العربية ★

فلنبدأ أولا بأنفسنا من خلال سلطات حكوماتنا ، لأن الأفراد مهما أخلصوا للغة العربية فإن جهودهم تنحصر في الوسائل الشفهية ، وهذا لا يكفي إذ لا بد من وجود وسائل الردع الرسمية التي تملكها الحكومات .. وبدون ذلك لن نحقق شيئاً .

وهذا لا يعني أن نكتفي بالإصلاح الداخلي ، إن هذا الإصلاح يجب أن يمتد مفعوله إلى خارج الأقطار العربية ، إلى الأقطار التي يمكن من خلالها أن تحقق للعربية انتشاراً سريعاً .

وأن تستعمل الحكومات العربية في بلادها حقها في فرض اللغة العربية داخل بلادها وخارجها انطلاقاً من القاعدة الدولية « المعاملة بالمثل » .

وقد زرت عدداً من البلدان الآسيوية والإفريقية والأوروبية ، فوجدت لدى شعوب هذه البلدان الرغبة الصادقة في تعلم اللغة العربية ، لكن انعدام وسائل تعليمها في بلدانهم تقتل في نفوسهم هذه الرغبة ، فلا مدارس ، ولا معاهد ، ولا مراكز عربية يتولى قيادتها أشخاص يمتلكون من المرونة والحيوية والكفاءة والقدرة ما يجعل من هذه المراكز خلية نحل في تعليم العربية ، ووسائل ناجحة للقيام بدورها على الوجه المطلوب .

إن المسلمين من غير العرب يتمنون أن يعرفوا العربية ، وإن بعضاً من غير المسلمين يرغبون دراسة اللغة العربية للتعرف على العرب وتاريخهم وأدبهم ، وعلى الإسلام وتعاليمه خاصة في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ العرب والمسلمين .

إن العالم يقرأ عنا باللغات الأجنبية التي يكتب بعضها أشخاص تدعمهم الصهيونية والشيوعية لتشويه العرب والمسلمين في الوقت الذي تركز جهود إعلامنا داخل الوطن العربي ! !

أرجو أن لا يتصور أحد المتفرنجين ، أو أصحاب « عقدة الخواجا » « كل فرنجي برنجي » ، أنني رجل إقليمي ضيق الأفق ، وأنني أدعو إلى التخلف والجهل .

كما أرجو أن أكون بمنأى عن هذه الاتهامات ، فأنا أدعو إلى الانفتاح على العالم ، وتعلم لغاته ، خاصة أن ديننا الحنيف يدعونا إلى تعلم لغات القوم ، والاستفادة من معارفهم وعلومهم ، لكنني أدعو في نفس الوقت أن يكون في مقابل هذا الانفتاح نصيب للعربية ، ليس لأنها لغتنا كعرب ، وإنما لأنها لغة استطاعت يوم كنا أقوياء وسادة ، أن تكون لغة عالمية يدرسها العالم ، ويطلب العلم أبناء الفرنجه في كتبها .

فلماذا لا يكون لها مكانها ، ومكانتها بين لغات شعوب الأرض اليوم ؟ ولماذا نضيق بهذا الأمل ونكش التراب في وجه قائله والعالم يرغب ذلك لكنه وجدنا لا نحفل بذلك لانشغالنا بأمور أخرى لا علاقة للعربية بها ؟

إنني هنا لا انتقص شعوب الأرض حقها ، ولا أقلل من قيمة لغاتهم ، لكنني أدعو الحكومات العربية ، وأناشدها بأن تقوم بدورها في إعطاء العربية حقها ، لتأخذ مكانها المناسب بين لغات العالم رسمياً وشعبياً .. فهل في هذا المطلب إقليمية وضيق أفق وتخلف أو جهل ؟!

إننا نظلم أنفسنا بأنفسنا في بعض الأحيان ، ونضع اللوم كله على غيرنا ، لأننا لم نناقش قضية الظلم بوعي ، وتفتح ، وفهم .

فاللغة العربية مظلومة .. ولا يحررها من ظلمها سوى الحكومات العربية بكل ما تملكه من وسائل مؤثرة وعملية وفعّالة .

فهل تسمع الحكومات العربية .. صوت العربية ؟
نأمل ذلك .. والله المستعان .

تغيرات الهيكل الوظيفي للعمالة في المملكة العربية السعودية

بقلم : د . عمر الفاروق السيد رجب

تنتمي **التغيرات الهيكلية للعمالة** - في طبيعتها - **للتغيرات الكيفية والنوعية** التي تتعرض لها قوة العمل أثناء عمليات نموها وتطورها في دولة من الدول ، وتحت ظروف معينة تتصل بتنوع المجالات الاقتصادية ، وبزيادة **درجة**

التخصص والتمايز بين أقسامها ، وبنمو **الطلب** على التخصصات الرفيعة في نواحي اقتصادية واجتماعية وإدارية متنوعة ومتشعبة ، ولما كانت **التغيرات الكمية والكيفية** للهيكل الوظيفي للعمالة تستغرق وقتاً حتى تسفر عن نتائجها

بوضوح ، فربما أمكن - لهذا الاعتبار - النظر إلى تكوين **العمالة السعودية في ١٩٧٠ م** ، باعتبارها تمثل خلاصة لجملة التغيرات التي طرأت على قوة العمل في المملكة منذ نحو عقدين من السنين قبلها ، أي خلال الفترة التي بدأت فيها المملكة مرحلتها الاقتصادية الراهنة المعاصرة . . منذ نهاية **الحرب العالمية الثانية** (١٩٤٥ - ١٩٨٠ م) ، والتي تبدت أثناءها نتائج البترول وآثاره في تركيب قوة عملها ، وفي ظهور التخصصات الكيفية بين وظائفها . . ، وفي نمو حجمها لأسباب شتى داخلية وخارجية .

تغيرات الهيكل الوظيفي للعمالة في المملكة العربية السعودية

والواقع أن الهيكل الوظيفي لقوة العمل ـ في دولة ما ـ إنما يعكس آخر الأمر بنيتها الاقتصادية وتكوينها الاجتماعي ، وتغيرات قوة العمل بها كماً وكيفاً . . . هي جزء من التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في هذه الدولة . . ، ومن هنا . . فإن التركيب الوظيفي لقوة العمل . . تختلف فاعليته من دولة لدولة . . ومن مرحلة إلى أخرى في الدولة الواحدة . . ، وذلك تبعاً لدرجة مواءمة هذا التركيب لظروفها ، ودرجة استجابته لتغيراتها الجارية . . ، **لقد كان انقسام قوة العمل في المملكة عامة ـ قبل قيام الدولة واكتشاف البترول ـ إلى إطارات واسعة من الرعاة والزراع والتجار ، مناسباً لتركيبها الاقتصادي والاجتماعي آنذاك ، غير أنه لم يعد كذلك بالتأكيد بعد التغيرات العميقة الجوهرية التي طرأت على ذلك التركيب منذ قيام الدولة السعودية . . وخاصة بعد اكتشاف البترول** ، ولأن التغيرات هذه كانت شاملة وجذرية وسريعة ، فقد واجهت المملكة مشكلة ضعف فاعلية قوة العمل بها لمجاراة هذه التغيرات الكمية والكيفية معاً . . ، وأصبح واضحاً أن هناك فارقاً واسعاً . . بين إمكانياتها وتغيراتها الحضارية . . ، وبين امكانيات قوة العمل بها ودرجة استجابتها لهذه التغيرات .

ويعتقد مخططو القوى العاملة والمهتمون بموضوع تنمية الموارد البشرية بأن أفضل تراتب لسلم وظائف قوة العمل للدولة النامية . . هو كما يلي

(النسبة مئوية) :

المهندسون والباحثون	الفنيون	العمال المهرة	العمال نصف المهرة
٥	١٥	٣٠ـ٣٥	٤٥ـ٥٠

(I.S.C.O., International standard classification of occupations.)

ولا شك أنه تراتب عام . . قد يكون معبراً عن حال بعض الدول الصناعية المتوسطة التي تهدف إلى المحافظة على توازن تراتب سلم وظائف قوة العمل بها ، بأكثر منه تعبيراً عن حال تراتب هذا السلم في معظم الدول النامية . . ومنها المملكة ، وهي الدول التي يمثل العمال **غير المهرة ونصف المهرة** النسبة الكبرى (٨٠ ٪) من قوة العمل في أيها ، ويختلف تعريف **« العامل الماهر »** وتوصيفه بها عن تعريف الدول المتقدمة له وتوصيفها لقدراته ، ففي **الدول النامية** قد يعد **« مهندساً »** كل من يفهم في ميكانيكا السيارات أو في بعض أعمال الصيانة ، وهو ما يختلف تماماً عن « المهندس » في **الدول الصناعية** الراسخة . . ، وهكذا . . إلى آخر هذه التفصيلات المتصلة بتعريف بقية الوظائف الفنية في هيكل العمالة وتوصيفها .

ولا شك أن إعداد العمالة الفنية يتطلب شروطاً . . كما يتطلب زمناً ، شروطاً تزداد دقتها وزمناً يطول مداه مع الصعود في سلم التراتب الوظيفي للعمالة ، ويرتبط الزمن بكمية المعلومات النظرية وتنوع الخبرة العملية وتعقدها ، تلك التي يستوعبها ويمارسها الشخص أثناء فترة إعداده للدخول في نسيج قوة العمل بكفاءة وحيوية ، **وتشير الدراسات الخاصة بسلم التركيب الوظيفي لقوة العمل في معظم الدول العربية إلى تشابه خصائصه بينها . .** فهو سلم عريض القاعدة جداً يتكون من العاملين في أدنى سلم المهارات الوظيفية ، وتنخفض نسبة العاملين تدريجياً مع الصعود إلى المستويات الوظيفية الأعلى ، حتى تواجه معظمها مشكلات نقصها عن احتياجاتها الفعلية في الحاضر وربما في المستقبل أيضاً بالنسبة لبعضها .

وقد أورد تقرير **خطة التنمية الثانية بالمملكة (١٣٩٥ ـ ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٧٥ ـ ١٩٨٠ م)** الفئات الآتية للمجموعات الوظيفية بمستوياتها الفنية لقوة العمل في المملكة . . ، مع تقديرات لزيادتها بين ٧٠ ـ ١٩٧٥ م (. . **المهنيون والفنيون** ، وقد قدر معدل نموهم في الفترة المذكورة بنحو ٩,٧ ٪ ، **والإداريون والمديرون ٩,٣ ٪ ، والأعمال الكتابية ١٠,٢ ٪ ، وموظفو المبيعات ٧,٩ ٪ ، وعمال الخدمات ٨,٩ ٪ ، وعمال الإنتاج ١١,٩ ٪** ، أما **المزارعون والصيادون** . . فقد تناقصوا بنسبة ١ ٪ . .) . وتدل هذه التقديرات العامة على عدم وضوح الأرقام الفعلية لتوزيع قوة العمل بها في ١٩٧٠ م حسب المجموعات الوظيفية وفئاتها ومستوياتها ، ذلك النقص الذي انتفى ـ تقريباً ـ بالنسبة لأرقام ١٩٧٥ م . . ، فهي أكثر شمولا وتخصيصاً ، كما أنها تشمل الأعداد الفعلية مع معدلات نموها بدرجة من الدقة أعلى إحصائياً .

ويلخص الجدول الآتي توزيع قوة العمل العامة في المملكة بين سعوديين وغير سعوديين (من الذكور والإناث) . . ، ومعدل النمو السنوي لكل فئة منها (الأرقام الفعلية بالألف والنسبة مئوية ، ومصدر الأرقام تقرير خطة التنمية الثانية بالمملكة . . كما هو شأن جميع الأرقام الأخرى الواردة عن المملكة خاصة ، في هذه الدراسة . .) .

	سعوديون	غير سعوديين	جملة	سعوديات	غير سعوديات	جملة	المجموع الكلي
١٩٧٥	١,٢٥٩	٣٠٦	١,٥٦٥	٢٧	٨	٣٥	١,٦٠٠
١٩٨٠	١,٤٧٠	٧٦٧	٢,٢٣٧	٤٨	٤٥	٩٣	٢,٣٣٠
النمو السنوي ٪	٣,١	٢٠,٢	٧,٤	١٢,٢	٤١,٢	٢١,٦	٧,٨

وبدراسة الجدول السابق . . والجدول التفصيلي (المرفق مع هذه الدراسة في نهايتها) يمكن تناول تغيرات الهيكل الوظيفي للعمالة في المملكة العربية السعودية تبعاً لفئاتها الواردة في هذا التصنيف . . وتشمل (المديرون ، المهنيون ، الفنيون والمساعدون ، الكتبة ، موظفو المبيعات ، عمال الخدمات ، العمال المهرة ، العمال نصف المهرة ، العمال غير المهرة . . وغيرهم) . . وذلك من الناحيتين الآتيتين :

- **أولا : توزيع قوة العمل حسب المجموعات والفئات الوظيفية في ١٩٧٥ م .**
- **ثانياً : توقعات الطلب على الأيدي العاملة حسب الفئات والمجموعات الوظيفية ٧٥ ـ ١٩٨٠ م .**

أولا : توزيع قوة العمل حسب المجموعات والفئات الوظيفية في ١٩٧٥م

١ ــ حسب أرقام ١٩٧٥م (خطة التنمية الثانية) ، تبلغ جملة العمال المصنفين تحت « عمال غير مهرة » ٢٤٤ ألف نسمة .. جميعهم من السعوديين ، فهم بذلك يمثلون نسبة قدرها ١٥,٢٥ ٪ من جملة قوة العمل في المملكة ، والتي بلغت في ١٩٧٥م - كما سبقت الإشارة - ١,٦ مليون عامل ، وترتفع هذه النسبة إلى ١٨,٩٧ ٪ .. بالقياس إلى جملة قوة العمل **من السعوديين** فقط .. والتي بلغت (في نفس التاريخ) ١,٢٨٦ مليون عامل .

وإذا ما أضيف إلى هؤلاء العمال « **غير المهرة** » فئة « **العمال نصف المهرة** » (٢٣٢,٨٠٠ عامل) ، فإن جملة العمال « **غير المهرة ونصف المهرة** » معاً .. تصل إلى ٤٧٦,٨٠٠ عامل ... أي بنسبة قدرها ٢٩,٨٠ ٪ من جملة قوة العمل في المملكة ، غير أنه إذا كان جميع العمال **غير المهرة** من السعوديين .. فإن الأمر ليس كذلك بالنسبة **لنصف المهرة** منهم .. حيث يتوزع الأخيرون منهم بين السعوديين وغير السعوديين ، وذلك بنسبة ٧٣,٠٣ ٪ ، ٢٦,٩٧ ٪ على الترتيب ، وهكذا .. فإن نسبة العمال غير المهرة ونصف المهرة **من السعوديين** تصل إلى ٢٥,٨٧ ٪ من جملة قوة العمل **من السعوديين** في المملكة .

٢ ــ يتطلب السياق السابق متابعته بالنسبة لفئتين من الوظائف لا يرد في أرقام الخطة عنهما أي تحديد للمستوى الفني للعمالة بهما ... وهما « **المزارعون ، البدو** » ، وهما فئتان تضمان الأيدي العاملة التقليدية في المملكة .. وجملتهم من **السعوديين** ... وقد يمكن اعتبار هذه الأيدي العاملة التقليدية **ماهرة** فنياً ... باعتبار **الظروف الآيلولوجية** في مناطقها وقدرتها على التكيف معها والاستمرار في إطارها رغم مشاكلها القاسية ، غير أنها على الأرجح ليست كذلك ... أي يصعب اعتبارها عمالة فنية لاعتبارات عديدة ، منها **اعتبار** المستويات الراهنة للأداء الوظيفي لحرفتي الزراعة والرعي ... **وباعتبار** العائد الإنتاجي الإجمالي من هذين القطاعين الاقتصاديين ومدى مساهمتها في الدخل القومي العام .. بالقياس إلى نسبة استيعابهما من الأيدي العاملة ، **وباعتبار** وجود **بطالة مقنعة** بين قوة عملهما .. كما هو شائع في قوة العمل الزراعية والرعوية التكافلية المعيشية التقليدية عامة ، ثم **باعتبار** الأهداف المرجوة من برامج رفع كفاية الأيدي العاملة في القطاعين ، من أجل تنمية وانعاش اقتصادياتها ضمن خطط التنمية العامة في المملكة ، وأخيراً .. **باعتبار** يفوق غيره من الاعتبارات أهمية .. وهو أن هذه الأيدي التي ما تزال تعمل في الرعي والزراعة .. إنما تمثل - في نسبة منها - الرصيد المتجدد لقوة العمل في غيرهما من القطاعات ، حيث هي تنزح بنسب متزايدة من مناطق الرعي والزراعة إلى المدن والمراكز الحضرية في المملكة ، وهي تدخل بذلك - فوراً - وبمجرد نزوحها واستقرارها ضمن فئتي العمال غير المهرة أو نصف المهرة على أكثر تقدير ، لهذا .. **ومن وجهة نظر التنمية وتبعاً لاعتباراتها** يجدر اعتبارهم ضمن الفئتين المذكورتين ، إما لوضع برامج تدريبهم كمزارعين وكرعاة .. وتحسين مستوى آدائهم للوظيفتين في مناطقهما ، وإما لوضع برامج أخرى لتدريبهم ورفع مستوى آدائهم لوظائفهم الحضرية المحتملة .. باعتبارهم رصيد العمالة واحتياطيها بالنسبة للمدن والمراكز الحضرية .

وتبعاً لهذه النتيجة السابق تحديدها ... يضاف إلى العمالة « **غير الماهرة ونصف الماهرة** » في المملكة جملة الأيدي العاملة في قطاعي « **الزراعة** » (٣١١,٢ ألف عامل) و « **الرعي** » (١١٤,٩ ألف عامل) فتصير جملتها ٤٢٦,١٠ ألف عامل ، أي بنسبة قدرها ٢٦,٦٣ ٪ من جملة قوة العمل في المملكة ، ولما كانت جملة الأيدي العاملة في القطاعين (الزراعة ، الرعي) جميعاً من **السعوديين** ، فإن جملة العمال غير المهرة ونصف المهرة من **السعوديين** تزيد - مرة أخرى - إلى ٨٤٠,١ ألف عامل ، أي بنسبة عالية قدرها ٦٥,٣٢ ٪ من جملة الأيدي العاملة في المملكة **من السعوديين** ، وهي تمثل - كما سبقت الإشارة - نسبة عالية في مجال القياس الكيفي والنوعي للعمالة ... تقتضي وضع سياسة متكاملة لخفضها في المستقبل القريب ، خاصة وأن برامج التنمية في المملكة تعاني من الآثار والنتائج السلبية الناجمة عن زيادة نسبة العمالة غير الماهرة ونصف الماهرة في بنيتها ... والتي تتمثل في أدنى تقدير في عدم تحقيق هذه البرامج لأهدافها بالمعدلات الموضوعة أو المرجوة .

٣ ــ يقدم **الجدول (المرفق)** فئة وحيدة « **للعمال المهرة** » ، تبلغ جملتها ١١٧,٢ ألف عامل ، أي بنسبة قدرها ٧,٣٢ ٪ من جملة قوة العمل بالمملكة ، وتبلغ جملة **السعوديين** من بينهم ٧٠,١ ألف عامل (٥٩,٨١ ٪ منهم) ، أما **غير السعوديين** .. فهم يمثلون باقي العدد ٤٧,١ ألف عامل ، وبقية النسبة ٤٠,١٩ ٪ ، ويبدو الفارق كبيراً بين عدد ونسبة العمالة الماهرة إلى عدد ونسبة غير الماهرة منها ، فمن بين كل خمسة من الأيدي العاملة في المستويين المذكورين .. يوجد منهم ٤ من غير المهرة ونصف المهرة .. وعامل واحد فقط ماهر ... ويشير ذلك - من الناحية العملية - إلى ضرورة تعديل هذه النسبة ، وذلك بالبحث في أسبابها وتوجيهها نحو التعديل المطلوب ، خاصة وأن رصيد الأيدي العاملة غير الماهرة ونصف الماهرة .. ومعدل تدفقها الحالي ونزوحها من مناطقها ... يشير إلى أن هذه النسبة تزداد اتساعاً ولا تضيق تبعاً للتعديل المرجو ، أي أن التعديل يجب أن يتم في اتجاهين ، يتضمن **الأول** : إنشاء مراكز التدريب الوظيفي والمهني لرفع كفاية الأيدي العاملة حالياً ، ويشمل **الثاني** : العمل على إيقاف تأثير تيارات النزوح السلبية بالنسبة لتكوين قوة العمل ، وقد يتطلب ذلك أيضاً - كاتجاه ثالث - ولكن بصورة مرحلية ... استقدام المزيد من الأيدي العاملة من منابعها في الدول العربية أو في غيرها من الدول القريبة والبعيدة الثرية بمثل هذا المستوى من العمالة ، وقد يتطلب تدعيم هذا الاتجاه الثالث تنظيم حركة العمالة (الصناعية بوجه خاص) بين الدول العربية والمملكة ، وبين المملكة والدول الصناعية .. تنظيماً لا يشمل تحركاتها ومعدلات استقدامها فحسب ... بل وأيضاً مستويات تدريبها ونوعية هذا التدريب ، وذلك تبعاً لمتطلبات المجالات الاقتصادية المختلفة في المملكة .. في ظل مرحلتها الحالية وشروطها .

٤ ــ تأتي بعد ذلك أربع فئات وظيفية تضم « **المشتغلين ، عمال الخدمات ، موظفي المبيعات ، الكتبة** » ... وهم يمثلون في جملتهم مستوى من مستويات العمالة الفنية ، ولكنها تعمل - غالباً - في غير القطاع الإنتاجي ، أي من الموظفين في القطاعين الحكومي والخاص ، فهم يمثلون في جملتهم قواعد الإدارة العامة من مستوى فني وتنفيذي أدنى من رؤساء الإدارة ومديروها ، وتبلغ جملة هذه الفئات الأربع ٤٤٥,٧٠ ألف عامل ... أي بنسبة قدرها ٢٧,٨٥ ٪ من جملة قوة العمل في المملكة ، وتبلغ جملة « **السعوديين** » من بينهم ٢٩٥ ألف عامل ، وهو ما يمثل نسبة تصل إلى ٦٦,١٨ ٪ من جملة العاملين في هذه الفئات الوظيفية ، وهو ما يعكس **الاتجاه الحالي للأيدي**

العاملة السعودية للدخول في نسيج القطاع الوظيفي غير الإنتاجي ، وذلك نظراً للتيسيرات التي تقدم في هذا القطاع ، وكذلك لارتفاع مرتباته بالقياس إلى سهولة آدائه وعدم احتياجه لتدريب طويل ، بل يكفي لدخوله المستوى المتوسط من التعليم العادي ، واتقان القراءة والكتابة وإجراء العمليات الحسابية غير المعقدة ، فضلاً عن إتاحته الفرصة لنسبة كبير منهم للالتحاق بالجامعة لرفع مستوياتهم الوظيفية في نفس القطاع .

ومن الواضح أن **غير السعوديين** هم الذين يمثلون باقي عدد العاملين في هذه الفئات وجملتهم ١٤٩,٣٠ عاملاً . . بنسبة ٣٣,٨٢ ٪ من جملتهم . . . ، أي أن من بين كل ثلاثة من العاملين في هذه الفئات الوظيفية . . هناك عامل واحد من غير السعوديين .

٥ ـ تأتي بعد ذلك المستويات الثلاثة الأخيرة التي تمثل قمة العمالة الإدارية الوظيفية ، ويمثلها « **المديرون ، والمهنيون ، والفنيون المساعدون** » . . . وتبلغ جملتها ١٠٦,٨٠٠ عامل ، أي بنسبة قدرها ٦,٦٧ ٪ من جملة قوة العمل بالمملكة ، وهم يتوزعون ـ أيضاً ـ ما بين **سعوديين** بعدد ٨٠,٨٠٠ عامل ونسبة ٧٥,٦٥ ٪ ، **وغير سعوديين** بعدد ٢٦ ألف عامل ونسبة ٢٤,٣٥ ٪ ، وهو ما يؤكد الحقيقة الهامة السابق تحديدها . . بشأن اتجاه الأيدي العاملة السعودية نحو هذه الوظائف والأعمال الإدارية والمهنية والفنية . . خاصة ـ كما هو واضح ـ في مستوياتها العليا ، وهو اتجاه يعبر عن زيادة عدد المتعلمين والمؤهلين للأعمال الإدارية ، ولهذا الاتجاه جوانبه الإيجابية المتمثلة في سد احتياجات هذا القطاع من العاملين السعوديين من مستوى مرتفع ، غير أن له جوانبه السلبية أيضاً ، حيث إن جاذبية وظائف هذا القطاع وأعماله . . قد غطت ـ نسبياً ـ على جاذبية وظائف وأعمال القطاع الإنتاجي (الصناعي بوجه خاص) ، حيث إن الأخيرة أصعب ، وربما تكون أرباحها مؤجلة بعض الشيء ، ولكنها ـ بلا شك ـ الأكثر جدوى بالنسبة لاقتصاديات المملكة ككل في الحاضر والمستقبل ، ومن المؤكد أن هناك ـ ما تزال ـ حاجة ملحة إلى العاملين في الوظائف الإدارية والفنية العليا . . . ، إلا أن هناك نقطة عند **منحنى العرض والطلب** ، يلزم تحديدها بدقة حتى لا تواجه العناصر البشرية ـ التي تعد نفسها الآن لمثل هذه الوظائف ـ بأن لا مكان فعال لها في الهيكل الوظيفي العام للمملكة ، وبذلك قد تتحول نسبة من هذه الكفاءات عالية المستوى إلى **فائض عمالة** ظاهر أو مستتر .

وبالنظر إلى فئة « **المديرين** » وحدها . . فإن جملتها تبلغ ١٣٧٠٠ عامل (**سعوديون وغير سعوديين**) ، فهي تمثل نسبة قدرها ٠,٨٥ ٪ من جملة قوة العمل بالمملكة ، وهي ـ بذلك ـ تزيد بها عنها في « **الجزائر** » (٠,٨٠ ٪) و « **الكويت** » (٠,٧٠ ٪) ، و « **تونس** » (٠,٧٠ ٪) ، و « **سورية** » (٠,٤٠ ٪) ، ويعيب هذه المقارنة أن أرقامها ليست لسنة واحدة . . بل من سنوات مختلفة تبعاً لمصدر صدورها ، ولذلك . . فإن أهميتها تقتصر على مجرد الإشارة . . إلى أن هذه النسبة قد بدأت تتجاوز في المملكة مثيلتها في بعض الدول العربية . . . ، وقد تكون هذه الدول جميعها ما تزال في احتياج لعناصر من هذه الفئة ، ومن هنا تنضح ـ مرة ثانية ـ أهمية تحديد العمالة اللازمة لهذه الوظائف الآن ـ وفي المستقبل ـ تحديداً دقيقاً .

أما بالنسبة لفئة « **المهنيين** » وحدها . . فإنها تستوعب نسبة قدرها ٤ ٪ من جملة قوة العمل السعودية . . . ، وهي ما تساوي عمالة فعلية قدرها ٦٤,١ ألف عامل من السعوديين وغيرهم . . . ، وإذا ما أضيف إليها فئة « **الفنيين والمساعدين** » . . وجملتهم ٥٦,٤ ألف عامل . . من السعوديين وغير السعوديين (أي بنسبة ٣,٥٢ ٪ من جملة العمالة بالمملكة) . ، فإن جملة الفئتين تصبح ١٢٠,٥ ألف عامل . . بنسبة استيعاب قدرها ٧,٥٢ ٪ من جملة قوة العمل في المملكة ، وقد بلغت نسبة استيعاب **الفئتين** في « **الكويت** » ـ وهي أعلاها بين الدول العربية ـ نحو ١٠,٥ ٪ سنة ١٩٧١ م ، يليها « **لبنان** » (٩,٢ ٪) ١٩٧٠ م ، ثم « **البحرين** » (٨,٠٠ ٪) ١٩٧١ م ، ثم « **المملكة** » (٧,٥٢ ٪) ١٩٧٤ م ، وهي في « **مصر** » (٤,٤ ٪) ١٩٦٦ م ، فهي على الأرجح قد تزايدت بها بعد ذلك التاريخ ، وهي في « **سورية** » (٤,٣ ٪) ١٩٧٠ م ، وتقل عن ذلك في « **المغرب وتونس** » (٤ ٪ لكل منهما) في سنة ١٩٧١ م للأولى ، وفي ١٩٦٦ م للثانية ، أما في **الجزائر** فقد بلغت هذه النسبة (٣,٤ ٪) ١٩٦٦ م .

وهكذا تعسر المقارنة بين هذه الأرقام في ظل هذه التواريخ المتفاوتة ، ولكن أرقامها تشير بوجه عام إلى وضع هاتين الفئتين في بعض الدول العربية . . بالمقارنة مع وضعها في المملكة العربية السعودية .

ويمكن تحديد أهم النتائج التي أسفر عنها هذا التحليل السابق فيما يلي :

● **أولاً** : تستوعب العمالة غير الماهرة ونصف الماهرة . . النسبة الكبرى من الأيدي العاملة السعودية . . ، فمن بين جملة عمالة قدرها ١,٢٨٦ مليون عامل سعودي ، هناك نسبة قدرها ٦٥,٣٢ ٪ من العمال غير المهرة ونصف المهرة . . ومن الزراع والرعاة التقليديين .

● **ثانياً** : تمثل الأيدي العاملة غير السعودية نسبة هامة من قوة العمل في المملكة . . تصل إلى ١٩,٦٢ ٪ ، غير أن هذه النسبة تزيد إذا ما قورنت بجملة العمالة الفنية في المملكة من كافة الفئات ، حيث تصل جملتهم إلى ٢٥١,٢٠٠ عامل . . أي بنسبة قدرها ٣٦,٠٣ ٪ من جملة هذا النوع من العمالة في المملكة وقدرها ٦٩٧,١٠٠ ألف عامل . . ، هذا عدا ما يوجد منها ـ أي من الأيدي العاملة ـ غير السعودية ، تحت فئة العمال « **نصف المهرة** » . . ، وقد سبقت الإشارة إليها .

● **ثالثاً** : تتجه الأيدي العاملة السعودية من المستويات العالية (إدارية ، ومهنية ، وفنية) إلى التركز في القطاعات الوظيفية غير الإنتاجية ، وهي الصورة التي سبق تحديدها إحصائياً ، والتي تقتضي نوعاً من المواجهة على منحنى العرض والطلب لهذه المستويات العالية ، ولغيرها من الوظائف من نفس المستوى في القطاعات الوظيفية الإنتاجية .

ثانياً : توقعات الطلب على الأيدي العاملة حسب الفئات الوظيفية بين ٧٥ ـ ١٩٨٠

لقد تم تحديد هذه التوقعات بناء على عدد من المؤشرات الاقتصادية في المملكة ، يتصل بعضها بالصناعة وبرامج تنميتها ، ويتصل بعضها بالزراعة ومشاريع إنعاشها ، كما يترابط بعضها الثالث بالاحتياجات العامة لرفع مستوى الإدارة والخدمات ، ويمكن تحديد هذه المؤشرات فيما يلي :

١ ـ التوسع الكبير في مشروعات الصناعة ، وتزايد حاجة هذا التوسع إلى الفنيين والمتخصصين تخصصاً عالياً لإدارة المصانع من المهندسين والعمال المهرة ، سواء من حيث العدد أو من حيث ارتفاع مستوى الأداء ، وفي هذا

الجانب من جوانب سوق العمل يزيد الطلب عن العرض .

٢ ـ الاتجاه الحالي والمتوقع نحو التوسع في مشروعات الزراعة ، وخاصة تلك المتصلة منها ببرامج التصنيع الزراعي ، وما يتطلبه ذلك من عمالة ذات خبرات خاصة في هذه المجالات ، وما قد تحتاجه من خطة تعالج جوانب الطلب لمستويات العمالة المختلفة الخاصة بمثل هذه المشروعات .

٣ ـ يتطلب تطوير وسائل الإنتاج وأساليبه والدخول بها إلى مستوياتها المعاصرة ، والارتفاع بمعدلات الإنتاج وتحديث الآلات . . . يتطلب ذلك ـ وغيره ـ مستوى رفيع التخصص في المجالات الصناعية والاستثمارية والإدارية ، وهذه بدورها تتعرض لطلب مكثف يزيد بكثير عن الموجود منها بالفعل من كفاءات بهذا المستوى .

وحسب توقعات نمو العمالة في المملكة بين ٧٥ ـ ١٩٨٠ م . . فإن جملتها سوف تصبح ٢,٣٠٣,٦٠٠ عامل (١٩٨٠ م) ، أي بزيادة فعلية قدرها ٧٣٠,٦٠٠ عامل (١٩٧٥ م) . . . وهي ما تساوي نسبة نمو قدرها ٤٥,٦٦ ٪ . . . غير أنه من المتوقع أن تسهم الأيدي العاملة **غير السعودية** بالنسبة الكبرى من هذه الزيادة ، وبالتالي . . فإن نسبة استيعابها من العمالة العامة في المملكة سوف ترتفع في ١٩٨٠ م عنها في ١٩٧٥ م ، فبينما كان عدد الأيدي العاملة **السعودية** يبلغ ١,٢٨٦ مليون عامل في ١٩٧٥ م ، فإن من المتوقع لها أن تصل إلى ١,٥١٨ مليون عامل . . . أي بزيادة قدرها ٢٣٢ ألف عامل ، وهو ما يعني نسبة نمو قدرها ١٨,٠٤ ٪ فقط ، وبذلك فإن نسبة استيعابها إلى جملة قوة العمل العامة في المملكة سوف تنخفض من نحو ٨٠,٣٧ ٪ إلى ٦٥,١٣ ٪ فقط بين ١٩٧٥ ـ ١٩٨٠ م ، أما العمالة **غير السعودية** . . فإن جملتها سوف تزيد من ٣١٤ ألف عامل . . إلى ٨١٢,٦ ألف عامل . . خلال نفس الفترة ، أي بنسبة نمو قدرها ١٥٨,٧٨ ٪ ، وبذلك . . فإن نسبة استيعابها سوف ترتفع من ١٩,٦٣ ٪ في ١٩٧٥ م إلى ٣٤,٨٧ ٪ في ١٩٨٠ م . . ، وهكذا سوف يزداد اسهام الأيدي العاملة غير السعودية من جملة قوة العمل السعودية خلال الفترة المذكورة عما كانت عليه قبلها ، وسوف تنعكس نتائج هذا التغير الأساسي بالنسبة لكافة الفئات الوظيفية . . على النحو التالي :

١ ـ سوف تحقق جميع الفئات الوظيفية نمواً ـ وإن تفاوتت معدلاته ـ خلال الفترة المحددة بين ٧٥ ـ ١٩٨٠ م ، وذلك باستثناء « **الزراع ، البدو** » الذين سيتناقص عددهم وتقل نسبة استيعابهم في ١٩٨٠ م عنها في ١٩٧٥ م ، ومن المتوقع أن تبلغ جملتهم في ١٩٨٠ م نحو ٣٧٩,٧ ألفاً ، يتوزعون بين « **الزراعة** » (٢٨١ ألف عامل) و « **الرعي** » (٩٨,٧ ألفاً) ، وبذلك فإن نسبة استيعابها سوف تصبح ٢٣,٧٣ ٪ من جملة قوة العمل العامة في المملكة ، والمعروف أن جملة العمالة في « الزراعة والرعي » هي من « السعوديين » وحدهم غالباً .

٢ ـ من المتوقع أن تصل **جملة العمالة « غير الماهرة » في المملكة** . . إلى ٢٩٦,٤ ألف عامل ، أي بزيادة قدرها ٥٢,٤ ألف عامل عنها في ١٩٧٥ م ، وبذلك تصبح نسبة استيعابها ١٨,٥٢ ٪ إلى جملة قوة العمل في المملكة ، وسوف ترجع معظم هذه الزيادة إلى استمرار دخول النازحين في نسيج قوة العمل دون تدريب مسبق . . . وإذا ما أضيفت نسبة الأيدي العاملة غير الماهرة هذه إلى « المزارعين والبدو » . . للاعتبارات السابق تحديدها ، فإن نسبتهم معاً سوف تبلغ ٢٩ ٪ من جملة قوة العمل العامة في المملكة ، وتزيد عن ذلك كثيراً ـ بالطبع ـ بالقياس إلى جملة العمالة من العناصر السعودية وحدها . . . حيث تصبح نحو ٤٤,٥٣ ٪ ، أي بحجم فعلي قدره ٦٧٦,١٠ ألف عامل .

٣ ـ وإذا ما أضيف إلى الفئات السابقة . . فئة « **العمال نصف المهرة** » ، والمقدر لها أن تصل إلى حجم فعلي قدره ٤٢٧,٥ ألف عامل (بزيادة فعلية ١٩٤,٧ ألف عامل ، ونسبة نمو ٨٣,٦٣ ٪ بين ١٩٧٥ ـ ١٩٨٠ م) ، فإن جملة **العمالة غير الماهرة ونصف الماهرة** سوف تبلغ في المملكة نحو ١,١٠٤ مليون عامل ، بنسبة قدرها ٤٧,٣٥ ٪ من جملة قوة العمل في المملكة ، وهو ما يعد بلا شك خطوة نحو تحسن نوعية العمالة في المملكة ، حيث إن نسبة هذه الفئات من العمالة « **غير الماهرة ونصف الماهرة** » . . كانت نحو ٥٦,٤٣ ٪ من جملة قوة العمل العامة في المملكة في ١٩٧٥ م . . ، غير أنه يجدر النظر إلى هذه الخطوة من التحسن النوعي للعمالة بشيء من التفصيل ، حيث إن هذا التحسن سوف يتم أساساً من خلال الأيدي العاملة المستقدمة . . أي **غير السعودية** . . ، إذ إنه بينما كانت جملة الأيدي العاملة **السعودية** من الفئات « **غير الماهرة ونصف الماهرة** » . . تبلغ جملتها ٨٤٠,١ ألف عامل ، فإن من المتوقع أن تصل جملتهم إلى ٩٤١,١٠ ألف عامل بين ١٩٧٥ ـ ١٩٨٠ م ، أي أن هناك زيادة فعلية متوقعة بالنسبة لهذه المستويات من العمالة . . فيما يخص العناصر السعودية ، وكان من المتوقع لها ـ أو هكذا يجب أن يكون ـ أن يتناقص حجمها الفعلي ، وهذا ما يؤدي إلى تكرار التأكيد على أهمية تحسين المستوى النوعي من العمالة السعودية من ناحية ، والحد من تدفق العمالة غير الماهرة ونصف الماهرة إليها من خارج المملكة أيضاً ، بالإضافة إلى ضرورات تدريب العمالة النازحة من مختلف مناطق المملكة إلى مدنها ومراكزها الحضرية ، خاصة وأن عملية النزوح المستمرة هذه منذ ما يزيد عن عقدين من السنين ، وبمعدلات متزايدة في السنوات الأخيرة ، سوف تؤدي إلى نتائج وخيمة بالنسبة لاقتصاديات مناطقها الريفية والرعوية ، وهي ـ في نفس الوقت ـ لن تضيف إلى العمالة الحضرية قوة عمل حقيقية فعالة .

٤ ـ بالنسبة لفئة « **العمالة الماهرة** » . . فإنها سوف تزيد زيادة فعلية قدرها ٧٨,٢ ألف عامل بين ١٩٧٥ م (١١٧,٢ ألف عامل) و ١٩٨٠ م (١٩٥,٤ ألف عامل) ، وهو ما يعني نسبة نمو قدرها ٦٦,٧٢ ٪ ، وهي نسبة نمو تقل عن تلك المتوقعة للعمالة « نصف الماهرة » (نسبة نمو الأخيرة ٨٣,٦٣ ٪ كما سبقت الإشارة) ، وهو ما لا يتفق بحال مع أهداف الخطة الموضوعة . . . ، فرغم الصعوبات المتصلة بتكوين إطارات العمالة الماهرة ـ فضلاً عن استقدامها ـ فإن المطروح هو قضية التنمية في مجالات التعديل الأساسي لاقتصاديات المملكة ، وهو ما لا يمكن أن تحققه عمالة ماهرة أو نصف ماهرة .

ومرة ثانية . . فإن نسبة النمو المذكورة . . سوف تسهم العمالة « **غير السعودية** » بالنسبة الكبرى منها ، مما سيؤدي . . ليس إلى زيادة نسبة استيعابها منها فقط ، بل وأيضاً أن ترتفع نسبتها عن **العمالة السعودية** من نفس الفئة ، فبينما كانت الأخيرة (أي السعودية) تسهم بنسبة قدرها ٥٩,٨١ ٪ من جملة العمالة الماهرة في المملكة في ١٩٧٥ م ، فإن هذه النسبة سوف تتناقص إلى ما لا يزيد عن ٤٧,٨٥ ٪ منها في ١٩٨٠ م ، وذلك لأنها رغم توقع تحقيقها لزيادة فعلية قدرها ٢٣,٤ ألف عامل بين ٧٥ ـ ١٩٨٠ م . . . ، أي بنسبة نمو ٣٣,٣٨ ٪ ، فإن الأيدي العاملة **غير السعودية**

سوف تحقق زيادة فعلية قدرها ٥٤,٨٠٪ بنسبة نمو أكثر من الضعف (١١٦,٣٤٪)، وهو تفاوت بيِّن من المتوقع أن يؤدي إلى النتيجة المذكورة.

٥ - أما بالنسبة للفئات الوظيفية «**المشغلون، عمال الخدمات، موظفو المبيعات، الكتبة**»... فمن المتوقع أن تصل جملتهم إلى ٨١٩,٤ ألف عامل، أي بزيادة فعلية قدرها ٣٧٣,٧ ألف عامل، وبنسبة نمو ٨٣,٨٤٪ بين ٧٥-١٩٨٠م، وهي نسبة تكاد تساوي نسبة نمو الأيدي العاملة «**نصف الماهرة**»، وهي تعني تضخم قطاع الموظفين والكتبة، حيث إن هذه الفئات مجتمعة سوف تستوعب نسبة قدرها ٣٥,١٥٪ من جملة قوة العمل العامة في المملكة.. أي ما يزيد عن ثلثها.

ويكفي للتدليل على ظاهرة تضخم القطاع الوظيفي (بالقياس إلى تراجع القطاع الإنتاجي) مراجعة أرقام نمو فئة «**الكتبة**» من بينها، فهي وحدها سوف يبلغ حجمها المتوقع في ١٩٨٠م نحو ٢٢١,٤ ألف عامل (وهو رقم مرتفع يقترب من جملة المزارعين في المملكة في ١٩٨٠م)، وسوف تحقق فئة «**الكتبة**» هذه نسبة نمو متوقعة قدرها ١٢٣,٨٦٪، فهي بذلك أعلى نسبة متوقعة بين كافة الفئات الوظيفية.

٦ - وتضيق نسبة النمو - فضلاً عن الزيادة الفعلية - بعض الشيء بالنسبة للفئات الوظيفية الأعلى من «**المديرين، والمهنيين، والفنيين والمساعدين**»، فمن المتوقع أن تبلغ جملة فئة «**المديرين**» إلى ٢١,١ ألف عامل، بزيادة فعلية قدرها ٧,٤ آلاف عامل، وبنسبة نمو قدرها ٥٤,٠١٪ بين ٧٥-١٩٨٠م...، أما «**المهنيون**» فمن المتوقع زيادتهم زيادة فعلية قدرها ١٢,٣ ألف عامل بين ١٩٧٥م (٦٤,١٠ ألف عامل) و ١٩٨٠م (٧٦,٤٠ ألف عامل)، أي بنسبة نمو قدرها ١٩,١٨٪ غير أن «**الفنيين والمساعدين**» سوف يحققون - حسب هذه التوقعات - نسبة نمو أعلى تقرب من ١٠٣,٣٦٪، حيث سيبلغ عددهم ١١٤,٧ ألف عامل (١٩٨٠م)... بينما كان عددهم ٥٦,٤ ألف عامل (١٩٧٥م)...، أي بزيادة فعلية قدرها ٥٨,٣ ألف عامل.

الخلاصة

إن كافة التوقعات المذكورة في السياق السابق، إنما تؤكد استمرار الاتجاهات السابق تحديدها بالنسبة لنمو قوة العمل السعودية في الفئات الوظيفية المختلفة، ويبدو أن هذه التوقعات قد اعتمدت على معدلات الطلب الراهنة للمستويات الوظيفية المختلفة للعمالة، بأكثر مما اعتمدت على الاحتياجات الفعلية لخطط التنمية الصناعية والزراعية.. والإنتاجية عامة، حيث يتأكد في أرقام ١٩٨٠م الاتجاهات السابق تحديدها.. بالنسبة لتركز النمو في فئات الفنيين والمهنيين والخدمات والكتبة، تلك الفئات التي ستحقق أعلى التوقعات، بينما سوف تقل معدلات النمو بالنسبة لعمال الإنتاج عنها كثيراً، بل إن قطاع الزراعة سوف تتناقص نسبة استيعابه فضلاً عن جملة أفراده في ١٩٨٠م، وهو ما يمثل استمراراً لاتجاه تناقصه منذ ١٩٧٠م، بل ومنذ ما قبل ذلك أيضاً بالتأكيد.

غير أنه من الثابت أن تنمية قوة العمل.. يجب أن تراعي المستويات النوعية للعمالة - حسب احتياجات خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية - بنفس القدر من مراعاتها لاستكمال النقص الكمي في أعدادها...، حيث أنهما ناحيتان متكاملتان تماماً، فإذا كان من الممكن استكمال النقص الكمي من العمالة باستقدامها من الخارج...، **فمن المؤكد أنه بدون تنمية المهارات البشرية وتدريبها، تصبح نسبة كبيرة منها مجرد طاقات كمية شبه مفقودة، أو على الأقل دون مستوى كفاءتها الذي يمكنها تحقيقه في مراحل العملية الإنتاجية**، والثابت أن الدول المتقدمة تضع البرامج الخاصة لمراكز تدريب قوتها العاملة، وهي تلزم أجهزتها الحكومية وشركاتها ومصانعها ومؤسساتها العامة والخاصة، بتنفيذ هذه البرامج، حيث من المعروف اقتصادياً أن **ثلثي** موارد التنمية يأتيان عن طريق رفع مستوى أداء قوة العمل، ويأتي **الثلث** فقط عن طريق الاستثمارات الجديدة، فهم يقومون بتدريب سبعة عمال مهرة وثلاثة من الفنيين مقابل كل خريج من الجامعة، وقد أشارت بعض الدراسات.. إلى أن التدريب والتربية - بوصفهما استثماراً - كانا أكثر جاذبية بنحو ثلاث مرات ونصف إلى جاذبية الاستثمار المادي، لأن عائد الاستثمار في التعليم والتدريب وصل إلى حوالي ١٢٪، وهي نسبة يصعب تحقيقها في كثير من القطاعات الاقتصادية الأخرى، وقد تأكدت مثل هذه الآراء من خلال دراسات رواد تخطيط القوى العاملة مثل **هاريسون** Harrison **وماير** Mayer، فقد حددا أن سياسة التخطيط والتنمية الاقتصادية والاجتماعية واستراتيجية التعليم.. لا بد وأن تسير في خطوط متوازية متكاملة، بهدف التوصل إلى توفير العمالة المطلوبة كماً وكيفاً، حيث يكون توفير العمالة هو بمثابة دفع عجلة التنمية في مجالاتها المختلفة، وقد تمت دراسة في «**اليابان**» عن العلاقة بين تنمية الموارد البشرية والنمو الاقتصادي.. وأيهما أسبق؟.. تبين منها.. أن الاستراتيجية اليابانية للقوى العاملة.. يمكن أن تعتبر متميزة أساساً باتجاهها إلى العمل على تراكم الموارد البشرية المتعلمة والمدربة بشكل سابق على التنمية الاقتصادية، ورغم اختلاف ظروف اليابان السكانية والحضارية عن المملكة...، حيث تتميز الأولى بأن مواردها الرئيسية إنما تتمثل في سكانها المتكدسين في مجموعة جزرها الفقيرة عامة في مواردها الاقتصادية، وأن اتجاه اليابان نحو تنمية مواردها البشرية.. إنما يعتبر الحل الطبيعي - إن لم يكن الوحيد - أمامها لتحقيق التنمية الاقتصادية بها...، أما المملكة.. فإنها تكاد أن تكون على طرف النقيض من اليابان، حيث يتوزع سكانها بكثافة قليلة في مساحتها الواسعة، وأن مواردها الاقتصادية الوفيرة (خاصة من البترول...) تمثل القوة الأساسية للدفع بعجلة التنمية بها...، **رغم هذا الاختلاف**.. فإن المملكة تملك فرصة الجمع بين اتجاهي التنمية الاقتصادية من خلال مواردها الخاصة.. ومن خلال سكانها أيضاً.. معاً، وما ينقصها إنما يتمثل في وضع برامج التعليم والتدريب المناسبة لرفع كفاية قوتها العاملة.. السعودية بصفة خاصة.

المصادر العربية

● أبو بكر متولي: «تخطيط المناطق وأهميته للمملكة العربية السعودية»، مجلة الاقتصاد والإدارة، مركز البحوث والتنمية، جامعة الملك عبد العزيز، العدد الأول، رجب ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

● عبد السلام بدوي: «مؤتمر السكان العالمي (تقرير)»، مجلة الاقتصاد والإدارة، مركز البحوث والتنمية، جامعة الملك عبد العزيز، العدد الثاني، المحرم ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

● عمر الفاروق السيد رجب : « جوانب مـن حـركة العمالـة في المملـكة العربية السعودية » ، مجلة الاقتصاد والإدارة ، مركز البحوث والتنمية ، جـامعة الملك عبد العزيز ، العدد الثامن ، المحرم ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٨ م .

● محمد صبحي عبد الحكيم : « الموقف السكاني في الـوطن العـربي » ، مجلة الشرق الأوسط ، مركز بحوث الشرق الأوسط ، جامعة عين شمس ، العـدد الثاني ، ١٩٧٥ م .

المطبوعات والتقارير

المركز الديموجرافي لشمال إفريقية « العوامل الديموجرافية والقوة البشريـة » ، التقرير الأول (الانماط العمرية والنـوعية للمسـاهمة في النشـاط الاقتصـادي) ، ترجمة مدحت محمد علي ، وإعداد شعبة السكـان بقسـم الشـؤون الاجتماعيـة بالأمـم المتحدة ، القاهرة ، ١٩٦٧ م .

جامعة الدول العربية « تقرير عن قوة العمـل في الـدول العـربية » (غـير منشور) ، ١٩٧٠ م .

مركز الأبحاث والتنمية الصناعية « دليـل الاسـتثمار الصـناعي في المملـكة العربية السعودية » ، جدة ، ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م .

وزارة التخطيط ، المملكة العربية السعودية (تقرير خـطة التنميـة الثـانية) ١٣٩٥ ـ ١٤٠٠ هـ / ١٩٧٥ ـ ١٩٨٠ م .

وزارة المالية والاقتصاد الوطني : « النتائج العامة لحصر المؤسسات الشـامل في المدن الرئيسية في المملكة العربية السعودية لسنة ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧ م .

المصادر الأجنبية

Finie D.H. «Recruitment and training of Labor in the Middle East oil industry». (M.E.J.) vol. 12, 1958.

Henry Rosenfield, «From peasantry to wage Labor and residual peasantry»:, in «peoples and cultures of the Middle East», Louis E. Sweet (ed), NewYork, 1969.

Marion L. Chiattello, Joseph O. Pechenka, «Job satisfaction, Intrinsic Job and organizational satisfactions: Relationship for females in unskilled Jobs», Economic and Administration Review, Center of reseaches and development, king Abdul Aziz Univ., No. 8. Muharram, 1399.

Philip Ragan, «Industrial foundations and community progress», Harvard Business Review, December, 1952.

R.P. Beckinsale and J.M. Houston (eds), «urbanization and its problems» oxford, 1970.

T.G. Mc Gee, «The urbanization process in the third world», London, 1971.

Turner A.N. and lawrence P.R. «Industrial Jobs and the worker», Boston, Harvard Univ. Press, 1965.

تغيرات الهيكل الوظيفي للعمالة (بالألف) في المملكة العربية السعودية ١٣٩٥ ـ ١٤٠٠ هـ / ١٩٧٥ ـ ١٩٨٠ م

البيـان / التركيب	١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م			١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م			الزيادة خلال الفترة		
	سعوديون	غير سعوديين	الجملة	سعوديون	غير سعوديين	الجملة	سعوديون	غير سعوديين	الجملة
مديرون	٧,٤٠	٦,٣٠	١٣,٧٠	٨,٧٠	١٢,٤٠	٢١,١٠	١,٣٠	٦,١٠	٧,٤٠
مهنيون	٤٨,٤٠	١٥,٧٠	٦٤,١٠	٥٢,٩٠	٢٣,٥٠	٧٦,٤٠	٤,٥٠	٧,٨٠	١٢,٣٠
فنيون ومساعدون	٢٥,٠٠	٣١,٤٠	٥٦,٤٠	٣٣,٤٠	٨١,٣٠	١١٤,٧٠	٨,٤٠	٤٩,٩٠	٨,٣٠
كتبـة	٦٧,٥٠	٣١,٤٠	٩٨,٩٠	٩٩,٦٠	١٢١,٨٠	٢٢١,٤٠	٣٢,١٠	٩٠,٤٠	١٢٢,٥٠
موظفو مبيعات	٨٢,٣٠	٤٧,١٠	١٢٩,٤٠	٩٧,٢٠	١١٢,٦٠	٢٠٩,٨٠	١٤,٩٠	٦٥,٥٠	٨٠,٤٠
عمال خدمات	١٠٥,٢٠	٤٧,١٠	١٥٢,٣٠	١٣٤,٥٠	١٤٥,٢٠	٢٧٩,٧٠	٢٩,٣٠	٩٨,١٠	٢٧,٤٠
مشغلون	٤٠,٠٠	٢٥,١٠	٦٥,١٠	٥٧,١٠	٥١,٤٠	١٠٨,٥٠	١٧,١٠	٢٦,٣٠	٤٣,٤٠
عمال مهرة	٧٠,١٠	٤٧,١٠	١١٧,٢٠	٩٣,٥٠	١٠١,٩٠	١٩٥,٤٠	٢٣,٤٠	٥٤,٨٠	٧٨,٢٠
عمال نصف مهرة	١٧٠,٠٠	٦٢,٨٠	٢٣٢,٨٠	٢٦٥,٠٠	١٦٢,٥٠	٤٢٧,٥٠	٩٥,٠٠	٩٩,٧٠	١٩٤,٧٠
عمال غير مهرة	٢٤٤,٠٠	—	٢٤٤,٠٠	٢٩٦,٤٠	—	٢٩٦,٤٠	٥٢,٤٠	—	٥٢,٤٠
مزارعون	٣١١,٢٠	—	٣١١,٢٠	٢٨١,٠٠	—	٢٨١,٠٠	(٣٠,٢٠)	—	(٣٠,٢٠)
بـدو	١١٤,٩٠	—	١١٤,٩٠	٩٨,٧٠	—	٩٨,٧٠	(١٦,٢٠)	—	(١٦,٢٠)
الجملـة	١,٢٨٦,٠٠	٣١٤,٠٠	١,٦٠٠,٠٠	١,٥١٨,٠٠	٨١٢,٦٠	٢,٣٣٠,٦٠	٢٣٢,٠٠	٤٩٨,٦	٧٣٠,٦٠

مصدر الأرقام : تقرير خطة التنمية الثانية بالمملكة العربية السعودية ١٣٩٥ ـ ١٤٠٠ هـ / ١٩٧٥ ـ ١٩٨٠ م .

ملحوظـة : الأرقام بين الأقواس بالسالب .

الحسن اليوسي

بقلم: محمد العربي الخطابي

الأستاذ الإمام الحسن اليوسي عالم وأديب ومدرس يمكن اعتباره أنبغ من أنجبته بلاد المغرب من أعلام في القرن الحادي عشر الهجري.

واليوسي ظاهرة تستحق الاهتمام من وجهين:

● **الأول**، كونه ولد وتربى في وسط قروي، وفي قبيلة يتكلم سكانها **لهجة مازيغية** فبرز في **علوم اللغة العربية**، وأحاط بأسرارها، **وأجاد القول شعراً** ونثراً «وكان الشعر عنده أسهل من النفس، **وشعره كله حكم وأمثال كشعر العرب القدماء**» - كما قال **أبو العباس أحمد الناصري** في كتاب (**الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى**) - وكان اليوسي من أنبه أساتذة عصره وأقدرهم على التلقين والتبليغ.

والواقع أن نبوغ أبناء القبائل المتكلمة بالمازيغية في علوم الشريعة والأدب والعلوم العقلية ظاهرة معروفة تدل على امتزاج العنصر العربي الفاتح بسكان المغرب الأصليين امتزاج الدم والعقيدة والفكر بفضل تغلغل تعاليم الإسلام السمحة في النفوس من جهة، ونتيجة للقرابة التاريخية والسلالية الموجودة بين أبناء يعرب ومازيغ من جهة أخرى، إذ من المرجح أن أصل سكان المغرب الأولين من الجزيرة العربية، ومن اليمن على وجه التحديد.

● **الثاني**، كون اليوسي تلقى جل ما أتقنه من علوم وآداب في مراكز العلم **ببوادي المغرب** كما سنرى ولم يختلف إلى معاهد العلم الشهيرة في **فاس** - مثلاً - بالرغم من قرب هذه الحاضرة إلى مسقط رأسه. ولعل ازدهار تلك المراكز العلمية البدوية يرجع إلى عوامل شتى منها تدهور الحياة العلمية في الحواضر، ولا سيما في فاس، في أواخر الدولة السعدية (١٠٦٩ هـ)، وفي هذا يقول أستاذنا **عبد الله كنون** في كتابه (**النبوغ المغربي في الأدب العربي**): «فترت الحركة العلمية في المغرب بعد وفاة **المنصور الذهبي** فتوراً كبيراً، لا سيما عندما أراد **السلطان المأمون بن المنصور الملقب بالشيخ** من العلماء أن يوافقوا على احتلال العدو لمدينة **العرائش** فلم يرتضوا ذلك، وخرج الكثير منهم فارين بدينهم إلى البوادي، فكان لذلك التأثير السيء على الأوساط العلمية في المدن المغربية وخصوصاً فاس».

ويمكننا أن نضيف إلى هذا عاملاً آخر هو ظهور (**الـزوايا**) في البوادي ، ونهوض بعضها بأعباء نشر العلم ، فضلاً عن تربية المريدين وإيواء الفقراء، والقيام بواجب الجهاد والدفاع عن البلاد ضد أطماع المغيرين من الإسبانيين والبرتغاليين ؛ وربما كان ظهور هذه (الزوايا) من أسباب تقاطر العلماء والطلاب على هذه (الزوايا) التي كان لها إشعاع علمي وفكري كبير .

ولد أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي حوالي سنة ١٠٤٠ هـ / ١٦٣٠ م ، في **قرية تمزيزت بقبيلة آيت يوسي جنوب مدينة فاس** عند منبع نهر (**ملوية**) . ويوسي أصلها يوسف نسبة إلى جد القبيلة **يوسف بن داود بن يدراسن بن يلنتن** . أما (**آيت**) فلفظة مازيغية معناها بالعربية « بنو » أو « آل » .

وكان والد اليوسي مسعود بن محمد « رجلاً أمياً مخالطاً لأهل الخير محباً للصالحين » كما يخبرنا أبو علي نفسه في كتاب (**المحاضرات**) .

ويبدو أن اليوسي تلقى تعليمه الأول في مسقط رأسه حيث **قرأ القرآن وبعض المتون الفقهية واللغوية** ، ثم بدأ رحلته العلمية سنة ١٠٦٠ هـ ، متنقلاً بين مختلف معاهد العلم في البادية ، يأخذ عن شيوخها ما يجده عندهم من علوم وآداب . وإذا كنا نعلم أنه قد دخل **مدينة مراكش** في السنة المذكورة فإننا لا نستطيع أن نجزم أنه تلقى فيها دروساً ، وهو يخبرنا في كتاب (المحاضرات) أنه انتقل إلى ناحية مراكش - لا إلى المدينة نفسها - فيقول : « كنت أيام طلب العلم في بلاد القبلة حتى أخذت بطرف من العربية فحدث لي انتقال إلى ناحية مراكش وذلك في دولة **السلطان محمد الشيخ (السعدي)** ، فأخذت في فنون أخرى **كالأصول والمنطق والكلام** وتركت العربية . ثم إني دخلت **السوس الأقصى** واتصلت بشيخنا **أبي فارس عبد العزيز بن أحمد الرسموكي** ، رحمه الله ، فوجدت أهل تلك البلاد يشتغلون بتصريف الأفعال ويستحضرون معها النصوص من (**الخلاصة**) ونحوها ، فحضرت معهم فإذا أبيات (الخلاصة) تشذ عن فكري لطول العهد بها ، فلما رأيت ذلك أحببت أن أحدث عهداً بها . . » .

وفي السنة نفسها ، أي ١٠٦٠ م ، ذهب إلى **درعة** لأخذ العلم عن أستاذه **أبي عبد الله محمد بن ناصر** في زاويته ، ومن الواضح أن هذا الأستاذ الجليل والعلم البارز كان له تأثير عميق في مسيرة اليوسي العلمية والروحية ، فهو يذكره بالإجلال والتوقير ويعتبره قدوته ؛ والشيخ ابن ناصر هو الذي دعا لليوسي بأن يكون « عيناً يستقي منها أهل المشرق والمغرب » ، والقصيدة الدالية المشهورة التي نظمها اليوسي يمدح فيها أستاذه ابن ناصر تعتبر من أروع شعره وأطوله نفساً وهي **مؤلفة من خمسمائة وستة وأربعين بيتاً** ، وفيها يقول :

وأعاد وجه الدين أبيض مسفراً
بهجاً مقرأ عين كل موحد
وأقام سمك بنائه حتى سما
فوق السماك على الأواسي الوطد
وأزال عنه كل حندس شبهة
وضلالة وخلاعة وتشدد
كم سنة أحييت بعد إماتة
وضلالة أخمدت بعد توقد

وحضر اليوسي مجالس العلم في أماكن أخرى ولا سيما في **سجلماسة** حيث تتلمذ على أحد أساتذتها البارزين هو **الشيخ أحمد الدراوي** ولقي فيها عدداً من رجالها الأعلام يذكرهم بأسمائهم في بعض مؤلفاته .

وقد استقر المقام باليوسي في (**الزاوية الدلائية**) حيث قضى الشطر الأكبر من حياته تلميذاً ثم أستاذاً ، وفيها تزوج وأنجب ، وبها تعلق قلبه وكان حنينه إليها حينما ابتعد عنها ، ملهماً له في كثير من شعره العاطفي كقوله :

ألا ليت شعري هل أرى من ثنية
عضاها كمعصوف الكتائب تشرف
وهل أردن من سلسبيل موارد
هناك لمعسول المباسم ترشف
وهل أرين مغنى (الدلاء) عشية
كأن بقاياها بناء مفوف
أداراً شقيت الوبل غير مبرح
ولا برحت عنك الحوادث تصرف

وكانت الزاوية الدلائية البكرية مقراً للتعليم والعبادة والذكر وأعمال البر والتربية قبل أن تصبح مركزاً للسياسة ومنطلقاً للرياسة الدينية والدنيوية ، أسسها في القرن العاشر الهجري **أبو بكر محمد بن سعيد الدلائي** . وقد اختلف الباحثون في تعيين موقعها ، ويرجح الأستاذ **محمد حجي** في كتابه القيم عن (**الزاوية الدلائية ودورها الديني**

والعلمي والسياسي) أن هذه الزاوية القديمة تقع « على ربوة في سفح جبل (**بوثور**) بينه وبين جبل (**تاغوليت**) وتنحدر في شرقيها شعبة (**أقا إيزم**) ، أي شعبة الأسد ، وتنفجر بالقرب منها عين جارية تخترق المسجد وتضيع في الشعاب ، وفيها بقايا المسجد الذي أسسه أبو بكر الدلائي . . . أما الزاوية الدلائية الحديثة التي بناها **السلطان محمد الحاج الدلائي** فهي التي تقوم على أنقاضها **زاوية آيت اسحق** الحالية التي تربط بين **خنيفرة وقصبة تادلا** » .

يحدثنا اليوسي في (المحاضرات) عن بداية دخوله إلى الزاوية الدلائية البكرية فيقول : « كنت قدمت في أعوام الستين وألف من رحلتي في طلب العلم ، وكنت إذ ذاك شاباً ، فدخلت الزاوية البكرية ، فوجدت شيخنا **أبا عبد الله محمد بن محمد المرابط**، رحمه الله ، قد جمع خطباً وعظية وتقدم إلى أهل الوقت في بلده ليكتبوا عليها تقريظاً ، فكتب كل ما قدر له من نثر ونظم ، فلما رأيت ذلك كتبت أنا أيضاً فوقع في مكتوبي لفظة القطائف . . . فاعترض عليَّ ورام تبكيتي وقال : أنا لا أعرف القطائف إلا هذه المفروشات ، فقلت له : إن القطائف هنا جمع قطيفة بمعنى مقطوفة ، فقال : هذا صحيح في اللغة ولكن الأدباء لهم الاختيار وعندهم ألفاظ يستعملونها مخصوصة فلا يرتكب عندهم كل ما يقع في اللغة ، فقلت له حينئذ : هذا **أبو محمد الحريري** يقول في مقاماته :

فلا تعذلوني بعدما قد شرحته
على أن منعتم في اقتطاف القطائف
على أن ما زودتم من فكاهة
ألذ من الحلوى لدى كل عارف

فتلون وجهه ـ رحمه الله ـ وخجل ولم يراجعني بكلمة ، وهذا يدل على مزاج اليوسي وولعه المبكر بالجدل والمحاورة واطلاعه على آداب العرب ولغتهم واستحضاره لأقوالهم وهو ما يزال طالباً في سن الشباب ، كما يدل على تواضع شيخه وتجاوزه عن جراءة تلميذه . وهذا الأستاذ نفسه نعت اليوسي حينما أجازه بوصف « **شيخ الجماعة بالديار البكرية** » وقد بقيت الصلة بين الشيخ محمد المرابط وتلميذه الحسن اليوسي قائمة على الود والاحترام والتقدير كما نفهم من الأخبار المبثوثة في كتب اليوسي .

وقد أفاد اليوسي علماً غزيراً وأدباً وافراً وتربية قويمة من الشيوخ والأساتذة الذين تلقى عنهم العلوم والآداب والحكمة **فبرز في الأصول والتوحيد والتفسير والحديث والمنطق والتصوف : وهو لم يكن مجرد فقيه بل إنه فلسف الفقه** ـ كما لاحظ المستشرق **جاك بيرك** ـ فضلاً عن كونه **أحاط إحاطة شاملة بعلوم اللغة والأدب** فغدا شاعراً ناثراً ومحاضراً من طراز فريد ، وهو بذلك امتاز على أعلام عصره وفاقهم . ولم ينل اليوسي ما ناله بالتحصيل وحده بل بالنبوغ والذكاء والموهبة كذلك ؛ وقد قال عن نفسه في (الفهرسة) :

« كانت قراءتي كلها أو جلها فتحاً ربانياً ، ورزقت ولله الحمد قريحةً وقادةً ، فكنت بأدنى سماع ينفعني الله ، فقد أسمع بعض الكتاب فيفتح الله علي في جميعه فتحاً ظاهراً وأبلغ فيه ما لم يبلغه من سمعته منه ، ورب كتاب لم أسمعه أصلاً غير أن سماع البعض في كل فن صار مبدأ للفتح وتتميماً لحكمة الله في سنة الأخذ عن المشايخ ، ولا تستوحش مما ذكرناه ظناً منك أن الربح أبداً يكون على قدر رأس المال ، كلا فقد يبلغ الدرهم الواحد ألف مثقال ، وما ذلك على الله بعزيز » .

فهذا الكلام ولا شك من باب التحدث بنعمة الله تعالى ، وهو ليس فخراً ولا ادعاء ، فذكاء اليوسي وعلمه الغزير ومواهبه المتعددة شهد له بها أهل عصره من شيوخه وتلاميذه ومريديه وما زالت تشهد بها الأجيال اللاحقة ؛ **وقد شبه اليوسي بالحسن البصري** وقيل عنه : « هو المجدد على رأس هذه المائة لما اجتمع فيه من العلم والعمل بحيث صار إمام وقته وعابد زمانه » ـ كما جاء في كتاب (**الاستقصا**) **لأبي العباس أحمد الناصري** . وقال عنه **المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال** في كتابه (**مؤرخو الشرفاء**) : « كان مولعاً بالأدب متبحراً في النثر والشعر ، إلا أنه لم يلبث أن صار مشهوداً له بالصدارة في الفقه وبالنشاط المثمر في المجالات الروحية » .

نشاطه العلمي

وقد تصدر اليوسي للتدريس في زاوية الدلاء وفي معاهد العلم بمراكش وفاس وطرابلس والقاهرة ، وتخرج على يده علماء بارزون ، وكرس حياته كلها للتعليم والتأليف فلم يشغل منصباً من مناصب الدولة ولا كان له طموح إلى ذلك .

وبالرغم مما لقيه اليوسي من مشاكسة بعض علماء الوقت له وغيرتهم منه ، ولا سيما في فاس التي درس في جامعتها وأقبل عليه الطلاب فيها إقبالا كبيراً فإنه قد استطاع أن يرغم منافسيه على تقدير مكانته العلمية والشهادة له بالتفوق والنبوغ وغزارة العلم والقدرة الفائقة على التبليغ .

يحدثنا الناصري في كتاب (الاستقصا) أن اليوسي « لما دخل مراكش تصدر بها لإقراء علم التفسير بجامع الأشراف **فمكث في تفسير الفاتحة قريباً من ثلاثة أشهر** ، وهو يبدي كل يوم أسلوباً غريباً وتحقيقاً

عجيباً ، فعجب الناس من غزارة مادته مع أنه ربما بات في ضريح بعض الأولياء والناس معه فلا يطالع كتاباً ولا يراجع مؤلفاً فإذا أصبح وجلس على الكرسي أطلق لسانه بما يبهر العقول » .

خلف اليوسي -ذو الثقافة الموسوعية- ذخيرة هامة من المؤلفات في العلوم الفقهية واللغوية وفي التصوف والمنطق والكلام وفي صناعة الأدب فضلاً عن ديوانه ورسائله . وقد عد المستشرق جاك بيرك من مؤلفاته ثلاثة وثلاثين وأضاف إليها الأستاذ محمد حجي أربعة عشر مؤلفاً . ومعظم كتبه ورسائله ما يزال مخطوطاً في رفوف **الخزانة العامة بالرباط ودار الكتب بالقاهرة والمكتبة الوطنية بباريس والمكتبة الوطنية بالجزائر والمكتبات الخاصة** ، وبعض كتبه مفقود ، ولم يطبع من هذه الذخيرة سوى **الديوان** وكتاب (**المحاضرات**) وكتاب **القانون** ، **والقصيدة الدالية وشرحها** .

ولعل أوسع مؤلفاته شهرة كتاب (المحاضرات) الذي شرع في تأليفه سنة ١٠٩٥ هـ / ١٦٨٤ م ، وهو إذ ذاك مفارق لأهله في جنوبي البلاد بعيداً عن مجالس التدريس .

وهذا الكتاب حافل بالمعلومات والطرائف يتناول فيه المؤلف مواضيع مختلفة في العلوم الشرعية واللغوية وفي الأدب وأحوال المجتمع الفكرية والعلمية والدينية والسياسية والاجتماعية كما يتضمن الكتاب أخباراً عن العلماء والأدباء والصلحاء والدجالين وبعض العامة ؛ ويتخلل مواضيع الكتاب ملاحظات اليوسي ومشاهداته وخواطره وآرائه في المسائل التي يعرض لها . ولم يتبع اليوسي في كتابة فصول (المحاضرات) أي ترتيب زمني ولم يلتزم بأي منهج في العرض والتقرير ، وهو لذلك يقع أحياناً في بعض التناقض وتضارب الأفكار والمواقف بخصوص مشاهداته التي تتفاوت من حيث الزمان والمكان . وربما يكون اليوسي قد وضع هذا الكتاب « لتسجيل ما بقي عالقاً بذاكرته من نوادر طريفة وأمثال سائرة وأشعار لها صلة بنشاطه الثقافي » كما لاحظ المستشرق ليفي بروفنسال .

ومن مؤلفات اليوسي المشهورة كذلك كتاب (**زهر الأكم في الأمثال والحكم**) الذي يتناول فيه **أمثال العرب وحكمهم** مستشهداً بأقوال الشعراء وبشعره هو ، شارحاً كل ذلك ببراعة تدل على « اطلاع واسع ودراية عجيبة ومقدرة على تذوق الكلام واستكناه معانيه » . كما قال أستاذنا المرحوم **علال الفاسي** .

أما كتاب (**الفهرسة**) فقد ترجم فيه لشيوخه وضمنه حكماً وفوائد ، ولم يتح لليوسي - كما يظهر - تتميم هذا المؤلف .

وقد أشرنا إلى (**القانون**) الذي هو كتاب جامع للعلوم الإسلامية ، وهو أيضاً من أشهر مؤلفات اليوسي .

كان الحسن اليوسي دقيق الملاحظة ذا حس اجتماعي متفتح ، وقد أفاد كثيراً من تجواله في أنحاء البلاد ، فكان يستخلص العبرة من اتصاله بمن يلقاهم ويستفيد من مشاهداته ويبدي في كل ما يحدث له أو يصادفه رأياً ، يستنكر ما يراه مخالفاً للشرع والعقل والفطرة السليمة ، ويستنبط الحكمة من كل ذلك ويستشهد بما يناسب من آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وشعر العرب وأقوال الحكماء .

فهو ، مثلاً ، إذ يتحدث عن الدنيا وما فيها من عرض زائل يعرض لبعض تجربته فيقول :

« كنت في سفرتي إلى السوس الأقصى لقيني فقير من شبانة فصحبني أياماً قلائل وأنس بي ، فلما بلغنا المحل ودعته فرأيته يبكي على فراقي وسمعته يقول : لا تعرف أحداً ، ويكرر هذا الكلام ، أي إذا كنت أيها العاقل تعلم أن الذي دخل في قلبك سوف تفارقه فيتألم قلبك عليه فلا تسع في دخول أحد فيه بمعرفتك له ، ولا تعرف أحداً واترك قلبك خالياً مستريحاً :

رأى الأمر يفضي إلى آخره
فصير آخره أولا

وهذا كله من وادٍ واحد . نعم إن أمكنك أن تدخل في قلبك من لا يخشى عليه الزوال والهلاك والفناء فافعل وليس ذلك إلا الحق تعالى ، فمن أحبه فهو جدير أن يدوم محبوبه » .

وكانت معتقدات الناس وتطلعاتهم وأحوالهم المعاشية وما يصادفهم في حياتهم اليومية وما يتوسلون به من وسائل لدفع ضرر أو جلب منفعة كل ذلك كان مثار ملاحظة اليوسي يستحسنه أو يستنكره . وقد شاهد استبداد الخرافات والأوهام بعقول العامة واستشراء الفساد والظلم بين الحكام ، وانتشار المعتقدات الضالة فحمل على ذلك كله بحدة وصدق مع إيمانه بأنه « لا بد مع الحذر من حسن الظن بعباد الله ، ولا سيما من ظهر عليه الخير ، والتغافل عن عيوب الناس » وكان يقول بأن « العالم سيفه لسانه ، وما وراء ذلك إنما هو لأهل الأمر ومن له قدرة على الأمر » ، ولم يتهاون اليوسي في التشهير بأدعياء الصلاح الذين يخدعون ضعفاء العقول بما يزعمونه من الولاية والكشف والاطلاع على الغيب ، وقد عقد لذلك

فصولا في بعض كتبه وجعله موضوع بعض رسائله .

ثم إن اليوسي كان صادق اللهجة فيما أسداه للحكام من نصح ودعاهم إليه من عدل وإنصاف وتجرد عن الأهواء والاهتمام بأمور الرعية تشهد بذلك رسالتان وجههما إلى **السلطان مولاي إسماعيل** - أحد عظماء ملوك الدولة العلوية الشريفة - وفي الرسالتين دلالة على قوة شخصية هذا العالم الجليل وشجاعته الفكرية والمعنوية وتحريه الصدق في القول والعمل وأمانته في النهوض برسالته العلمية وفقاً لتعاليم الشريعة .

فالرسالة الأولى - ونصها الكامل موجود في كتاب (الاستقصا) لأبي العباس الناصري - **وثيقة سياسية هامة** ينتقد فيها اليوسي جور الولاة وميلهم إلى الظلم والاستبداد وإرهاقهم للمحكومين ، وفيها تنبيه صريح للسلطان أنه وحده الذي يتحمل تبعة ما يصيب الرعية من مظالم وقهر وقسوة ؛ يقول اليوسي في هذه الرسالة : « فليعلم سيدنا أن الأرض وما فيها ملك لله تعالى لا شريك له ، والناس عبيد لله سبحانه وإماء له ، وسيدنا واحد من العبيد وقد ملكه الله على عبيده ابتلاء وامتحاناً ، فإن قام عليهم بالعدل والرحمة والإنصاف والإصلاح فهو خليفة الله في أرضه . . . وله الدرجة العالية عند الله تعالى ، وإن قام بالجور والعنف والكبرياء والطغيان والإفساد فهو متجاسر على مولاه في مملكته ومتسلط ومتكبر في الأرض بغير الحق ، ومتعرض لعقوبة مولاه الشديدة وسخطه » .

ثم يقول : « إن على السلطان حقوقاً كثيرة . . . ولنقتصر منها على ثلاثة هي أمهاتها : **الأول** ، جمع المال من حق وتفريقه في حق ؛ **الثاني** ، إقامة الجهاد لإعلاء كلمة الله وفي معناه تعمير الثغور بما تحتاج إليه من عدد وعدة ؛ **الثالث** ، الانتصاف من الظالم للمظلوم ، وفي معناه كف اليد العادية عليهم منهم ومن غيرهم ، وهذه الثلاثة كلها قد اختلت في دولة سيدنا فوجب علينا تنبيهه لئلا يعتذر بعدم الاطلاع والغفلة ، فإن تنبه وفعل فقد فاز ، وفي ذلك صلاح الونت وصلاح أهله . . . وإلا فقد أدينا الذي علينا » .

وأما **الرسالة الثانية** فقد وجهها اليوسي إلى **السلطان مولاي إسماعيل** رداً على كتاب بعث به إليه يدعوه أن يترك سكنى البادية وأن يتوجه إلى حاضرة المملكة ليؤدي رسالته العلمية قريباً من السلطان . وكان اليوسي في أخريات حياته قد استقر بمسقط رأسه نهائياً وآثر حياة البساطة والانطلاق في القرية على ترف المدينة وصخبها .

ويظهر أن السلطان مولاي إسماعيل ناشد اليوسي أن يلتحق بعاصمة المملكة محتجاً بالشريعة ، وربما استعمل في ذلك بعض الوعيد والتهديد .

وقد رد اليوسي برسالة طويلة حررها في نحو **مائة صفحة** وضمنها كثيراً من آرائه في حالة العلم في البلاد قائلاً بأن « الجهاد في دفع الجهل وتحصين الدين أهم وأوكد من الجهاد في دفع العدو » ودافع اليوسي عما اختاره لنفسه من سكنى القرية والتفرغ لتعليم الناس بعيداً عن الحكام وذوي السلطان مبيناً أن لكل عالم سلوكه فيما يختص بصحبة الملوك وأنه ليس لأحد أن يفرض عليهم تغيير النهج الذي اختاروه لأنفسهم . وجاء في خاتمة هذه الرسالة : « فوالله لا أعلم عليَّ حداً ثابتاً عند السلطان فيطالبني بإقامته ، ولا جناية على أحد في مال ولا نفس ، ولا أنا عبد آبق ولا فارس هربت براية الملك ، ولا عامل بقي على حساب الجباية ، ففي أي شيء يطالبني السلطان بشريعة الله ؟ أما كون علمي حجة لي أو عليَّ عند الله فالأمر إلى الله تعالى ، والتعليم اشتغلت به جهد طاقتي ، ولو لم أشتغل به أصلاً لم أقبض فيه لأنه فرض كفاية لا فرض عين ؛ فأي شيء ثبت عليَّ شرعاً حتى أطالب فيه وقد اعترفت على نفسي بطاعة السلطان لم أنازع ولم أخالف ولم أحارب ولم أخلط ؛ وهذا القدر هو المطلوب من الطاعة ، أما ما خرج عن ذلك كخروج فردٍ عن داره أو بلده أو نزوله بلداً أو لزومه جهةً أو انتقاله من موضع إلى موضع فلا مدخل له في الطاعة ، لأن السلطان خليفة الله في الأرض فليس له أن يكلف العباد إلا بما كلفهم به الله تعالى » .

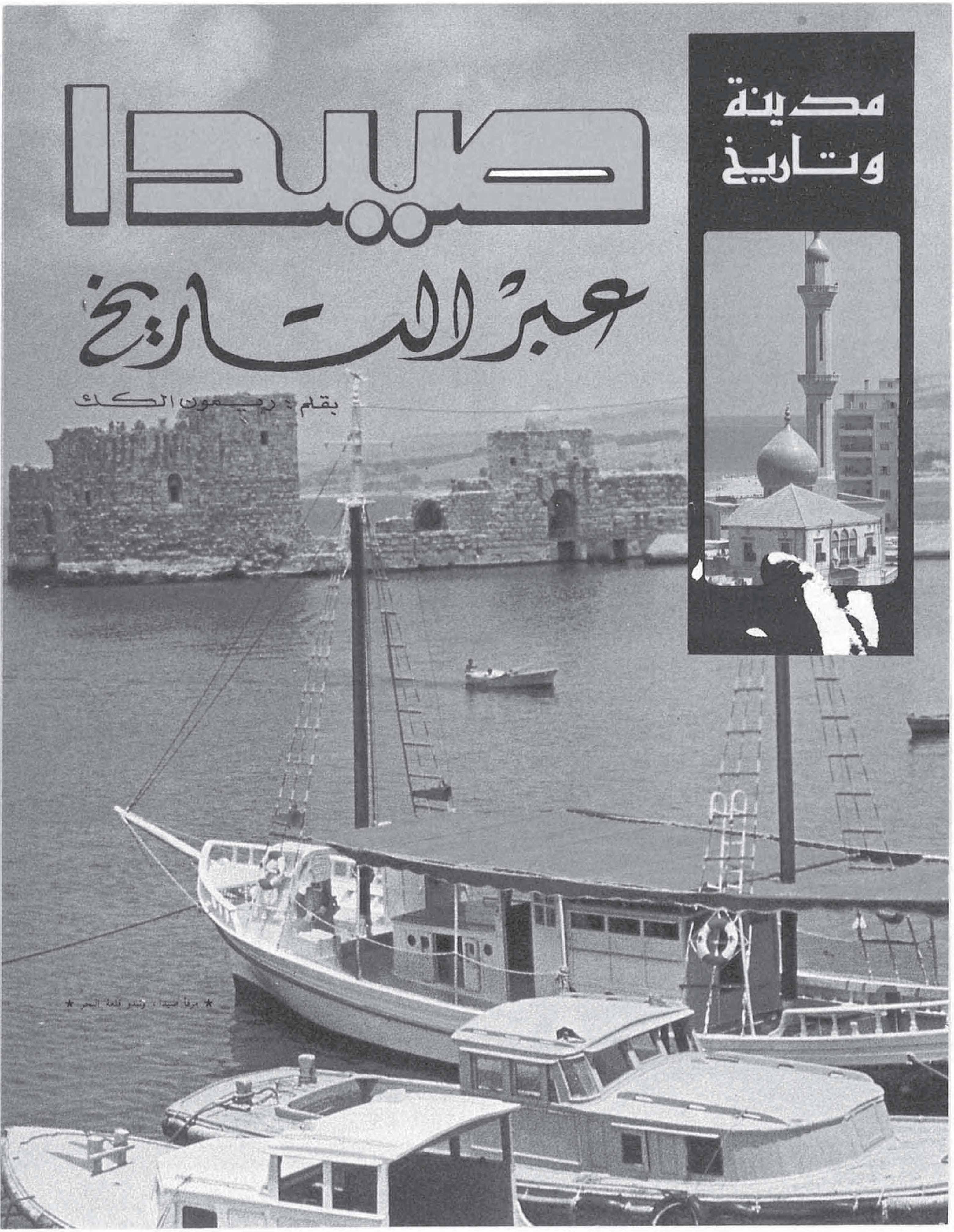
وكان السلطان مولاي إسماعيل ذا سطوة وهيبة فلم يواخذ اليوسي على صرامته وشجاعته واعتداده بعلمه وبنفسه ، بل تقبل كلامه بصدر رحب وحسن ، فلم يقدم على تكليفه بما لا يطيق ، على أن مولاي إسماعيل قد قام بواجب الملك خير قيام ، فوطد دعائم الأمن في البلاد وحافظ على سلامتها الداخلية والخارجية ، وطهر بعض ثغور المغرب من المحتلين الأجانب ، **فطرد الإنجليز من مدينة طنجة** وحكم البلاد مدة تقرب من نصف قرن .

توفي أبو علي الحسن اليوسي وهو في أوج شهرته العلمية ، ودفن بمسقط رأسه سنة ١١٠٢ هـ / ١٦٩١ م ، وقد تخرج على يديه عدد من العلماء الأفذاذ والأدباء المبرزين . . نذكر منهم **أبا عثمان سعيد العميري ، وأبا علي الحسن المعدني ، والشاعر محمد بن زاكور ، وأبا عبد الله محمد المسناوي ، والشيخ علي بركة** دفين مدينة تطوان ، وغيرهم من الأعلام ؛ وما زال العلماء والطلاب إلى الآن يفيدون من مؤلفات اليوسي ورسائله ، رحمه الله وأجزل له العطاء .

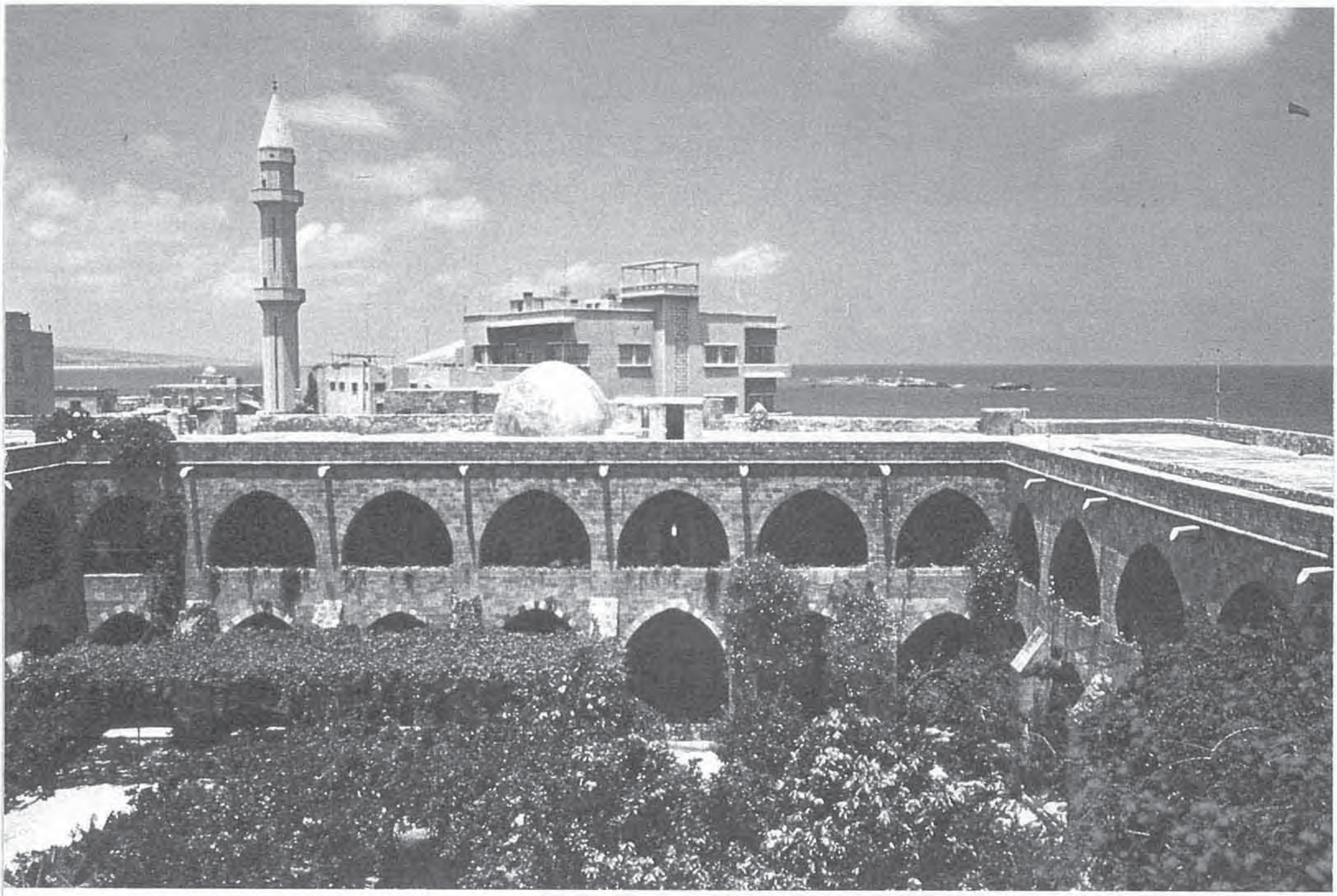
صيدا
عبر التاريخ

يقلم: ريمون الكك

مدينة وتاريخ



★ مرفأ صيداء، وتبدو قلعة البحر ★



★ خان الإفرنج ★

صيدا

عَبْر التاريخ

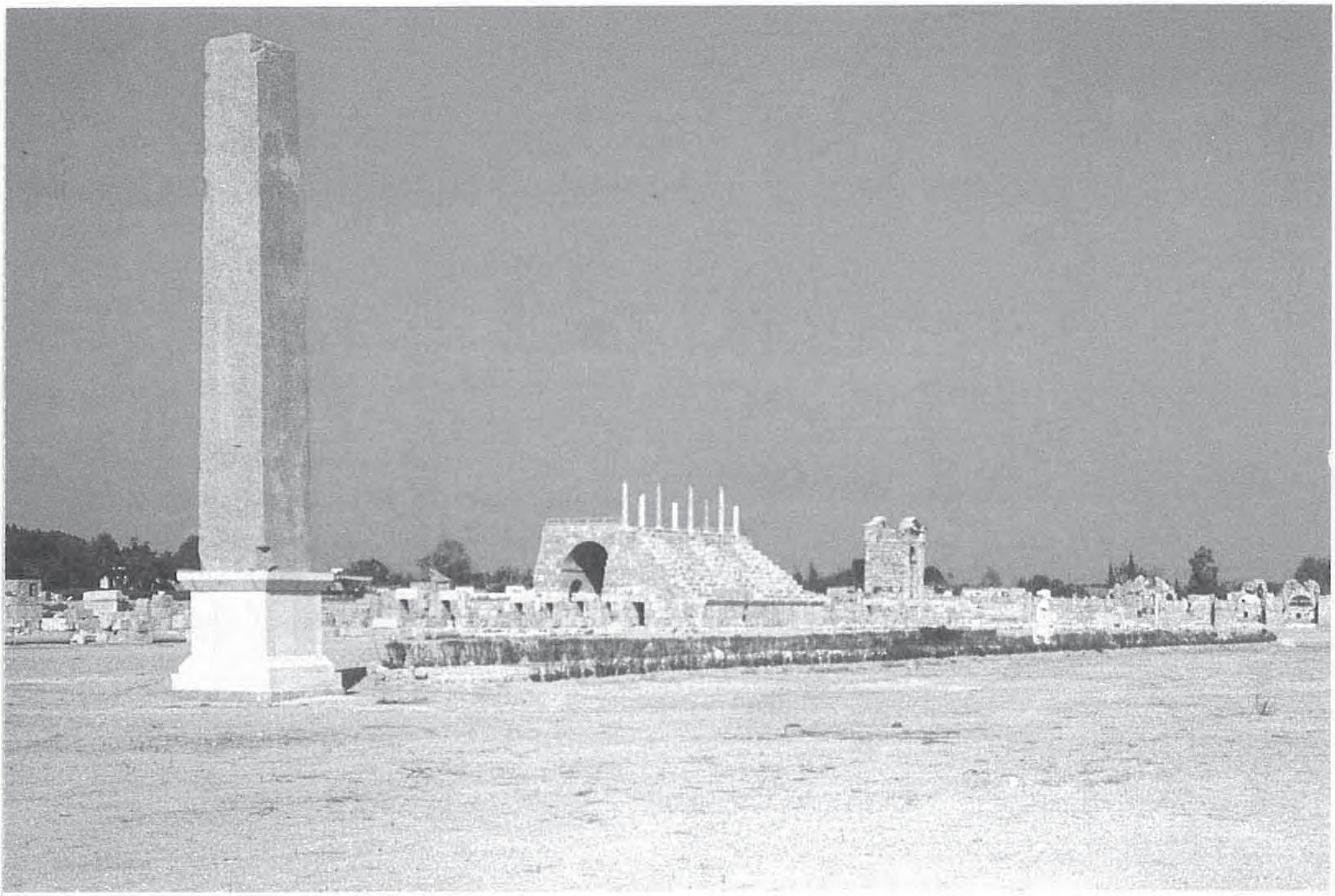
تقع مدينة **صيدا** على مسافة تبعد عن **بيروت** جنوباً خمسة وأربعين كيلومتراً ، في سهل ساحلي خصب وافر المياه . « وهي مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال **دمشق** شرقي **صور** بينهما ستة فراسخ »[١] .

وتقوم **المدينة الحديثة** في الموضع ذاته الذي كانت تشغله **المدينة القديمة** ، لكنها توسَّعت نحو الشمال الشرقي على ساحل البحر . والمدينة **على شكل مثلث** قاعدته إلى الداخل ورأسه شبه جزيرة في البحر . وتجاه الساحل عدد من الجزر الصخرية ، منها جزيرة صغيرة تقوم عليها **قلعة صيدا البحرية** « وجزيرة صيدا » يقوم عليها اليوم منار .

وتحيط بصيدا **بساتين** غنية بالفاكهة أكثرها من **البرتقال والليمون والموز** ، وكان يزرع فيها في العصور الوسطى **قصب السكر وأشجار النخيل** . وهذا ما أعجب به الرحّالة الفارسي « **ناصر خسرو** » حين زار لبنان سنة ١٠٤٧م . إذ قال :

« ثم توجهنا إلى مدينة صيدا ، وهي على ساحل البحر أيضاً ، يزرع بها قصب السكر بوفرة . . . وأغلب شجرها مثمر »[٢] .

وكان لموقع صيدا الجغرافي وقيامها على شبه جزيرة أعظم الأثر في تقرير مصيرها كميناء تجاري هام عبر التاريخ . فاستخدم **الصيدونيون** قديماً ميناءَي المدينة بهدف تصريف بضائعهم إلى دول **حوض البحر الأبيض المتوسط**.



★ آثار معبد أشمون ★

اسم المدينة

يقول **ياقوت الحموي في «معجم البلدان»** ما يلي :

«سميت بصيدون بن صدقاء بن كنعان بن حام بن نوح ، عليه السلام ، قال هشام بن أبيه : إنما سميت صيداء التي بالشام بصيدون بن صدقاء بن كنعان بن حام بن نوح . . . » .

وبعض مؤرخي العرب نسب صيدا إلى صيدون بن صدقاء بن كنعان ابن حام بن نوح حسبما ورد في **التوراة** .

ورجّح « **أنيس فريحة** » في « مُعجم أسماء المدن والقرى اللبنانية » أن يكون « صيد » ، وهو الجذْر الذي اشتقت منه صيدون وصيدا إلهاً سامياً قديماً يمثل الصيد . ويضيف : « في الأصل صيدون ، هكذا وردت في **العبرية** (وهو الابن الأكبر لكنعان) » .

وذكر « **الإدريسي** » أن في صيدا عيناً ينشأ بها في الربيع سميكات في طول الإصبع ، وأن لها أيدي وأرجلاً صفاراً[٣] .

والمرجح أن اسم صيدا مشتق من الجذر السامي « صيد » أي صيد السمك وهي الحِرفة الرئيسية لسكان هذه البلدة منذ نشأتها .

ولا نستبعد تمجيد الأهالي لهذه الحِرفة ، لذلك أطلقوا هذه التسمية على مدينتهم بحيث **أصبح اسم صيدون يعني مدينة صيد الأسماك**[٤] .

صيدا .. حتى الفتح العربي

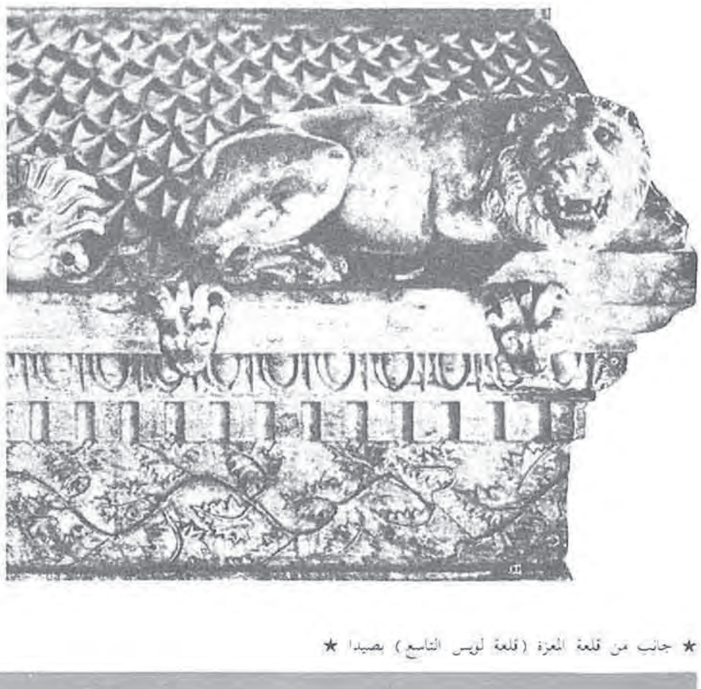
صيدون أقدم مدن الكنعانيين الذين عرفوا عند الإغريق بالفينيقيين . وقد مرّ بنا أن صيدون هو اسم مؤسسها صيدون بكر كنعان ، فالكنعانيون بالتالي هم الذين أسسوا صيدون . وهي أقدم مدن فينيقيا **تزعمت وسادت منذ تأسيسها حوالي سنة ٢٨٠٠ ق.م.**[٥] ، **والبعض يرجع تاريخ المدينة إلى أربعة آلاف سنة قبل الميلاد** . وظلّت زعيمة المدن الفينيقية إلى أن حلت صور مكانها بسبب الضربات التي تعرضت لها ، فحوالي سنة ١٢٠٠ ق. م. دمرت شعوب البحر صيدا فانتقل أهلها إلى صور .

واحتفظت صور بالزعامة إلى أن تعرضت سواحل فينيقيا لغزوات



★ الرسم : منظر قمة الغطاء من الجهة الجنوبية ★

★ الرسم : منظر إحدى زوايا الغطاء وعليها شكل أسد ، من الجهة الجنوبية الغربية ★



★ جانب من قلعة المعزة (قلعة لويس التاسع) بصيدا ★



الأشوريين . وقد فرض هؤلاء على المدينة جزية وتقديم الذهب والفضة والنحاس .

وفي سنة ٦٧٨ ق . م . قام أحد ملوك صيدا « **عبد ملكوت** » فأعلن استقلاله عن الأشوريين . وتمكن « **أسرحدون** » الأشوري من القضاء على هذه الإنتفاضة ، ثم انتقم من الصيدونيين فهدم بيوتهم ودكّ أسوار المدينة ورمى بحجارتها في البحر . وهذه أول كارثة أصابت صيدا العظيمة عبر التاريخ . **وقد أمر أسرحدون بتعمير صيدون من جديد وأطلق عليها اسم «مدينة أسرحدون»** .

أما الملك البابلي **نبوخذ نصر** (٦٠٤ ـ ٥٦١ ق . م .) فقد قهر صيدون فمات من أهلها الكثير بسبب الجوع والأمراض ، وقضى على مدينة صور ، وبذلك استعادت المدينة الزعامة على المدن الفينيقية من جديد .

ثم دخلت صيدون في حكم **الفرس** سنة ٥٢٦ ق . م . وجعلها حاكم سورية الفارسي قاعدة لحكمه وبنى فيها قصراً على النسق الفارسي .

وقد وجد « **رينان** » (Renan) بعض أعمدة هذا القصر وهي اليوم **في دار الآثار في بيروت** . ويُذكر أن « **داريوش الأول** » عيّن ملك صيدون قائداً عاماً للأسطول الفينيقي . ويروى أن ملك الفرس كان يُجلس ملك صيدون إلى يمينه في الاحتفالات والمواسم .

وبعد انتشار الفوضى في **إمبراطورية الفرس** ، بدأت الولايات تشق عصا الطاعة وكانت صيدا في مقدمتها . ولكن **أرتحششتا الثالث** حاصر المدينة ، فما كان من الصيدونيين إلا أن أقفلوا أبوابها وأضرموا فيها النار مفضلين الموت على الاستسلام .

جدّد الصيدونيون بناء مدينتهم بعد عودة الملك الفارسي إلى دياره . وعند وصول **الإسكندر المقدوني** ، رحّب به أهالي المدينة . فترك لهم حرية اختيار ملك عليهم . وقد نالت صيدون بخضوعها للإسكندر امتيازات خاصة أعادت إليها عزّها الغابر .

وبعد وفاة الإسكندر ، لم تعرف المدينة الاستقرار بسبب الصراع بين **البطالسة والسلوقيين** . ولكنها احتلت المرتبة الأولى بين المدن الفينيقية بفضل نشاط سكانها في المجالين الصناعي والتجاري .

وفي **عهد الرومان** ، حافظت صيدا على استقلال جزئي ، ومنحها الإمبراطور « **سبتميوس سفيروس** » لقب مستعمرة . وواصلت المدينة نشاطها التجاري والصناعي ، إذ كانت سفنها تنقل السلع إلى مختلف الأنحاء . **وقد وجدت كتابات لاتينية تصرّح بوجود تجار من أهلها في فرنسا وجرمانيا ومقاطعة نابولي** .

وفي عهد **الدولة البيزنطية** ، ضرب **زلزال** عنيف مدينة صيدا (٥٥١ م .) لكنه لم يؤثر فيها كثيراً كما أثر في **بيروت** . وبذلك انتقلت **مدرسة الحقوق البيروتية** إلى صيدا لمدة عشرين عاماً . وظلت المدينة في أيدي البيزنطيين إلى أن **فتحها العرب في سنة ٦٣٧ م** .



★ قلعة صيدا البحرية ★

في العصر الإسلامي

في بداية هذا العصر، حافظت المدينة على طابعها القديم برغم التدمير الذي أصابها سابقاً. فقد دخلتها جيوش «**يزيد بن أبي سفيان**» سنة ٦٣٧ م. وبذلك دخلت صيدا في نطاق إقليم دمشق منذ أن فتحها المسلمون حتى نهاية **عصر المماليك**.

وقد لقيت المدينة اهتماماً خاصاً من الخليفتين «**عمر بن الخطّاب**» و«**عثمان بن عفان**». فقد عمل الاثنان على ترميم قلاعها وأبراجها. وازدهرت فيما بعد في ظل **الأمويين**، إذ قام **معاوية** باستقدام عناصر فارسية وعراقية إلى المدينة بغية حماية الشاطىء اللبناني من هجمات البيزنطيين المتكررة.

أما ذروة ازدهار المدينة، فكان في العصر الفاطمي عندما زارها الرحّالة الفارسي ناصر خسرو، إذ يقول:

«... وبها **قلعة** حجرية محكمة، ولها **ثلاث بوابات**. وفيها **مسجد**. وقد فرش كلّه بالحصير المنقوش. وفي صيدا **سوق** جميل نظيف، وقد ظننت أنه زيّن خاصة لمقدم السلطان، فلما سألت قيل لي هكذا عادة المدينة دائماً، وفيها حدائق وأشجار منسقة...»[٦].

في عصر الصليبيين

احتل الصليبيون مدينة صيدا في كانون الأول (ديسمبر) سنة ١١١٠ م.، وذلك من قبل «**بغدوين الأول**». وبعد سقوطها أصبحت بارونية[٧] صليبية تابعة لمملكة **القدس**، وكانت حدودها تمتد من نهر الليطاني جنوباً حتى نهر الدامور شمالاً.

وقد اتخذها الصليبيون قاعدة بحرية ومركزاً للإمدادات عندما بدأ «بغدوين الأول» في حصار صور. وقد قام المسلمون بعدة غارات على المدينة لاستخلاصها من أيدي الصليبيين، لكنها لم تفلح إلى أن استولى عليها «**صلاح الدين الأيوبي**» سنة ١١٨٧ م. بدون مقاومة.

وتعرضت صيدا للخراب إثر اقتحامها على يد **المغول** حوالي سنة



★ ساحة رياض الصلح بصيدا ★

١٢٦٠ م. ويذكر « **رنسيمان** » في كتابه « **تاريخ الحروب الصليبية** » أن المدينة نهبت وأضرمت النيران في مساكنها وحُولت إلى كومة خراب وتلال أنقاض[٨] .

في عصر المماليك

دافع الصليبيون عن المدينة لكنهم فشلوا ، فركبوا سفنهم إلى **قبرص** . واحتل المماليك قلعة البحر سنة ١٢٩١ م. ومن ثم المدينة ، وأمر « **الأشرف خليل** » بهدمها .

سطع نجم المدينة فأصبحت مركزاً هاماً من مراكز بطائق الأبراج الخاصة بالحمام ومركزاً بريدياً هاماً .

في عصر الأمير فخر الدين المعني الثاني

سعى الأمير المعني إلى ترميم أبنيتها وقلاعها وتحسين المرفأ ، واتخذها قاعدة لولايته . وعمل المعني على بعث **الحركة التجارية** فيها ، وربط صيدا تجارياً بـ « توسكانة » . وقد وضع في قلعة البحر مدفعاً لحماية مرفأ المدينة من القراصنة . واهتم الأمير **بالوضع الصناعي** ، فازدهرت **صناعة الصابون والحرير والصباغة** . وشهدت صيدا في عهد المعني ازدهاراً عمرانياً برز في المنشآت المدنية والاقتصادية التي انشأها الأمير .

صيدا حتى أيامنا الحاضرة

بعد الأمير المعني ، جعل الأتراك صيدا مركز ولاية سنة ١٦٦٠ م. ، وذلك لمراقبة حكام جبل لبنان . وقد تمكن أحد الحكام المحليين في **فلسطين** « **ظاهر العمر** » من الاستيلاء على هذه المدينة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر بعد أن قصفها **الأسطول الروسي** قبل ذلك بعدة سنوات .

وفي القرن التاسع عشر ، فقدت المدينة عظمتها خاصة بعد أن تقهقرت تجارتها . وفي عهد متصرف جبل لبنان « **داود باشا** » ، طلب أهالي المدينة الالتحاق بلبنان ، فأرسل المتصرف طلبهم إلى الباب العالي .



★ مدينة صيدا على الخارطة اللبنانية ★

وفي القرن العشرين ، دخلت مدينة صيدا في نطاق «لبنان الكبير» كما كانت سابقاً جزءً من لبنان تاريخياً وجغرافياً . ومما ساهم في ازدهارها تدفق النفط السعودي إلى محطة التكرير في «الزهراني» جنوبيها .

وصيدا ، من جهة أخرى ، مركز محافظة لبنان الجنوبي ، **يبلغ عدد سكانها حوالي خمسين ألف نسمة** . تشتهر ببساتينها المزروعة بالحمضيات والموز والأكي دنيا وهي تؤمن كمية كبيرة من الفاكهة للبنان . لهذا فقد تأسست فيها عدة شركات زراعية كبرى . وتروى بساتين المدينة من مياه نهري الأولي والزهراني .

كما تشتهر صيدا بصناعاتها المتنوعة منها صناعة الحلويات والمواد الغذائية والمفروشات ، وهي تتمركز في المدينة الصناعية .

وتعتبر المدينة مركزاً سياحياً هاماً بفضل آثارها المختلفة . فالإستراحة السياحية تقع قرب **قلعة البحر** وهي تستقبل السياح باستمرار . ويقوم في المدينة متحف خاص يخصّ السيد «**مصطفى السّن**» وهو مخصص للتصاميم النموذجية عن قلاع وحصون . كما افتتحت فيها أخيراً فروع من الجامعة اللبنانية .

أما الميناء فقد تحوّل إلى مرفأ لصيّادي السمك ، وهو بحاجة إلى خطة إنمائية تعيد إليه دوره التجاري المهم .

صيدا مدينة الآثار

قلعة البحر :

أسسها الصليبيون على صخرة في البحر تبعد عن الساحل ثمانين متراً تقريباً . وقد استغرق بناؤها حوالي أربعة أشهر في شتاء ١٢٢٧ ــ ١٢٢٨ م . أما حجارتها فضخمة نقلت من أطلال بناء كان في نفس المكان . وكان الهدف من بنائها حماية مرفأ المدينة .

تتكوّن القلعة من **برجين** : الأول ضخم يقع في الجهة الغربية وهو **برج إسلامي** يُعتقد أنه من عصر المماليك (١٢٥٠ ــ ١٥١٧) ، والثاني برج متوسط الحجم . وكان يصل بين البرجين سور ليس له من أثر في الوقت الحاضر .

ومن المرجّح أن **الفرنج** لم يمدوا جسرهم حتى البر وإنما حتى مسافة خمسة وثلاثين متراً من مدخل القلعة ، وأن القسم الباقي حتى البر وطوله اثنان وأربعون متراً هو حديث البناء .

في هذه القلعة **أقام الأمير فخر الدين الثاني مسجداً لا تزال آثاره ماثلة حتى وقتنا الحاضر** . وقد عمل هذا الأمير على ترميم هذه القلعة ، وجعلها مسكناً لولده الأمير علي .

قلعة البر :

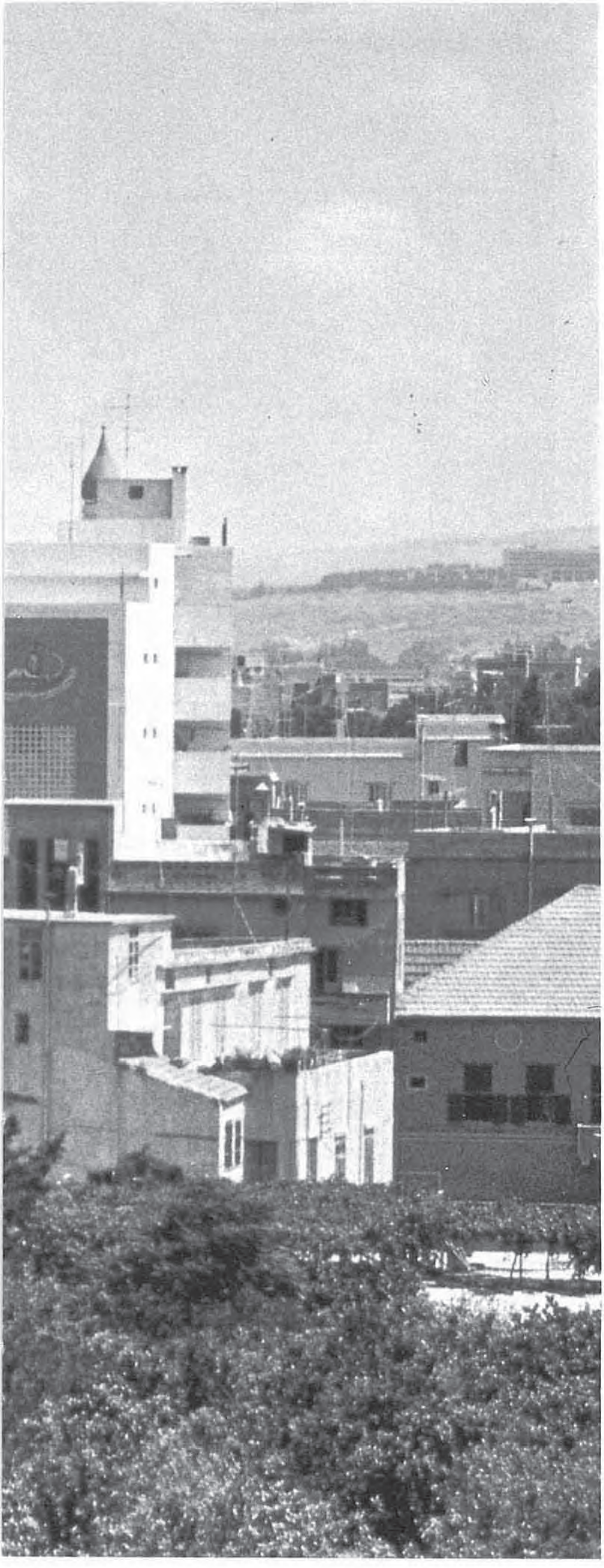
تُعرف بقلعة «**لويس التاسع**» ، وقلعة صيدا الفوقا وقلعة المعزّة . شيدها الملك لويس التاسع الفرنسي أثناء إقامته في صيدا فيما بين سنة ١٢٥٠ وسنة ١٢٥٤ م . وقد بنيت بناء سريعاً بطريقة غير متقنة ، وتخرّبت بسرعة بسبب استعمال الحجارة الصغيرة غير المنتظمة . وقد دمّرت هذه القلعة على يد المماليك سنة ١٢٩١ م . وقد فقدت طابعها الصليبي بسبب التدمير والترميمات والتجديد .

أما تخطيط سور القلعة فهو يتخذ شكل قوس نصف دائرية ، يتّجه قطرها إلى جهة المدينة ، ويتجه وجه القوس الدائري نحو الجنوب . والبرج الذي يؤلف القلعة نفسها هو في وسط القوس الدائرية .

وهذا البرج بناء كبير طوله سبعة عشر متراً ، وعرضه أربعة عشر متراً ، «وسُمك» جدرانه متر ونصف المتر . **وتبدو في بناء القلعة الكثير من العناصر المعمارية الإسلامية .**

جامع صيدا الكبير

بنى الصليبيون سنة ١٢٦٠ م . على الصخور المطلّة على الجانب الغربي من ساحل صيدا بيتاً لهم . وكان هذا البيت أشبه بقلعة حربية لها



كنيستها الخاصة .

ويشغل الجامع الكبير في صيدا قسماً من الكنيسة المستطيلة . أما جدران الجامع من الخارج ، فهي مدعومة بركائز ضخمة . **ويعتبر هذا الجامع من أهم معالم مدينة صيدا الإسلامية** . وفي سنة ١٨٢٠ م. ارتفعت مياه البحر بحيث غمرت هذا البناء ، ثم أعيد بناؤه فيما بعد .

هيكل « أشمون » :

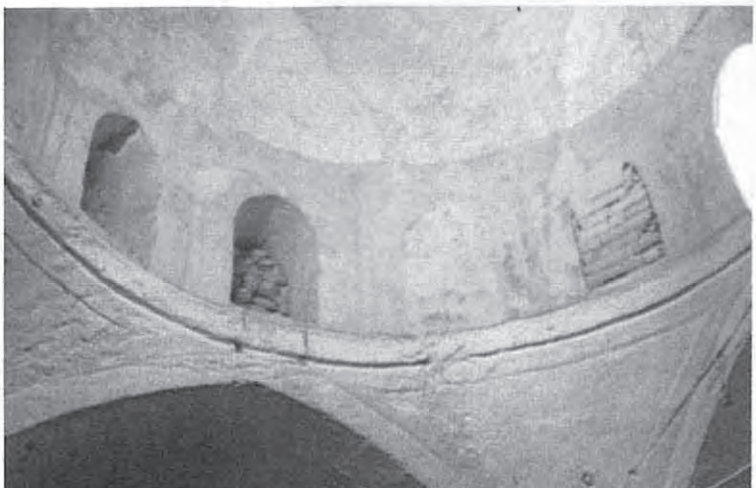
يعود عهد هذا الهيكل إلى القرن السادس قبل الميلاد أي إلى **العصر الفارسي** . أسس هذا الهيكل لأشمون الذي كانوا يعتقدون أنه إله الشفاء وجدت آثاره سنة ١٩٠٠ م ، في بساتين صيدا على منعطف ربوة فوق وادي نهر الأولي على مسافة كيلومترين وثلاثمئة متر شمالي المدينة .

وقد عُثر في هذا الهيكل على ثلاثة عشر تمثالا من المرمر الوردي تمثل أطفالا . أشرف على الحفريات « **مكريدي بك** » مدير المتحف السلطاني « بالأستانة » وعاونه عالمان ألمانيان هما « **شولتس** » (Schultz) و« **كرنكر** » (Krenker) .

يحيط بالهيكل **سور** مبني بالحجارة المصقولة ، وهي ضخمة ومحكمة الوضع . طول هذا السور من الشرق إلى الغرب ستون متراً في عرض أربعة وأربعين متراً من الجنوب إلى الشمال . وفي وسط السور كان مقدس أشمون وهيكله وقد بقي منه حائط ذو حجارة ضخمة . وهو يقسم إلى أربعة صفوف متوازية من الحجارة يستند من الجهة الخلفية إلى ربوة . والكتابات الفينيقية المنسوبة لـ « **بدعشترت** » ملك صيدون إنما وجدت كلها في هذا الحائط في الصف الثالث من حجارته . وقد عثر أيضاً على تماثيل أصنام صغيرة من القاشاني مصورة على الطراز الفينيقي القديم .

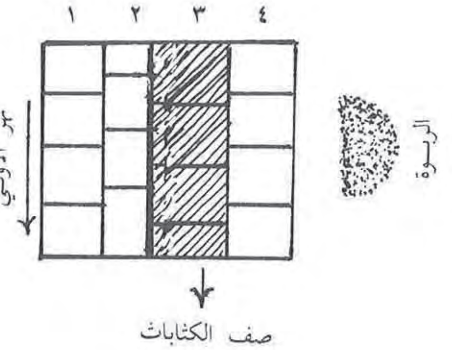
★ قبة بجامع صيدا الكبير ★

★ جامع الزعتري ★





أما بشأن خراب هذا الهيكل فيرجّح « **اسطرابون** » في كتابه السابع عشر أنه جرى سنة ٣٤٨ ق.م ، على يد « أرتحششتا الثالث » . فقد أحرق الملك الفارسي هذا الهيكل بسبب عُصيان أهل صيدا وملكهم على دولته .



نواويس :

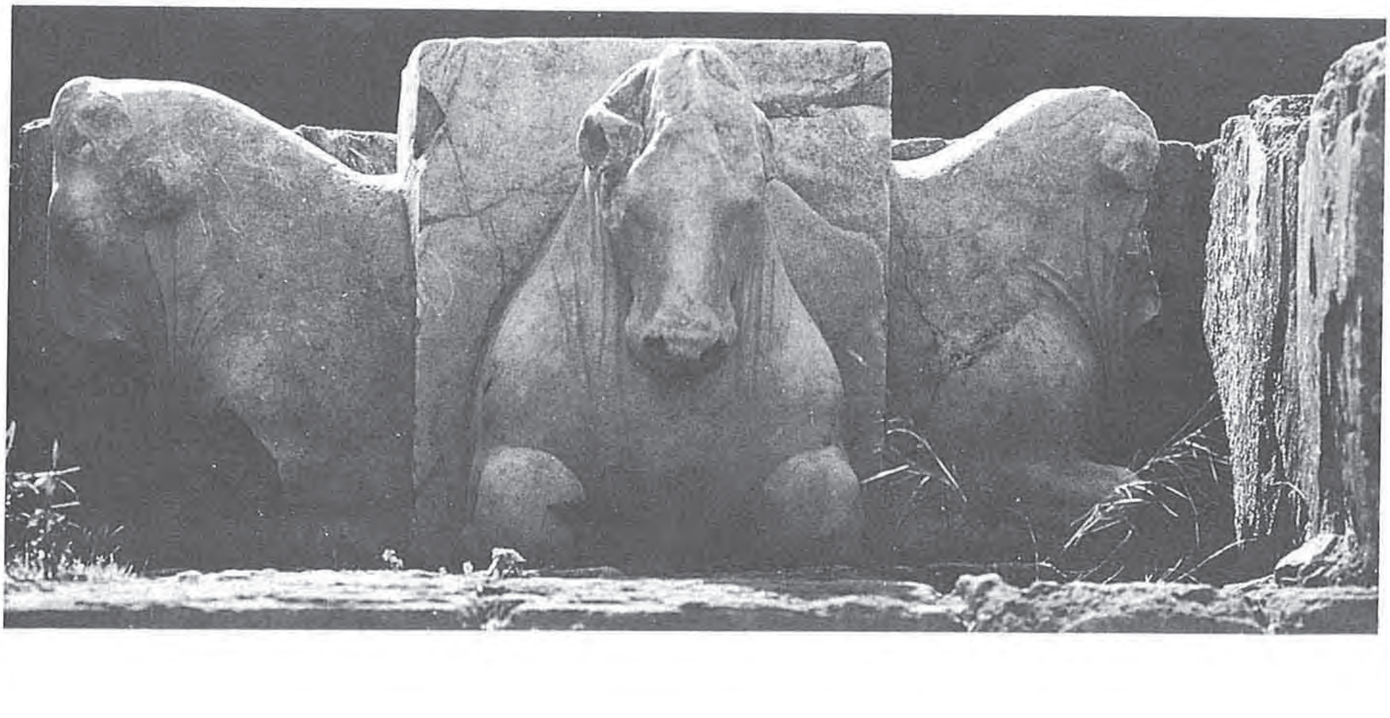
أفادتنا **النواويس المكتشفة في صيدا** عن أسماء ملوك المدينة في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد . **والنـواويس الملـكية الـتي اكتشفت ثلاثة** :

●● أولها : ناووس **أشمنعزر الثـاني** ملك صيدا فيما بين عـامي



★ الرسم : مشهد من الجانب الغربي للناووس يمثل الإسكندر أثناء صيد الوحوش الضارية وقد هم ليخلص رفيقه من الأسد ★

★ رأس عمود نحتت فيه ثيران أربعة على الطراز الأخميني «معبد أشمون» ★





★ قوس النصر ★

٤٢١ ـ ٣٩٦ ق.م. اكتشفه العلاّمة الفرنسي « **الدوق دي لونيس** » سنة ١٨٤٨ م ، فاشتراه وأهداه **متحف اللوفر في** « **باريس** » .

●● ثانيها : ناووس « **تبنيت** » ملك صيدون أبي أشمنعزر الثاني (٤٥٧ ـ ٤٢١ ق.م.) وجد فيه تاج الملك من الذهب الإبريز الخالص ، وقلائد ذهبية وأساور وخلاخل .

●● ثالثها : ناووس فخم لا كتابة عليه والمرجح أنه قبر الملكة « **عمعشترت** » كاهنة « **عشتروت** » .

وبعض النواويس الرخامية التي استخرجت من مغارة في بساتين صيدا نقلت إلى الآستانة حيث بُني لها متحف خاص ، وقد أشرف على إخراجها **الأثري التركي** « **حمدي بك** » . ومن أهم النواويس التي اكتشفت ناووس « **الإسكندر الكبير** » . وقد أجمع العلماء على أن هذا الناووس جعل مدفناً للملك « **عبدولونيم** » الذي توَّجه الإسكندر ملكاً على صيدا .

وقد عثر الدكتور « **فورد** » الأميريكي في صيدا على عدد وافر من النواويس الغريبة الشكل ، وحفرت على ظاهرها وجوه أصحابها . وقدمها فورد إلى **متحف بيروت** .

ووجد « **كونتنو** » (Conteneau) أثناء حفرياته ناووساً فخماً حفر عليه رسم سفينة فينيقية . وقد نقل الناووس إلى متحف بيروت وهو من أثمن التحف .

خان الإفرنج :

بناه الأمير **فخر الدين الثاني الكبير** (١٥٧٢ ـ ١٦٣٥ م) **أمير الشوف** في القرن السابع عشر ووهبه للتجار الفرنسيين في صيدا ، وكان معداً بنوع خاص لاستقبال تجار « **مرسيليا** » .

إنه مثلث الشكل ، متين البناء ، موقعه يقابل سراي المعني وفي داخل أسواق صيدا القديمة . كبير المساحة ، بني من الحجر المربّع الشكل . يتوسطه صحن مربع في وسطه حوض تحيط به الأشجار . ويتألف الخان من طبقتين : الطبقة العليا مخصصة للنزلاء ، والطبقة السفلى تشغلها مخازن وحظائر للخيل . وللخان بابان : أحدهما يطلّ على الميناء الشمالي والآخر يطل على ساحة السراي . وقد رُمّم الخان عام ١٨٩٣ م .



★ الكاتدرائية ★

يتحدّث المؤرخ الشهير «**عيسى اسكندر المعلوف**» في كتابه «تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني» عن خان الإفرنج فيقول :

«وقد منحته الدولة العثمانية لفرنسة . . . القسم الأول هو الآن **مستشفى للحكومة الفرنسية**، والثاني هو **دير للآباء الفرنسيسكانيين** . . . والثالث منه هو اليوم **مدرسة لراهبات مار يوسف وميتم**» .

وقد أصبح الخان في القرن التاسع عشر مقر **القنصلية الفرنسية** ومقرّ بعثة الآباء الفرنسيسكان ، وهو حالياً دار أيتام للبنات بإدارة راهبات مار يوسف الظهور .

ومن بين الخانات التي أنشأها المعني الكبير لنزول التجار الأجانب نذكر **خان الرز** الواقع إلى الشمال من خان الإفرنج .

الجامع البراني :

شيّد الأمير فخر الدين الثاني هذا الجامع خارج سور المدينة وجعل فيه أضرحة المعنيين . وما يزال وقف هذا الجامع باسم المعنيين . ويُقال بأن هذا البناء كان الأول خارج السور .

إدارة البرق والبريد :

بنى المعني الكبير قصراً كان داراً للحكومة القديمة حيث الآن **إدارة البرق والبريد** . «وكان مسكن الأمير قرب هذه الإدارة وهو من أجمل الأبنية القديمة دبجت جدرانه بالنقوش والرسوم الرائعة ، وفيها آيات قرآنية وحكم أدبية بخط جميل مذهب» .

الهوامش

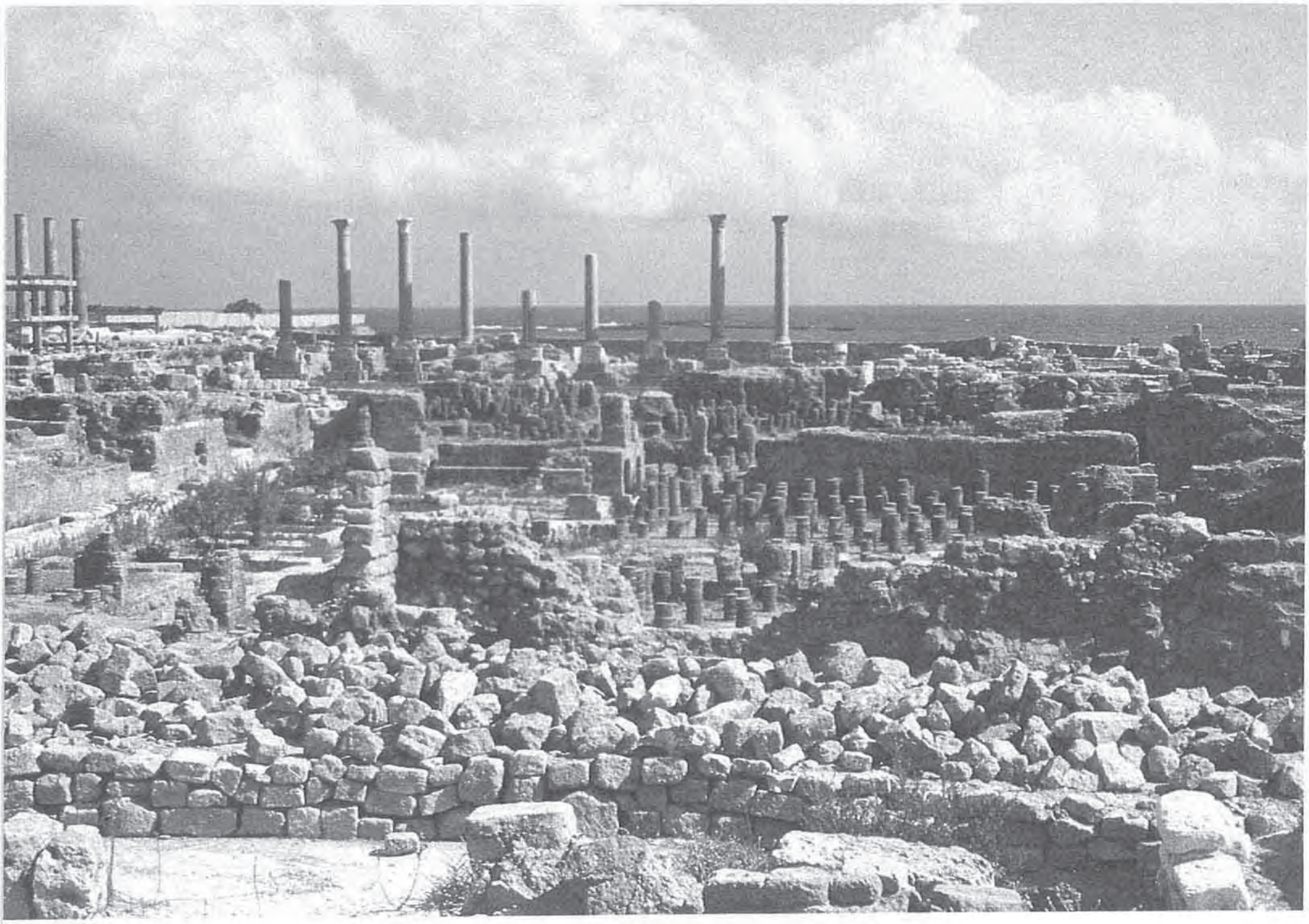
(١) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلّد الثالث ، دار صادر ودار بيروت (١٣٧٦ هـ/١٩٥٧ م) .

(٢) ناصر خسرو : سفرنامه ، نقله إلى العربية الدكتور يحيى الخشّاب ص ١٤ ، معهد اللغات الشرقية بالقاهرة ١٩٤٥ م.

(٣) الإدريسي : وصف فلسطين والشام من كتاب (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) ، ص ١٥ ، من طبعة «بون» ١٨٨٥ م.

(٤) الدكتور عبد العزيز سالم : دراسة في تاريخ مدينة صيدا ، ص ١٩ ، منشورات جامعة بيروت العربية .

(٥) نفس المصدر السابق .



★ أعمدة رومانية « السوق » ★

دار تاريخية في صيدا :

ومن أروع دور صيدا دار أولاد المرحوم « **رفلة دبانه** » ، بناها الأمير المعني وكانت تخصّ **آل حمـــود** ، فـــأعادوا تجـــديدها ســـنة (١١٣٢ هـ / ١٧١٩ م .) . ويدل رونقها وزخرفتها على أنها من طراز أبنيـة المعني .

★ مقعد « أسترته » (Astarté) (معبد أشمون) ★



(٦) ناصر خسرو : ص ١٥ .

(٧) بارونية : اقطاعة صغيرة .

(٨) ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، الجزء الثالث ، ص ٥٣٠ .

بعض المراجع الإضافية

– أنيس فريحة : معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية ، مكتبة لبنان ١٩٧٢ م .
– يوسف مزهر : تاريخ لبنان العام (جزءان) .
– فيليب حتي : تاريخ لبنان ، دار الثقافة ١٩٧٤ م.
– عيسى اسكندر المعلوف : تاريخ الأمير فخر الدين الثاني الكبير .

— Macridy By: Le temple d'Echmoun à Sidoun.
— Ernest Renan: Mission en Phénicie.
— René Dussaud: Topographie historique de la Syrie antique.

دور الرعاية الإجت

إن من أهم الأسباب التي قادت بعض البلاد الغربية من عهود التخلف إلى التقدم والازدهار ما يأتي :

● **أولا :** تطور الرعاية الاجتماعية ورفع المستوى للطبقات الفقيرة كأساس لتحرر المجتمعات الغربية من عبودية الطبقية والاستغلال ، وكنتيجة حتمية للاستفادة من الثروة الصناعية في تنمية المجتمع .

● **ثانياً :** إعطاء الأسبقية في **الخدمات الاجتماعية والرعاية الصحية للأطفال والأمهات باعتبارهما القاعدة الأساسية التي يتكون منهما المجتمع في الحاضر والمستقبل .** وإذا كانت البلاد الغربية المتقدمة قد جنت ثمار رعايتها للأمهات والأطفال منذ أكثر من نصف قرن حتى اليوم تفوقاً في العلم والقوة والازدهار لشعوبها ، فإن ما يسمى بالبلاد النامية لفي أكثر حاجة إلى اعتبار الأطفال أعظم طاقة بشرية يمكن استثمارها كأساس سليم للتنمية .

إن الأطفال يكونون في البلاد النامية حوالي خمسين في المئة من عدد السكان . والأطفال والأمهات يكونون معاً حوالي ثلثي عدد السكان ، ولكن نسبة الوفيات مرتفعة والأمراض التي تفتك بالأطفال والتي يمكن وقايتهم منها كثيرة وينتج عن ذلك تدهور في مستوى الصحة العامة بين السكان ، خصوصاً العاملين منهم ، مما له أثر ضار بالإنتاج .

وإذا كان الهدف من التنمية هو تقدم المجتمع اجتماعياً وصحياً وعلمياً ، فإننا نعتبر الرعاية الاجتماعية للأطفال أساساً للتنمية . **ومن المعترف به عالمياً أن المعيار العلمي لتقدم أي بلد يقاس بعدد الوفيات بين أطفاله في السنة الأولى لكل ألف مولود .** وهذه النسبة منخفضة جداً في البلاد المتقدمة التي تولي اهتماماً خاصاً بالرعاية الاجتماعية والصحية للأمهات ، بينما هي مرتفعة في البلاد المتخلفة أو حتى البلاد الغنية التي لا تقدم خدمات اجتماعية وصحية لجميع أفراد المجتمع .



نسبة وفيات الأطفال في السنة الأولى حسب إحصائية منظمة الصحة العالمية (تقرير سنة ١٩٧٠م) في الدول المتقدمة

البلد	نسبة الوفيات في السنة الأولى لكل ألف مولود
السويد	٢٢,٩
هولندا	١٣,٤
المملكة المتحدة	١٨,٣
الولايات المتحدة	٢٢,٤
تشيكوسلوفاكيا	٢٢,٩
يوغسلافيا	٦٢,١
السودان	٩٦
شيلي	٩٩,٨

الرعاية الاجتماعية للأطفال

مما لا شك فيه أن تقدم الأمم يقاس بمقدار ما تقدمه كل أمة للنشئ من أبنائها من رعاية اجتماعية وصحية وثقافية منذ الحمل إلى أن يكتمل نموه ويصبح عضواً عاملاً في المجتمع . وهذه الفترة الهامة في حياة الإنسان والتي تؤثر فيها عوامل عديدة هي الأساس التي تعتمد عليه الأمة في تكوين شعبها الذي يقوم بالعمل والإنتاج في كل الميادين ، **وبقدر ما يكون مستوى الرعاية يكون مستوى الإنتاج .**

التخطيط للرعاية الاجتماعية للأطفال

يجب أن يشمل التخطيط السليم لرعاية الأطفال الأسرة بأكملها ، لأن جميع العوامل التي تؤثر في الأسرة ، سواء أكانت هذه العوامل وراثية أو اقتصادية أو اجتماعية ، لها أثر كبير في نمو الطفل بدنياً وعقلياً وعاطفياً .

رعاية الشباب قبل الزواج

إن صحة الشباب ووعيه لمسؤولية الحياة الزوجية وتثقيفه تربوياً عوامل هامة لنجاح الأسرة وسعادتها .

وإني أقترح أن تنشئ كل دولة ما يأتي :

ماعية للأطفال

بقلم : د . محمود محمد حسن

(١) عيادة لفحص الشباب والتأكد من خلوهم من الأمراض المعدية ، وفحص الراغبين والراغبات في الزواج ، للتأكد من فصائل الدم والأمراض الوراثية التي تؤثر في الجنين .

(٢) التثقيف الصحي عن كل ما يهم المجتمع من أمراض وما يجب محاربته من عادات ضارة كالتدخين والكحول وغيرها .

(٣) التثقيف الغذائي خصوصاً للأمهات أثناء الحمل وبعده وبالنسبة لتغذية الأطفال .

(٤) تدريب الشباب على طرق تربية الأطفال .

تنظيم أوقات الحمل

إن أنسب عمر للحمل من غير أثر ضار على صحة الأم والجنين هو ما بين العشرين والخامسة والثلاثين . فالحمل المبكر له أثر ضار على صحة الأم ، كما أن جهلها برعاية الطفل يسبب لها كثيراً من المتاعب . كما أن أكثر الأمراض الوراثية بين الأطفال تظهر بعد أن يبلغ عمر الأم أكثر من خمس وثلاثين سنة .

إن تنظيم أوقات الحمل ضروري لصحة الأم والطفل . ويجب أن يكون الهدف منه هو أن تستعيد الأم قوتها البدنية ، بعد الوضع بفترة مناسبة ، تمكنها أيضاً من الرعاية الكاملة قبل أن تقاسي متاعب حمل آخر ، وقبل أن تتبعثر جهودها في تنشئة أطفال آخرين من غير طائل .

رعاية الأمهات أثناء الحمل

إن لمركز رعاية الأمهات أهمية كبيرة في تحسين صحتهن ، ولكن من الضروري أن تتطور هذه المراكز لتصبح أكثر فاعلية وأثراً في حياة الأمهات ، فمن الضروري أن يكون في كل مركز من مراكز رعاية الأمهات باحثة اجتماعية تقوم بدراسة واقعية لحالة الأسرة الاجتماعية والاقتصادية وحل مشاكلها العديدة ، وارشاد الآباء أيضاً وكسب تعاونهم في رفع مستوى أسرهم .

وأثناء الولادة

لقد أصبح واضحاً أن الولادة إذا تمت تحت رعاية طبية خصوصاً في المؤسسات العلاجية ، لها فوائد عديدة للأم والجنين . وكلما زاد عدد الأسرَّة المخصصة للولادة في المستشفيات أو الدور الخاصة لذلك قلت نسبة المضاعفات للأمهات والمولودين الجدد ، وقلت بالتالي نسبة الوفيات والأمراض عند الأطفال في الساعات والأيام الأولى الهامة من حياتهم . ولذلك فإن **من الضروري زيادة عدد المؤسسات المخصصة للولادة على أن تكون أقل تكاليفاً من المستشفيات العامة ، وأقل خطراً من أثر التلوث بالجراثيم** التي تكثر بالمستشفيات ، كما يجب أن تكون فيها استعدادات كاملة للعناية بالمولود الجديد الكامل وبالمولود الناقص .

رعاية الأطفال قبل المدرسة

إن الرعاية الاجتماعية للأطفال في هذه الفترة لها أثر كبير في وقايتهم من كثير من الأمراض التي تفتك بهم ، ويجب أن تشمل :

أ ـ التغذية الصحيحة

إن أفضل غذاء للطفل هو **لبن الأم** وقد حث القرآن الكريم على الرضاعة . قال الله تعالى : ﴿ **والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة** ﴾ (سورة البقرة الآية ٢٣٣) ، ولكن الرضاعة أصبحت تقل نسبتها بين الأمهات في المدن نتيجة التأثير الضار للرعاية التجارية التي تعتمد على الألبان المجففة ، وإحجام الأمهات المثقفات عن الرضاعة ، وكذلك العاملات لانشغالهن بالعمل خارج المنزل ، وبالمشاكل النفسية الكثيرة التي تواجههن وتؤثر على كمية اللبن بالثدي .

أما بين الأمهات في الريف فإن الرضاعة ما تزال منتشرة ، ولكن أخطر العادات هي **الفطام المبكر** بسبب الحمل ، نظراً لعقيدة خاطئة بأن اللبن يصبح ضاراً للرضيع ، وهذا مفهوم خاطئ يجب تصحيحه . إن أمراض سوء التغذية التي تؤثر على صحة الأطفال وتسبب بعض الوفيات لا يعود سببه إلى قلة الغذاء بالمنزل ، لأن جميع أنواع الغذاء الضرورية للطفل موجودة حتى في أفقر البيوت مثل اللبن والبيض والحبوب والخضروات ، لكنها نتيجة للجهل وانعدام الإرشاد إلى وسائل التغذية الصحيحة للطفل .

ب ـ الوقاية من الأمراض المعدية والخطيرة

من الضروري وقاية الأطفال بالتحصين من **الأمراض المعدية** التي يوجد لها أمصال واقية وأهمها **شلل الأطفال ، والدفتريا ،**

والتيفوئيد ، والجدري ، والكوليرا ، والتتس والسحائي .

كما أن أخطر الأمراض الأخرى مثل **النزلات المعوية** يمكن وقاية الأطفال منها بالرعاية الاجتماعية والتثقيف الصحي ، خاصة في التغذية والنظافة ، وهذه الأمراض تقف وراء أكبر نسبة للإصابات والوفيات بين الأطفال .

ج ــ التحصين

يجب أن يبدأ برنامج **التحصين منذ الولادة** وأن يصرف لكل أم بطاقة تشمل برنامج محدد للتحصين وارشادات عن تغذية الأطفال .

وإذا كان ذلك ممكناً في المدن فإنه من الضروري استخدام الوحدات الصحية المتنقلة في الريف ، ذلك لأن تكاليف التحصين أقل بكثير من تكاليف العلاج فمثلاً بينما يكلف تحصين الطفل من شلل الأطفال أقل من عشرة قروش فإن علاج الطفل المصاب بشلل الأطفال يكلف آلاف الجنيهات وسنين طويلة من الآلام والحزن للأسرة .

د ــ الوقاية من الحوادث

لقد أصبحت الحوادث من أخطر المشاكل التي تواجه الأسرة وأهمها :

١ ــ تناول السميات والأدوية الموجودة في المنزل التي تكون عادة في متناول أيديهم خصوصاً المنومات والجاز .

٢ ــ الحريق بالنار أو الماء الساخن .

٣ ــ الوقوع من مكان عال .

٤ ــ حوادث الحركة .

٥ ــ حوادث التيار الكهربائي .

ويجب على الأسرة اتخاذ جميع الاحتياطات اللازمة لوقاية الأطفال من هذه الأخطار .

هـ ــ المشاكل النفسية

إن المشاكل النفسية مثل **التأخر في النطق والقلق والأرق والتبول في الفراش أثناء النوم وفقدان الشهية وغيرها** تتطلب معرفة تامة بالنمو الطبيعي للطفل ، وعلاقة الطفل بوالديه وبقية أفراد الأسرة حتى يمكن علاجها .

و ــ الرعاية في المدارس

إن من الضروري تطور **نظام الصحة المدرسية** وربط المدرسة بالمنزل والمجتمع والاهتمام بالوسائل التي ترفع من المستوى الصحي والثقافي والاجتماعي للطلبة . وأهم الوسائل الكفيلة بذلك هي :

١ ــ التثقيف الصحي .

٢ ــ الصحة العقلية والنفسية للأطفال .

٣ ــ المستوى الصحي للمدرسة .

٤ ــ الرياضة .

٥ ــ الغذاء بالمدرسة ، تقديم وجبة الافطار أو كوب من اللبن أو الفاكهة .

٦ ــ منع العقاب البدني منعاً باتاً في جميع أطوار التعلم حتى لا تتأثر شخصية الطفل وعلاقته بالمدرسة والمجتمع .

٧ ــ مراجعة البرامج الدراسية في جميع مراحلها وتطويرها بالطرق الحديثة والتخلص من الأساليب العتيقة الضارة مثل الحفظ والاستظهار ، وتنشئة الطفل على التفكير وقوة الملاحظة والتقويم العلمي والمنطق السليم .

ز ــ الأطفال المعوقون

لا يوجد في كثير من البلاد العربية حتى الآن قانون ينظم رعاية الأطفال المعوقين في النواحي التعليمية والصحية والاجتماعية . وكل نوع من العاهات يحتاج إلى نوع خاص من الرعاية وطريقة خاصة للتغلب عليها . وهنالك أنواع مختلفة للعاهات تصيب الأطفال . أفضل تعريف لها ما قدره قانون التعليم للأطفال المعوقين في بريطانيا وهو : ١ ــ الطفل الأعمى ، ٢ ــ الطفل ضعيف النظر ، ٣ ــ الطفل الأصم ، ٤ ــ الطفل ضعيف السمع ، ٥ ــ الطفل المصاب بعاهة بدنية ، ٦ ــ الطفل ضعيف العقل ، ٧ ــ الطفل المصاب بالصرعة ، ٨ ــ الطفل المصاب بضعف في النطق ، ٩ ــ الطفل المصاب بمرض مزمن ، ١٠ ــ الطفل الذي لا عائل له .

إن كثيراً من المصابين بهذه العاهات في كثير من البلاد العربية لا يجدون الرعاية التامة خاصة في الأقاليم ، لكن قليلاً من الأطفال الذين لا عائل لهم يجدون الرعاية الاجتماعية والصحية في الدور الخاصة بهم .

وقد أصبح واضحاً الآن أن من الضروري إنشاء دور في كل الأقاليم لرعاية الأطفال المحرومين ، كما أنه من الضروري التخطيط لرعاية الأطفال الكبار منهم في النواحي التعليمية والاجتماعية ، ووضع القوانين الملزمة لتعليم ورعاية الأطفال المعوقين في جميع أطوار حياتهم .

ح ــ الأطفال المشردون

هناك عدد كبير من الأطفال المشردين الذين فروا من ذويهم في الأقاليم ولجأوا إلى المدن والذين تدفعهم تيارات الحاجة والتيه إلى السلوك المشين مثل السرقة والمخدرات وغيرها مما يوقعهم في قبضة القانون .

ولقد حاولت بلاد كثيرة في تنشئة هؤلاء الأطفال ورعايتهم وإنشاء دور تعليمية خاصة لهم ، وقد دلت **التجربة التعليمية في نيروبي** على نجاحها ، فقد نشأ كثير منهم على أخلاق قويمة ومستوى تعليمي كبير ، مهد لهم الطريق لدخول الجامعات والمساهمة بقدر كبير من التفوق في المجتمع . ونحن نأمل أن نرى مثل هذه الدور الإنسانية الرائعة في البلاد العربية والإسلامية في القريب العاجل .

مجلس أعلى لرعاية الأطفال

إن مسؤولية رعاية الأطفال مسؤولية مشتركة بين الدولة والمجتمع . وحبذا لو أنشئ **مجلس أعلى لرعاية الأطفال** من النواحي الاجتماعية والصحية والثقافية في كل بلد عربي يكون واجبه وضع السياسة وتنسيق الجهود وربط الهيئات التطوعية والحكومية في مشاريع مشتركة لرفع مستوى الأطفال اجتماعياً وصحياً وثقافياً في جميع أطوار حياتهم .

لقاء مع

عالم لغة .. وأديب .. وباحث ..

بلغت مؤلفاته المطبوعة حوالي خمسين كتاباً .. باستثناء مصنفاته المخطوطة .

عمره رحلة ماجدة مع لغة القرآن .. اللغة العربية التي استطاعت بأصالتها ومرونتها وشاعريتها استيعاب معطيات علوم .. وفنون .. وآداب الحضارة الإسلامية العربية في الماضي ، وما تزال إلى اليوم لغة حضارة وعلم ، وفكر ، وفن قادرة على استيعاب كل معطيات العصر الحديث ، ومعطيات المستقبل بأصالتها ومرونتها وشاعريتها .

أحمد عبد الغفور عطار



هذا اللغوي الأديب الباحث هو **الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار** .. من مواليد عام ١٣٣٤ هـ ، في **مكة المكرمة بالمملكة العربية السعودية** .

فتح عينيه على القراءة والكتابة في مدرسة « **المسعى** » الابتدائية .. ثم في مدرسة « **الفلاح** » قسم تحفيظ القرآن .. ثم في **المعهد العلمي السعودي** .. وكانت جامعته الكبرى **حلقات المسجد الحرام** ، حيث تلقى علومه في اللغة ، والدين ، والأدب على يدي علماء أفاضل ، وشيوخ أجلاء .

وحين قويت ملكاته ، وبرزت مواهبه استقل بنفسه مع الكتب ، والاطلاع ، والقراءة الجادة ، والبحث ، والتأليف .

في لقائنا الذي لم يطل معه اطلالة عاجلة على بعض ما عنده ــ وهو كثير ــ وكان اللقاء يدور جله حول اللغة العربية المحيط الذي لا ينضب .

اللغة العربية والعصر

اللغة بين الإبداع والبحث

●● نقطة البداية لهذا اللقاء مع الأستاذ عطار كانت تطرح قضية ما يردده بعض الأدباء ــ خاصة بعض الشبان ــ من حين إلى آخر من أن الأديب المبدع أقل حاجة إلى اللغة من العالم اللغوي أو الباحث ، ويكفيه القليل منها لايصال فكرته إلى القارئ ، وتلقى هذه القضية تأييداً ممن يدعون إلى أدب فكر لا أدب لغة .

● يرد الأستاذ عطار بقوله :

« من البديهيات أن نقول : اللغة هي الفكر ، وهي الأداة التي نعبر بها عن كل ما نريد التعبير عنه سواء أكان في **الآداب** وبعض **الفنون والعلوم والفلسفة** ، ونقول بعض الفنون لأن منها ما يعبر عنه بغير الكلمة مثل **الرسم والموسيقى** .

أما أن حاجة المبدع في الأدب إلى اللغة أقل من حاجة العلماء الباحثين إليها فذلك زعم غير صحيح ، **فالعلماء الباحثون يبدعون مثلهم مثل الأدباء والشعراء والقصاصين ، فهم سواء في الحاجة إلى اللغة وقد يكون الأديب أكثر حاجة من العالم إلى التضلع في اللغة ، فشكسبير** في الإنجليزية ، **وشوقي وعلي محمود طه** في العربية كانوا يملكون ثروة لغوية كبيرة تتكافأ مع ثروة مصطفى **مشرفة وانيشتاين** ، بل تزيد ثروتهم عن هذين العالمين .

وزعم الزاعمين أن المبدع الفنان في غير حاجة إلى ثروة ضخمة من اللغة وإنما يكفيه القليل منها زعم ينقصه الواقع ، فالفقير في اللغة فقير في العاطفة والإحساس ، والغني فيها غني فيهما ، **فامرؤ القيس** كان غنياً في اللغة ، ولهذا كان غنياً في العاطفة .

وكلما ازدادت ثروة الأديب اللغوية ازداد إبداعه في التعبير ، فالطفل ــ مثلاً ــ محدود في صوره البيانية لأن محصوله من اللغة ضئيل ، والعامي كذلك ، وكلما كبر الطفل اتسعت مداركه ومعارفه باتساع أفقه اللغوي .

فالفقير في اللغة ، سواء أكان أديباً أم عالماً ، فقير في إبداعه ، فقير في عاطفته ، فقير في صوره الفنية .

وهذا طبيعي ، فإذا كان الأديب يملك من اللغة عشرة آلاف كلمة كانت لديه عشرة آلاف صورة ، فإذا قل أو كثر محصوله تبع ذلك الصور والمعاني قلة وكثرة .

وتوفيق الحكيم ومحمود تيمور مبدعان ، وكل منهما ذو ثروة لغوية ضخمة ولذلك كانا ذا ثراء عظيم في المعاني والصور ، ولم يدعيا هما

أو أمثالهما بتلك المقولة التي لا يدعيها إلا الضعفاء في الابداع . **والضعيف لا يكون مبدعاً ، لأن الابداع وليد القوة .**

ولم يمر بي في اللغات الأخرى مقولة هؤلاء في العربية **فمحمد إقبال** شاعر باكستان الأكبر وأديبها الأعظم وفيلسوفها ، و « **طاغور** » شاعر الهند وأديبها وفيلسوفها إمامان كبيران في لغاتهما فكلاهما غني في مفردات لغته ، وعليم بقواعدها وفُصَحِها ونوادرها وقواعد الاملاء ، ومن أبلغ من كتب في تلك اللغة .

وكذلك الأمر في المبدعين في كل لغة ، **ولا تجد مبدعاً في الأدب بكل فروعه إلا وهو غني في مفردات لغته ، وعليم بقواعدها وقواعد الاملاء فيها** ، فمقولة من يزعمون أن حاجة المبدع في الأدب أقل من حاجة العالم الباحث باطلة ومردودة ، لأن العالم محدود نطاقه بحدود العلم الذي برز فيه ، أما الأديب أو القصاص المبدع فنطاقه أبعد آفاقاً ودنياه أكثر اتساعاً ، وذلك يقتضيه أن يكون ذا ثروة لغوية جد ضخمة .

فقصص توفيق الحكيم ـ مثلاً ـ تحوي نظريات وآراء في الفلسفة والاجتماع وعلم النفس وغيره من العلوم والفنون والفلسفات ، وقد تجد في أقصوصة من أقاصيصه متسعاً لعلوم وفنون مختلفة ، ومن الشواهد على ذلك مسرحيته التي بعنوان « **اللص** » وعشرات من مسرحياته الصغيرة .

وما ابداع أصحاب تلك المقولة ؟

هات واحداً منهم وانظر أي إبداع لديه ، وأرنيه .

إذا كان لديه إبداع فهو مأخوذ عن غيره ، أو هو قليل ونادر مثل ما نجد عند العامة من إبداع منبثق من الفطرة والسجية » .

دور اللغـــة في الأدب

●● **إذا كان الأمر كذلك فما أبعاد الدور الذي تنهض به اللغة في أدب المبدع والكاتب الفني ؟**

● « اللغة هي الأساس ، ومن غيرها لا وجود لفن الأدب والكتابة ، فإنسان الغابة أو الهمجي المتأخر في اللغة لا نجد لديه أدباً لا شعراً ولا نثراً ، وإنما نجد فن الأدب والكتابة حيث تكون لغة ، ثم نجد أدب اللغة المحدودة أدباً محدوداً ، وأدب اللغة الحية العظيمة مثلها عظماً وحيوية .

ومن مهام اللغة أن تربي في صاحبها الذوق وتحيي الملكة ، وتأثير الكلمات أمر مقرر لا اختلاف فيه ، فكلمة « **الثأر** » وكلمة « **الدم** » تؤثران في البيئة التي تعيشان هي ومثيلاتها فيها ، فنجد أصحابها يألفون منظر الدم المراق والقتل والاعتداء ، ويهون لديهم ازهاق الأرواح .

وفي البادية والأرياف حيث تقل الأشواق العليا والثقافة الدينية ، وتمرح فيها كلمات الثأر والدم والقتل ، وتقل مفردات اللغة التي يستعملونها يألفون القتل ، وترخص عندهم الأرواح .

فإذا كثر محصول بيئة من البيئات في مفردات اللغة اقترن بهذه الكثرة تمدن هذه البيئة وشيوع مكارم الأخلاق فيها .

فاللغة تتحكم في أصحابها ، فإذا كان لكلمات الثأر والدم في البادية أثر سيئ فإن لكلمات السلام والخير والجمال أثر حسن في البيئات المتحضرة .

فاللغة تربي الذوق وتحيي الملكة ، وكلما كثر غنى الإنسان في اللغة كثرت مزاياه .

والأديب أو الكاتب الغني بمفردات لغته ، والمتمكن فيها نجد عنده هندسة بناء الجملة والتراكيب هندسة رائعة ، والشواهد على ذلك من ذكرناهم مثل الحكيم وتيمور وشوقي وعلي محمود طه ومحمد إقبال وطاغور وغيرهم .

فهؤلاء لما كانوا أثرياء في اللغة كانوا أثرياء في الإحساس وبلغوا في هندسة بناء الجملة الذروة العليا .

والفوارق كثيرة بين الأغنياء الأقوياء في اللغة والفقراء الضعفاء فيها تبدأ من الاسم ، فالغني أعظم من الفقير والقوي أكبر من الضعيف ، وتدين المجتمعات وتتطور بالقوة والغنى لا الضعف والفقر .

فالغني في لغته يكون أقدر على استعمال المفردات وعلى التصرف فيها ، ويكون أكثر إبداعاً في هندسة بنائه ، وطبيعي أن يكون الإبداع من نصيب الغني القادر ، وعندما يجتمع للإنسان الغنى والقدرة يكون نصيبه من الإبداع أكبر ، ويكون أسلوبه رائعاً وجميلاً وقوياً .

وتكافؤ المواهب طبيعي ، فالأديب الثري في لغته أقوى من الفقير الضعيف ، وكل المبدعين في الأدب في جميع اللغات هم أثرياء أقوياء فيها ، والفقراء الضعفاء فيها هم غير المبدعين ، لأن **الإبداع نتاج الملكة الفنية القوية .**

ومن كان فقيراً ضعيفاً في لغته لا يمكن أن يسلس له الإبداع قياده ، لأن الإبداع نفسه قوة وثراء ، ولا يمكن أن يكون نتاج الضعف والفقر .

إن الضعيف الفقير في لغته ضعيف في ملكاته ، فقير في قدراته ، ضعيف في أسلوبه وفقير في معانيه وصوره البيانية .



ضعيف في ثقافته ومحصوله العلمي والأدبي والفني .

ومما لا شك فيه أن الضعيف في لغته ضعيف في ثقافته وفي تعبيره ، وضعيف الارتباط بتراثه كله .

والقوي الثري في اللغة أصح فكراً من الضعيف الفقير فيها ، وأكثر فهماً لما يقرأ وأسهل هضماً ، وأعظم استيعاباً ، وأشد تمثيلاً للغذاء ، وأقدر على الاستثمار والابتكار والعطاء .

واللغة قد حددت المعاني ، ومن الألفاظ ما يتفق القوي والضعيف في فهم معانيها في حدود الظاهر فهما لا يختلفان في أن الضعف مرض والفقر هبوط» .

القوة ... والضعف

●● هل هناك تلازم وارتباط بين اللغة .. والإنسان قوة وضعفاً ؟

● «نعم ، ترتبط اللغة بصاحبها قوة وضعفاً ، **فعندما كان العرب أقوياء كانت لغتهم قوية ، فابتكروا آلاف الكلمات والمصطلحات ، ومئات العلوم ، واتسعت لغتهم لكل جديد مهما كان مصدره ولم تضق قط بحديث .**

ابتكروا في الدين علوماً كثيرة ، مثل **أصول الفقه والحديث** ، وفي اللغة **النحو والصرف والبلاغة والعروض والمعاجم** ، وفي ميدان العلوم أوجدوا علوماً كان العالم كله عالة على العرب الأقوياء في لغتهم .

ولما ضعف العرب أصاب لغتهم عدوى ضعفهم ، وفقدت شيئاً كثيراً من قوتها وحيويتها وزاد من ضعفها محاربة أعدائها إياها .

ولكن الله الذي تكفل بحفظ كتابه حفظ لغتها فلم يستطع الأعداء من النيل منها بل انهزموا في كل الميادين التي أوجدوها ، انهزموا في ميدان الدعوة إلى اتخاذ **العامية** بدلا من **الفصحى** ، وفي ميدان الدعوة إلى **إلغاء الإعراب** ، وفي **استبدال الحرف اللاتيني بالحرف العربي** ، إلى غير ذلك من دعوات هدم الفصحى» .

العربية .. بين البداوة والعصر

●● ما دمتم ذكرتم العامية ومحاربة الفصحى ، فما رأيكم فيمن يزعمون أن اللغة العربية لغة بداوة وقد انتهى عصرها ودورها ؟

● «هذه دعوى أعداء لغة القرآن ، ومن أشدهم حقداً **سلامة موسى** الذي أطلق القذائف على القرآن والإسلام ولغتها ، وزعم أن الفصحى لغة ميتة ويجب أن تستبدل بها العامية .

وليس بغريب على سلامة موسى صدور هذه الدعاوى ، فهو حاقد متطرف وما قدم داعيه دليلاً على فساد دعوته مثلما قدم سلامة موسى ، فهو الذي أفنى حياته في الدعوة إلى العامية لم يكتب قط بالعامية ، فهو واثق أن العامية لا تصلح لأن تكون لغة الكتابة والعلم ، ولكنه يدعو إليها ليباعد بين الإسلام وأهله والعرب ولغتهم .

وإذا كنا لا نستغرب صدور الدعوة إلى العامية من سلامة موسى ودعواه موت العربية وفقدانها الصلاح لهذا العصر ، فإن مما يستغرب له تأييد بعض العرب المسلمين تلك الدعوى الهدامة» .

المجامع العربية .. والسلطة

●● هل أدت المجامع اللغوية دورها ؟

● «المجامع اللغوية تضطلع بمهام ضخمة ، وهي تؤدي واجبها بالقدر الذي تتسع له قدرتها . أما الانتفاع بجهودها كما تتوخى المجامع فليست التبعة عليها .

إنها تعطيهم على الدوام ، ولكن الناس لا ينتفعون بهذا العطاء ، فلا تبعة على المجامع ، وإنما التبعة على الناس .

وبعض الصحف العربية الهدامة تسخر من المجامع اللغوية وتختلق عليها الأكاذيب لتنفر الناس منها ، ومن ذلك زعمها أن المجمع وضع **للساندوتش** هذه الجملة «**الشاطر والمشطور بينهما الكامخ**» وتناقلتها الصحف في العالم العربي كله ، وأخذت تسخر من مجمع مصر اللغوي الذي نسبوا إليه تلك الجملة .

وهذه الفرية وغيرها مما أطلقته الصحف وليد أعداء الفصحى ، أرادوا من بهتانهم تشويه سمعة المجامع اللغوية التي لا تملك ما يساعدها على نشر نشاطها على نطاق الجماهير .

وأعتقد أن المجامع اللغوية قد نجحت في مهامها ، فقد

أوجدت آلاف المصطلحات في الآداب والعلوم والفنون والفلسفة ، ولكن الانتفاع بها ضئيل كل الضآلة ولم يكن الانتفاع بها بالقدر الذي أرادته المجامع ، فهي لم تعرف بين الجماهير لأن من وضعت لهم تلك المصطلحات لم يهتموا بها ولم يقبلوا عليها فبقيت محصورة في رسائل المجامع ومجلاته التي لا نجدها في السوق مع المجلات الأخرى .

أنا نفسي أحد حماة الفصحى المشتغلين بالعربية ، وأود الحصول على صحف المجامع ، ولكني لا أجدها في أسواق بلدي ، بل لا أجد في أسواق القاهرة **مجلة المجمع اللغوي المصري** ، وكذلك الأمر في **مجلة مجمع دمشق ومجمع بغداد اللغوي** .

فإذا كنت أنا المشتغل بالعربية لا أستطيع أن أجد مجلات المجامع وأنا الحريص عليها فغيري لا يجدها ، والمجامع مسؤولة في هذا ، لأنها لا تهبط إلى السوق والناس .

والمصطلحات تخص العلماء والأدباء ومعاهد العلم والكليات والجامعات ومع هذا لا تجد الاهتمام ، فهذه المعاهد العلمية والكليات والجامعات لا تنتفع بالمصطلحات ، ولا تجد لها أثراً في الكتب والرسائل التي تؤلف من قبل أساتذ المعاهد والكليات والجامعات . . فإذا كان هؤلاء لا يهتمون ولا يعممون تلك المصطلحات فمن يهتم ؟

وبهذه المناسبة أذكر أن ما خصص لمجامع اللغة لا يذكر لضآلته فالمجمع اللغوي المصري ــ وهو أقدم مجامع اللغة العربية ــ على سبيل المثال لا يملك من المال ما يتيح له نشر نشاطه على نطاق العلماء بله والجماهير ، ولو كان يملك المال لكان الانتفاع بجهود المجامع محققاً وعلى نطاق واسع » .

●● هل اللغة العربية في حاجة إلى السلطة لكي تنتشر وتقوى ؟

● « نعم ، فعندنا ونحن بلاد العربية الأصيلة تنتشر العامية ، ونجد اللافتات مكتوبة بلغة غاية في الركاكة ، ونجد الكليات الأجنبية منتشرة انتشاراً واسعاً ، ولو اهتمت السلطة باللغة العربية لاستطاعت أن تحد من طغيان هذا الزحف على لغة القرآن والإسلام ، ولاستطاعت أن تعمل على انتشارها وعلى سيادتها .

جوازات سفرنا مكتوبة بالعربية لغتنا ولغة بلادنا وبالإنجليزية وكل الجوازات في العالم العربي مثلنا ، ولو خلت جوازاتنا من اللغة الأجنبية لما قبلتها منا الدول الأجنبية ولما سمحت لنا بدخول أقطارها .

أما الأجانب ، الذين يدخلون بجوازاتهم المكتوبة بلغاتهم بلادنا العربية فلا إثم عليهم ولا حجر ولا ملامة ، بل ترحب بهم السلطة .

والمعاملة بالمثل شريعة متبعة تعترف كل الدول بها إلا في اللغة العربية ، فهم لا يعترفون بها ، ولهذا اضطرت الدول العربية أن تكتب الجوازات بالعربية وباللغة الأجنبية .

ولما كانت المعاملة بالمثل شريعة متبعة فإن على الدول العربية أن تشترط على الدول الأجنبية أن تكتب جوازات سفرها بالعربية أيضاً إذا كان حاملوها يريدون دخول بلدان العربية ، والا أن تخلو جوازات سفرنا من غير العربية .

وهذا مما يجعل لغتنا العربية مهينة ، ورضينا نحن بهوانها ، لأننا لم نطالب بحقها وحقنا ، ولم نفرض على غيرنا احترامها أو الاعتراف بها ، كما فرضوا علينا احترام لغتهم والاعتراف بها » .

مجمع سعودي

●● أأنت ممن يدعو إلى إنشاء مجمع سعودي ؟

● « نعم ، ولعلي أسبق من دعا إلى إنشاء مجمع لغوي سعودي ، ومن هذا السبق إنني عندما كتبت مقدمة « **تهذيب الصحاح** » للزنجاني المطبوع سنة ١٣٧٢ هـ ، طلبت ودعوت إلى إنشاء **مجمع لغوي سعودي** ، فأصحاب اللغة الأصلاء الألى أخذت منهم الفصحى هم من **قبائل الحجاز ونجد كقريش وتميم** ، وعرب المملكة السعودية اليوم هم أبناء أولئك العرب ، فنحن أجدر أقطار العربية بوجود مجمع لغوي فيها .

وإذا كانت مصر ثم الشام والعراق أسبق منا في هذا السبيل ، فإن من الفرض أن يقوم في بلادنا مجمع لغوي سعودي ، يشارك المجامع الأخرى جهودها المثمرة .

وإذا كان **الأردن** البلد الصغير بسكانه وموارده الكبير بفتوحاته العلمية والأدبية واللغوية قد أنشأ مجمعاً لغوياً ، فقد وجب وجوباً ألا نتخلف عنه ، وصدق الشاعر العربي المتنبي إذ يقول :

ولم أر في عيوب الناس عيباً
كنقص القادرين على التمام



ولا عذر لنا في هذا التخلف ، فالمال كثير ، ولدينا جامعات كبيرة استطاعت خلال عقد من السنين أن تسبق جامعات سبقتنا في الوجود .

وحكومتنا ستستجيب إذا تقدم المشتغلون بالعربية في بلادنا بطلب إليها ، ولتكن من « فتوحات » **مجلة « الفيصل »** أن تقوم بدعوة اللغويين والأدباء الكبار والعلماء إلى اجتماع يقررون فيه إنشاء مجمع لغوي سعودي ويقدمون طلباً إلى الحكومة .

فهل تنهض « **الفيصل** » بالدعوة إلى هذا العمل العظيم ؟ أرجو أن تنهض وهي بإذن الله قادرة وموفقة » .

الشعر غير الفصيح

●● هل أنت من المؤيدين لإحياء أي نوع من أنواع الشعر غير الفصيح كالنبطي ، والزجل وغيرهما ؟

● « لا ، لست من المؤيدين ، فأنا **لا أجيز غير الشعر الفصيح** ، وليس ما يسمى الشعر النبطي إلا شعر باللغة العامية وأنا خصم العامية ، فالشعر المسمى عندنا « **الشعر النبطي** » هو نفسه المسمى في مصر « **الزجل** » وكلاهما باللغة العامية ، وما دام العامة موجودين فلا حجر أن ينظموا بها أشعارهم ، وفي بعض الشعر العامي في مصر ولبنان والحجاز ونجد والشام والأردن وغيرها صور تعبيرية رائعة .

ولكن لا يحملني وجود هذه الروعة في الشعر العامي أن أدعو إلى تدوينه والترويج له ، لأنني لا أوافق على إيجاد ما يزاحم لغة القرآن » .

●● إذن ، ما رأيك فيمن يحاولون إحياء أي ضرب من ضروب العامية عندنا أو عند غيرنا في أقطار العروبة ، ويقدمون الحجج في تأييد محاولة الإحياء ؟

● « ليس ما يقدمون حججاً ، وإنما هي أعذار يسوغون بها الخطأ ، فدعاة إحياء الشعر العامي أو الاهتمام به مدركون أن في ذلك خطأ فهم يقدمون الأعذار في ثوب الحجج .

ومعروف موقفي من العامية ، فأنا لا أجيزها ولا أوافق عليها ولا أرضى أن يكون بجانب الفصحى ما يزاحمها ويعارضها .

وخصوم الفصحى عندما دعوا إلى اتخاذ العامية بدلا عنها قدموا بين يدي دعوتهم حججاً تبدو لأول وهلة حججاً قوية حتى ليظن كثير من الناس أن مقصد الدعاة حسن ، فماذا يريدون من دعوتهم الشعب ، فهم يريدون اتخاذ العامية لغة الشعب حتى يفهم الآداب والعلوم والفنون ، لأن الأكثر الشعب ، أما متخذو الفصحى فشواذ ، والشاذ لا يذهب بالحق كله بل لا حق له بجانب حق الشعب .

وهذه حجة مبنية على المغالطة ، فالحضارة لا يبنيها العامة بل الخاصة ، وإليهم المرجع في الحكم ولا أقصد بالحكم ما يعرف عن الحكومة ، بل الحكومة يتولاها الخاصة لا العامة .

وهبوط الأعلياء في الأدب واللغة والكتابة سُبَّة للشعب الذي هم منه وتزداد السبة شناعة إذا خلا منهم .

وهؤلاء الدعاة يعرفون أن كل شعوب العالم ليسوا أعلياء في الفكر والكتابة وإنما الأعلياء ندوة فيهم ، ولم يخرج من الشعب دعاة إلى العامية وأدبها إلا في العالم العربي ، ولم تصدر الدعوة من أساسها من عرب مسلمين بل صدرت من بعض الألمان والإنجليز» .

لغة الإعلام .. ولغة الأدب

●● هناك من يقول بأن للإعلام لغته أو أسلوبه الذي يختلف عن لغة وأسلوب الأدب .. ما رأيكم ؟

● « لغتنا العربية تتسع للصحافة والإعلام والأدب والعلم والفن ، ولغة كل ذلك العربية ، أما هذه اللغة المستعملة في صحافتنا فهي عربية إلا أنها ليست اللغة العربية الصحيحة السليمة بل هي اللغة المريضة ، فأكثر كتاب الصحافة في بلادنا وفي العالم العربي لا يحسنون قواعد العربية والكتابة ، ولهذا كانت الكتابة الصحفية ركيكة ومزدحمة بالخطأ النحوي والصرفي واللغوي والإملائي .. فما ينشر في الصحف أقرب إلى العامية .

وأنا لا أكلف كتاب الصحف أن تكون لغة ما يكتبونه عالية كلغة **الجاحظ** أو **طه حسين** أو **عبد القدوس الأنصاري** ، أو في أساليبهم القوية المشرقة ، بل أطلب إليهم أن يلتزموا بقانون العربية عندما يكتبون بها ، ويجب أن يعرفوا هذا القانون فلا يرفعون التمييز والحال ، ولا ينصبون الفاعل أو المجرور ، ولا يجمعون المفرد جمعاً غالطاً .

فإذا جهلوا قواعد العربية والإملاء ، فإن كتابتهم تكون غالطة وحينئذ لا تكون سليمة صحيحة ، وعندئذ تكون كتابتهم عامية ، لأن العامة هم الذين لا يتقيدون بقانون الفصحى ، ولهذا كانت كتابتهم عامية غير فصيحة » .

لقاء مع:

القواميس .. والمعجمات

●● بالنسبة للقواميس هل هناك فرق بين القواميس الموضوعة قديماً والموضوعة حديثاً ؟ وأي القواميس أسهل للباحث عندما يريد معنى كلمة ، القديمة أم الحديثة ؟

● « أولا ، أحب أن أذكر لك أن القاموس ليس مرادفاً للمعجم فالقاموس اسم معجم لغوي عظيم ألفه **الفيروزأبادي** المتوفي سنة ٨١٦ هـ ، ولشهرته جعله كثير من الناس وبينهم علماء مرادفاً للمعجم **وليس القاموس بمرادف للمعجم .**

ومناهج تأسيس المعجمات قديمة ، ومؤلفو المعجمات الحديثة لم يبتكروا منهجاً جديداً بل هم ساروا على منهج عرف منذ ألف سنة ومدارس المعجمات العربية أربع :

● **المدرسة الأولى : مدرسة الخليل بن أحمد الفراهيدي** المتوفي سنة ١٧٥ هـ ، مبتكر علم العروض ، معجم « **العين** » **أول معجم ألف في العربية** ، ومنهجه على الحروف حسب مخارجها ، مبتدئاً بحروف الحلق ، مفتتحاً بكتاب العين وأطلقه على معجمه ، وابتدأ بالعين لأنه أبعد الحروف مخرجاً .

وإذا ذكر الكلمة ذكر مقلوباتها مثل كلمة « بحر » يذكر معها برح ، رحب ، ربح ، حبر ، حرب .

● **المدرسة الثانية : مدرسة أبي عبيد القاسم بن سلام** ، وتوفي بمكة حرسها الله سنة ٢٢٣ هـ ، وبنى معجمه على المعاني والموضوعات ، فيذكر في السلاح أو العسل ، أو خلق الإنسان — مثلاً — ما وصل إلى علمه من الكلمات مع شرح معانيها .

● **المدرسة الثالثة : مدرسة أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري** المتوفي سنة ٣٩٣ هـ ، وقيل في حدود الأربعمئة .

وأساس هذه المدرسة ترتيب الكلمات باعتبار أواخرها ، ثم النظر إلى الترتيب الهجائي عند ترتيب الفصول ، وسمى الأول **باباً** والثاني **فصلاً** ، فكلمة « **فصل** » تجدها في باب السلام لأنها آخر حرف فيها ، وتقع في فصل الفاء لأنها مبدوءة بها .

والجوهري مبتكر منهج الصحاح دون منازع ، وقد خطا بالتأليف المعجمي أوسع خطوة عرفها تاريخ المعجمات العربية .

● **المدرسة الرابعة : مدرسة محمد بن تميم البرمكي** ، الذي كان حياً سنة ٣٩٧ هـ ، ولم يؤلف معجماً ، وإنما رتب صحاح الجوهري على ترتيب حروف الهجاء مبتدئاً بالهمزة ، منتهياً بالياء ، وهو الترتيب الذي اعتمده مؤلفو المعجمات العربية في العصر الحديث مثل ، **المنجد وأقرب الموارد ، والمحيط ، والبستان ، والمعجم الوسيط** الذي أصدره المجمع اللغوي المصري الحديث .

ولا شك أن من بركات « الصحاح » تأسيس **مدرسة البرمكي** ، التي اتبعها مؤلفو المعجمات التي مر ذكرها ، فليس للمحدثين منهج خاص ابتكروه وإنما وجدوا طريقاً معبداً فسلكوه .

وهناك منهج عظيم في تأليف المعجم العربي ابتكره إمام عظيم في اللغة وعلوم العربية والدين هو **نشوان بن سعيد الحميري** المتوفي سنة ٥٧٣ هـ ، في معجمه الفريد المسمى « **شمس العلوم ، ودواء كلام العرب من الكلوم ، وصحيح التأليف ، ومعجم التصنيف والأمان من التصحيف** » .

ونظامه — كما شرح نشوان في مقدمة معجمه — أنه جعل لكل حرف من حروف المعجم **كتاباً** ، ثم جعل لكل حرف معه من حروف المعجم **باباً** ، ثم جعل كل باب شطرين : أسماء وأفعالا ، ثم جعل لكل باب **وزناً ومثالا** .

واتخذ منهج الخليل في تقسيم الحروف إلى مجموعات ، فبدأ بحروف الحلق مبتدئاً بالهمزة فالهاء فالعين فالحاء فالغين فالخاء ، منتهياً بالواو فالياء فالألف وهي الأحرف الهوائية .

وافتتح نشوان معجمه بحرف الهمزة وما بعدها من الحروف في المضاعف ، وبدأ بقوله : « الأسماء : فعل ؛ بفتح الفاء وسكون العين وذكر أول كلمة الأب : المرعى ، ثم الأدّ : القوة ، ثم يذكر كل كلمة على هذا الوزن من الأسماء .

وقد اختصر معجم نشوان بعض العلماء ولم أعتدّ نظامه مدرسة لأن أحداً لم يتبع منهجه فبقي وقفاً عليه .

ولنا كتاب بعنوان « **الصحاح ومدارس المعجمات العربية** » طبع بالقاهرة سنة ١٣٧٥ هـ ، ذكرنا بالتفصيل سمات كل مدرسة ولم يرد فيه ذكر نشوان ، وإنما ورد ذكره وذكر معجمه في مقدمة « الصحاح » التي كتبناها لطبعته الثانية التي بدئ بها منذ شهرين ، وقد انتهى طبعه ، ويقع في سبعة مجلدات أحدهم المقدمة » .

●● لقد حققت بعض المعاجم كالصحاح للإمام الجوهري وبعض كتب اللغة مثل « ليس في كلام العرب » لابن خالويه ، فهل فكرت كلغوي تأليف معجم ؟



● « نعم ، لما كنت طالباً بالمعهد العلمي السعودي في أوائل الخمسينات ألفت معجم جيب صغير ، لم أطبعه ثم ضاع .

وعندما حققت بعض المعجمات ، واطلعت على كل المعجمات القديمة والحديثة المطبوعة وعشرات المعجمات المخطوطة ، رأيت في معجماتنا العربية ما هو جدير منا نحن المحدثين بالعناية ، ولا أسمي ما في تلك المعجمات غلطاً تأدباً مع أولئك الأئمة الأعلام ، فكثير من الكلمات تفسر بقولهم : معروف ، وهو غير معروف الآن .

وهذا الحديث لا يتسع للتفصيل فيما في المعاجم من نقص » .

مدرستا البصرة والكوفة

●● ما رأيكم في مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة ؟ وما أسباب الخلاف بينهما ، وأي المدرسة تؤيدون ؟ ولماذا لم تكن هذه الظاهرة في عصرنا الحاضر ؟

● « مدرسة البصرة هي السائدة ، **فالنحو** الذي يُدَرَّس في العالم اليوم وقبل اليوم على **مذهب البصريين** وحسب مذهبهم قوة وشيوعاً ورسوخاً أن يزوي منافسه في الكتب ، وأن يحل محله في موطنه الأصيل ، ثم إن **كل المصطلحات النحوية من ابتكار البصريين إلا النادر ، والقواعد والأصول ثمرة جهد مدرسة البصرة ، وما أحد يجادل في رجحان آراء البصريين وصحة قواعدهم ، ودقة نظامهم وتحريهم في الاستقصاء ، واعتماد الشواهد وبنائهم القاعدة على الأعم الأغلب والأفشى ، ونقدهم للأمثلة والشواهد وإبائهم اعتماد الشاذ والمثال غير المتكرر واتخاذ الشاذ والمنحول والضعيف في بناء القواعد .**

وتمتاز قواعد مدرسة البصرة على الإحكام فلا تضعف أمام الشاذ والمنحول والضعيف . وسمات مدرسة الكوفة ــ كما أذكر ــ **السماع والرواية والقياس** ، وتعتمد في بناء القواعد على الشاذ والضعيف والمنحول .

واعتماد العلماء في تدريس النحو على مدرسة البصرة دون مدرسة الكوفة شهادة على ضبط قواعد البصريين وصحتها .

وإذا كنت أوثر مدرسة البصرة مثل غيري فلا أنكر توفيق مدرسة الكوفة في بعض ما ذهبت إليه مثل إعراب المضارع وإعمال اسم المصدر مثل المصدر .

وأما عدم وجود مدرسة من ابتكار عصرنا الحاضر فسببه أنه لا حاجة إلى قواعد جديدة في النحو فمسألة القواعد مفروغ منها في عصرنا الحاضر .

لقد انتهى عصر تقعيد قواعد في العلوم المعروفة ، وما نقول في الفعل والاسم والحرف والفاعل والجار والمجرور غير ما سبقنا إليه .

لا يمكننا إضافة جديد إلى القواعد ، وإن كان في وسعنا أن نتخفف من بعض القيود » .

النوادي الأدبية في المملكة

●● ما رأيكم في النوادي الأدبية التي أنشئت في المملكة ، وما تقويمكم لنشاطاتها ؟

● « وجود الأندية ضرورة وبشرى خير ، وآية على الصحة ، ولكن ثمرات هذه الأندية ليست ــ حتى الآن ــ بالثمرات ذوات القيمة الغذائية والفكرية ، ولكنها بواكير ، وأكثر تلك الثمرات من غراس بعض رؤساء الأندية وأعضائها ، وكان عليهم أن يجعلوا لغيرهم نصيباً موفوراً ، **وأقرر أن في بعض ما نشرت الأندية روائع .**

ومخصصات الأندية ضئيلة ، ولهذا لم يقدم ناد على نشر كتاب ذي قيمة من كتب التراث فكتاب من كتب التراث مثل « ليس في كلام العرب » لابن خالويه ، أو « شرح مقصورة ابن دريد » لابن هشام اللخمي يكلف نصف مخصص النادي ، ولو أرادت رعاية الشباب أن تعمل في ميدان الثقافة والعلم والأدب أعمالا كبيرة فلتستعد للبذل السخي .

ومعجم « الصحاح » للإمام الجوهري يكلف طبع خمسة آلاف نسخة مع تجليدها أكثر من مليونين ونصف مليون ريال بالمملكة وفي بيروت يكلف ثلث ذلك المبلغ تقريباً .

وليس في قدرة ناد أو ناديين الانفاق على نشره .

فلو استعدت رعاية الشباب ووعدت الأندية بالانفاق على مثل هذه الأمهات لنشطت الأندية .

على أي حال نقرن الشكوى بشيء من الشكر ، والعتاب بالتحية ، ونرجو من الرعاية أن تسخو في البذل من أجل غذاء الفكر ورياضته ، وأن تبرهن الأندية على طموحها بما يحمل الرعاية على الإصغاء لمطالبها » .

شخصيات تونسية


أحمد فارس الشدياق ١٨٠١ ـ ١٨٨٧م

كان أحمد فارس الشدياق في **مالطة** يعلم **العربية** في مدرستها الحكومية ويشرف على مطبوعات **المبشرين البروتستانت عندما زار تونس** للمرة الأولى . وكان ذلك في عطلة الصيف ، فتعرف إلى أهل الفضل فيها . ولكن زيارته هذه لم تطل ، فعاد إلى الجزيرة وأرسل منها إلى **حاكم تونس الباي أحمد** قصيدة يمدحه فيها ، فأرسل إليه الباي **علبة نشوق** مرصعة بالألماس كبادرة رضى واستحسان ومع العلبة كتاب ثناء من **مصطفى باشا خازندار الدولة التونسية** .

هذه الزيارة كانت مجتزأة في مدتها وفي أخبارها بخلاف الزيارتين التاليتين .

سنة **١٨٤٦** م ، زار الباي فرنسا وتبرع لفقراء **باريس ومرسيليا** ، فتأثر الشدياق بهذه الأريحية ونظم قصيدة جديدة في مدحه ومطلعها :

زارت سعاد وثوب الليل مسدول
فما الرقيب بغير النشر مدلول

معارضاً بها قصيدة **كعب بن زهير** في مدح **الرسول صلى الله عليه وسلم** :

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول
متيم إثرها لم يفد مكبول

لم تكن أريحية **أحمد باشا** وحدها التي حركت قريحة الشدياق ، ولكنها سمعة امتاز بها هذا الحاكم وعهده في تطوير البلاد وإصلاح الدولة والاقتباس من النهضة الأوروبية الحديثة . وقد شبه بعض الكتاب التونسيين عهده بعهد **محمد علي الكبير في مصر** . ومن يدري لعل هذه القصيدة تفتح للشدياق باباً على تونس .

قال في القصيدة :

طال التشاكي بنا حتى كأن تبا
شير الصباح وقد لاحت تهاويل
لم أعرف الهم إلا مذ كلفت بها
وصار في وصلها للنفس تسويل
ما الحب إلا غذاء الصب مكتهلاً
وقبل ذلك نقل ثم تعليل

★ ★ ★

في حياة.. الشدياق

بقلم: د. عماد الصلح

ساس البلاد بعدل ليس يصرفه
هو المعيشة عنه والأباطيل
وقام بالدين والدنيا فما برحا
به سعيدين لا يعدوهما سول
غار الحيا منه حتى قال قائلهم
لنا سحابان مسؤول ومملول
لو كان أمسك إجلالا لراحته
لما عدا من نداها الأرض تجليل

كانت هذه القصيدة من أجود مدائح الشدياق. ولعل معارضتها بقصيدة كعب خلعت عليها طابعاً خاصاً.

أرسل الشدياق القصيدة إلى تونس، ويروي **ابن أبي الضياف** في كتابه «**اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان**» كيف تليت على الباي أحمد فقال: «كان للباي في تعظيم الجناب النبوي والأدب معه آثار مشهورة. مدحه شاعر، هو أحمد فارس صاحب الجوائب، بقصيدة عارض بها قصيدة كعب بن زهير في المصطفى صلى الله عليه وسلم، هي «**بانت سعاد**» المشهورة. فلما قرأت مطلعها بين يديه، اقشعر وقال لي: «هذه معارضة لبانت سعاد؟» فقلت له: «نعم» فقال لي: «مزقها الآن»، فقلت له: «بعد قراءتها نمزقها»، فحلف بالله: «لا نسمعها ولا يسمعها أحد من خاصتي». وبقي يستعيذ بالله أن يعارض مدح المصطفى بمدحه مع أنه لا محظور في ذلك لكن الأعمال بالنيات. ونية المؤمن خير من عمله».

ولكن موقف الباي من القصيدة لم يمنعه من إكرام الشاعر غاية الإكرام فاستقدمه في سفينة حربية هو وعائلته وعندما وصلوا إلى تونس العاصمة أنزلهم مضيفهم في دار **أمير البحر** وأجرى عليهم الهدايا، ولكنه أبلغ بكلام رقيق بوجوب طيّ القصيدة، وحظي من ثم بتقبيل يد الباي ونال منه الصلات الوافرة. ثم تعرف بجماعة من أهل الأدب فمنهم من أدبه ومنهم من أترفه وكان ممن قابلهم الوزير التونسي الأكبر مصطفى باشا الخازندار.

مصطفى الخازندار.. الوزير التونسي

كان هذا الوزير كما يصفونه نيّر الذهن واسع الأفق يجمع بين يديه مهمات الدولة ونفوذها ويستقطب إداراتها ويصرف أمورها، وعلى يديه تخرج الباي المصلح أحمد كما كان له الأثر الأول في تكوين شخصية **خير الدين التونسي الشهير**. وكان الخازنداو بحكم مسؤولياته بحاجة إلى الاطّلاع على السياسة الدولية باستمرار. ويبدو أنه كان من المتعذر عليه أن يقف على هذه الأمور بنفسه، إما لأن مشاغل الحكم كانت تمنعه من ذلك، وإما لأنه كان يجهل اللغات الأجنبية، فاتجه إلى من كان يتوسم فيهم الكفاءة فيختارهم ليقدموا له تقارير وملخصات مركزة وافية عما سمعوه في الأندية السياسية أو قرأوه في الصحافة الأوروبية. فما إن رأى الشدياق حتى كانت عينه النافذة قد قيّمته على حقيقته، وكانت فراسته في الرجال لا تخطئ كما يقول ابن أبي الضياف.

سأل الخازندار الشدياق: «هل تعرف الفرنسية»؟ فأجاب: «لا يا سيدي، وأردف بدعابة، ما كدت أتعلم لسان الإنكليز حتى نسيت من لغتي قدر ما تعلمته منه».

في محفوظات الدولة التونسية وثائق تكشف سر هذا السؤال وعما نشأ عنه . الوثائق بمعظمها رسائل من الشدياق إلى الخازندار يتضمن بعضها أخباراً عن الساسة الدولية مع شرحها وتفسير أسبابها ، وأسرارها وهي تشبه في أغراضها تقارير السفارات ، ويتضمن بعضها الآخر ملخصات منقولة عن الصحف الغربية مع التركيز على الهام منها وهي تشبه في تنوعها تسقط الأخبار في العمل الصحفي . ومن بين هذه الرسائل واحدة تقتصر على تقصي لأحوال شخص يبدو أنه كان ملاحقاً من الخازندار .

من هذه التقارير يمكن الاستنتاج أن الوزير التونسي عينه مخبراً سياسياً وعيناً له أينما حل . وقد أجرى عليه منحاً لا نعرف مقدارها .

ظل باب الخازندار مفتوحاً أمام الشدياق . ولما ترك مالطة نهائياً وانتقل إلى أوروبا اشتدت عليه الضائقة في باريس ، فأرسل إلى الوزير رسالة لا يمكن وصفها إلا أنها سبكت بلهجة الاستجداء ، ننقلها فيما يلي :

« سني الهمم كريم الشيم فخر الأمراء وقدوة الوزراء ، أدام الله تعالى إجلاله وخلد إقباله .

أقبل الأرض خاشعاً ، وأدعو للجناب الرفيع ضارعاً ، إني كنت قد وجهت للحضرة السنية منذ عام فأكثر ألوكة بينت فيها سبب استعفائي من الخدمة في مالطة ، وباعث قدومي إلى مدينة باريس ، وهو الرغبة في تعلم اللغة الفرنساوية ، رجاء أن أنال في باب سيدنا ولي النعم أدام الله عزه خدمة تكسبني رضاه وتحصيني في عداد القائلين في ظله . فإني من بعد أن تشرفت بلثم أعتابه ، لم تزل همتي كلها منصرفة إلى تحصيل هذه البغية ، إلا أن الله سبحانه وتعالى قدر علي بموانع كثيرة صرفت عزمي عما نويته ، منها ، وقوع زوجتي في داء عضال منذ قدومنا إلى هذه الديار ، حتى أني أنفقت عليها كل ما كنت ادخرته للعلم ، لأن بذل المال في حياة نفس أوجب منه في تحصيل علم ، ومع ذلك فلم يستفد أحدنا شيء ، فاضطرت هي أخيراً إلى السفر إلى **إسلامبول** بأحد ولدنا ، واحوجت أنا إلى الإقامة هنا مع مقاساة الوحشة والإيجاس وعدم الاستطاعة على اتخاذ معلم أقرأ عليه ما أريد من كتب الأدب وغيرها وعلى شراء شيء من الكتب في اللغة الفرنساوية ، إذ إن لا مصلحة لي هنا تمكنني من أحدهما ، مع أني بحمد الله أستطيع على الترجمة منها دون ارتكاب غلط فاضح ، بيد أني لا أكتفي بذلك ، إذ المقصود دائماً هو اتقان اللغة ، وذلك لا يتم لي ما دمت على هذه الحال ، ومن المحال أن يتمكن أحد من معرفتها من دون اتخاذ مدرس أو شراء كتب ، ثم توخيت الآن أن أعيد ذكر ذلك على مسامعكم معتمداً على كرم سيدنا المعظم وعلى محامدكم وراجياً من مراحمكم أن تنظروا في أمري ، فإني أصبحت ولا أمل لي في الدنيا إلا في فضل سيدنا وخيره ، وفي عواطفكم . فإن راق لخاطركم الشريف أن تشرفوني بخدمة نحو ترجمة جرنال أو غيره فإني أجعل مقامي في **مرسيليا** ليكون توجيهها من ثم أسهل وأخف ، ويكون من أوفر الحظ عندي أن أنال من لدنكم شيئاً زهيداً في مقابلة ذلك أصرفه في وجه العلم فقط . وأرجو ألا تتخذوا كلامي هذا احتقاراً لشأن سيدنا وتهاوناً بجوده معاذ الله من ذلك ، وإنما الغرض أن أبين لسيادتكم أني إذا كنت الآن غير أهل لترتيب جمكية معينة ، فإنما أنا أهل لنوال قطرة من بحر سخائه الخضم بحيث أقدر به على تحصيل ما يوصلني فيما بعد إلى خدمة في بابه تنعشني من هذه التعسة وترفعني من هذا الخمول الذي شملني ، فقد مضى عليَّ في **باريس** نحو عامين من غير فائدة حقيقية في علم أو مال ، وقد خسرت وظيفتي في مالطة وأصبحت غريباً محروماً وناهيك بالغربة لمثلي ضياعاً وما لي من أشكو إليه بعد الله سبحانه إلا كرمكم ، فكن يا سيدي لي كما جرت به عادتك الحميدة واسطة في إصلاح أمري ، ولم شعثي وجمع شملي ، فإني الآن ضائع المسعى مبلبل البال مشوش الخاطر ، كيف لا وقد فارقت أهلي وولدي ونفذ ما عندي ، فبحق من أنزلك هذه المنزلة السنية إلا ما تصفحت كتابي هذا بعين الشفقة ورحمت من به افتقار إلى التذرع بفضلك وكرمك .

ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد
أحد سواك إلى المكارم ينسب
فاصبر لعادتك التي عودتنا
أو لا فارشدنا إلى من نذهب

وقد كنت أروم إنهاء ذلك إلى مسامعكم الشريفة قبل الآن ولكنه بلغنا ما حصل لسيدنا المعظم حرسه الله ووقاه من انحراف المزاج مما لا يدع في هذه الديار قلباً خالياً من الهم فكيف بمن تطوق بأطواق مننه السابغة ، فأما الآن وقد من الله عليه بل على الناس كافة بالشفاء فإني اغتنمت هذه الفرصة ووجهت هذه الألوكة إلى ناديكم الرحيب على يد



جبران خير الدين التونسي ١٨١٠ ـ ١٨٧٩هـ

بعض أصحاب **الكونت ديكرانج** ترجمان الدولة هنا مستبشراً بمننه تعالى تلك التي تجل عن الشكر أن يوفق لبلوغ كلامي مسامعكم ساعة رضى واستجابة . ثم إني واجهت **مسيو الياس مصللي** منذ أيام ، وأخبرني بأنكم رسمتم له من مدة مديدة أن يكتب لي ويسألني هل وصل إلى من لدنكم حقة تكرم بها علي سيدنا المعظم نصره الله ، وأنه لجهله محل إقامتي بباريس لم يكتب لي ، فاقتضى الآن أن أعرض على مسامعكم أنه بعد سفري من تونس لم يصلني شيء من طرف جنابكم ، ولم أعرف كيف كان من أمر الحقة وأرجو يا سيدي من مكارمكم أن تنعموا عليَّ بجواب سواء كان إيجاباً أو سلباً لكي أفعل بموجبه ما ينتجه لي من السداد ، وإن رأيتم توجهه على يد الكونت المومأ إليه فإنه يوصله إلى حيث كنت . هذا وأسأل الله تعالى أن يكلأ سيدنا المعظم ويديم وجوده وأن يزيد الجناب العالي مجداً وسيادة ورفعة وسعادة آمين » .

من الخادم الداعي
فارس اشدياق
في باريس سادس ماي ١٨٥٣ م

ولا نرى الخازندار إلا وقد استجاب إلى نداء الشدياق وأرسل إليه ما يصلح به حاله ، ولكن إلى حين ، ولذلك **ترك باريس إلى لندن** بحثاً عن عمل يريحه من الاستجداء فعين كاتب حسابات في محلات حوا التجارية **في حي السيتي في لندن** ، وانتظم في سلك معاشر كتَّاب مال القبان والبضاعة . ولكن الضائقة المالية لم تفارقه بسبب مرض **ابنه فائز** وتشتت العائلة . وجاءته الكارثة بأن أبلغه مدير المحلات بالاستغناء عنه وكان ذلك في أواخر سنة ١٨٥٦ م . وفي خلال هذه الأزمة أطل على العاصمة البريطانية خير الدين باشا وزير البحرية التونسية وقتذاك .

كان خير الدين التونسي من رجالات الشرق الذين كتب لهم أن يقوموا بأدوار تاريخية وقد اضطلع بمهات كبيرة في تاريخ تونس في القرن التاسع عشر وكان أحد الأفراد القلائل الذين قامت على أكتافهم نهضتها . تولى رئاسة الوزراء أيام البايات أحمد ومحمد ومحمد الصادق وكذلك ولي الصدارة العظمى في اسطنبول سنة ١٨٧٨ م .

ومقدمة كتابه « أقوم المسالك » تعتبر من أنفس آثار القلم العربي في القرن الماضي في السياسة والاجتماع .

وبادر الشدياق خير الدين بقصيدة يمدحه فيها ويرحب به فوقعت لديه موقعاً حسناً « وتكرم عليه ، كما يقول في كراس ، بوظيفة حسنة عنده في تونس » والكراس هذا مطبوع في لندن في ٨ حزيران (يونيو) سنة ١٨٥٧ م ، بتوقيع **أنطونيوس الأميوني** ولكن أسلوبه ينمّ عن الشدياق . وجاء في الكراس أيضاً أن الوظيفة المذكورة هي « إنشاء مطبعة وإصدار جرنال عمومي يشتمل على أخبار داخلية وخارجية لأن الوزير عازم على إلحاق تلك المملكة بالممالك الإفرنجية في جميع ما يتهيأ من أسباب التمدن » .

في هذا الكلام الموجز نرى ولادة الرائد التونسي . وكذلك نرى أن صاحب الفكرة هو خير الدين وليس محمد الصادق كما كان يقال .

انتقل الشدياق إلى تونس وبدأ في مشروع المطبعة ، ولأمر ما ، لا مجال لشرحه الآن ، لم يتول إنشاء الجريدة فقد ذهب الامتياز إلى رجل إنكليزي اسمه هولط وصدر العدد الأول في ٢٢ حزيران (يونيو) ١٨٦٠ م ، وتولى تحرير الجريدة الشيخ محمود قبادو كما تولى الإشراف على سياستها حسين باشا رئيس بلدية العاصمة فأسقط في يد الشدياق بعد هذا التدبير فسافر إلى اسطنبول حيث أصدر جريدته « **الجوائب** » وصدر العدد الأول منها في ٣١ مايس (أيار) ١٨٦١ م ، ولكن صلته برجالات تونس ظلت قائمة إلى أواخر أيامه وكذلك ما يصلونه به ظل جارياً عليه .

ولعل أبرز واقعة في حياته في تونس **اعتناقه الإسلام** . ومن المتواتر عند أهل الأدب في تونس أن ذلك كان على يد **مفتي الحنفية محمد بيرم (الرابع)** . ولاعتناقه الإسلام قصة تستحق أن تروى وسنفرد لها مقالة مستقلة .





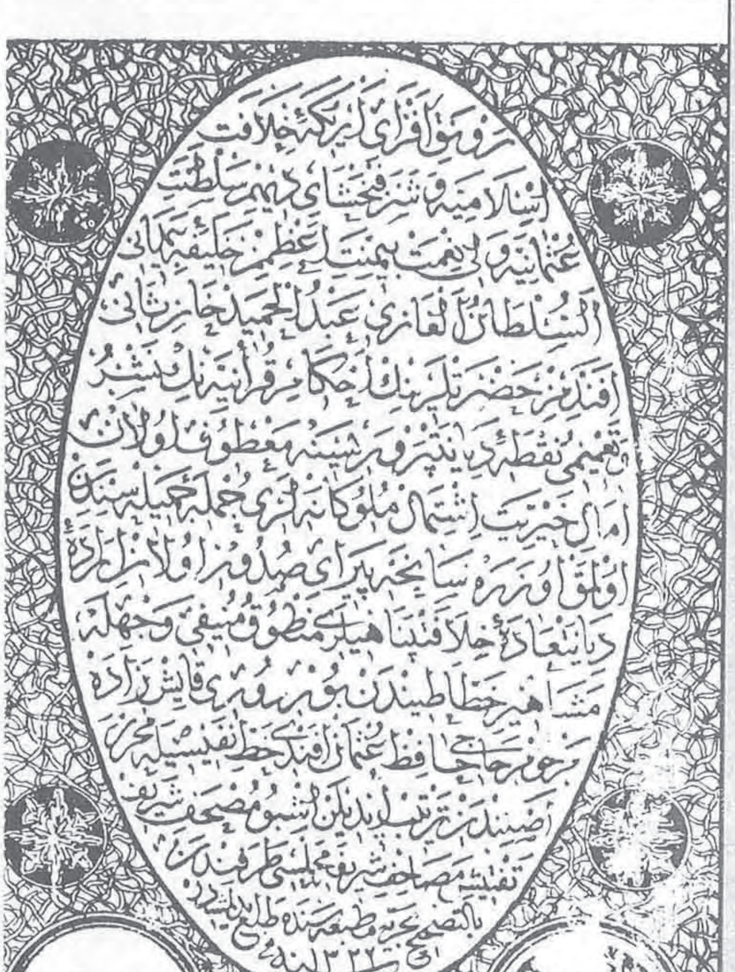
خط الإجازة

يعتبر واحداً من الأقلام القديمة التي اشتقت من الخط الثلثي والخط النسخي ، تتميز حروفه بالألفات المشعَّرة والتقويس فيها ، حيث تظهر وكأنها على هيئة السيف .

وهو قريب الشبه من خط « التوقيع » . . وضح التجويد فيه من خلال خواتيم المصاحف والإجازات التي نسبت إلى الخطاط عبد الرحمن ، المعروف ــ شهرة ــ بابن الصايغ (٧٦٩ ـ ٨٤٥ هـ) .

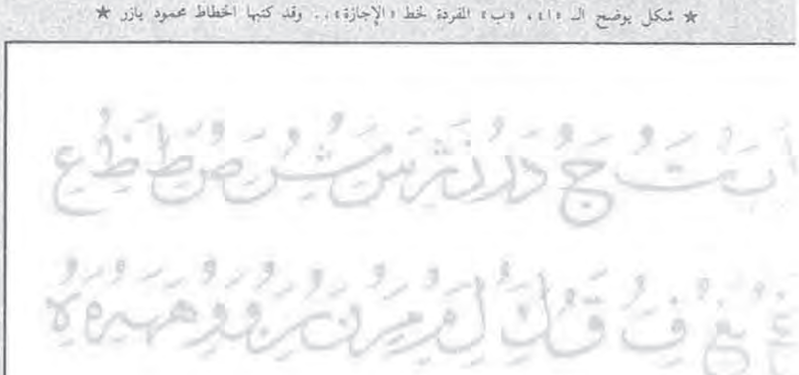
ومعنى « الإجازة » ، الشهادة التي تمنح للمتفوقين في فن كتابة الخط ، وذلك عندما يبلغون قمة التجويد .

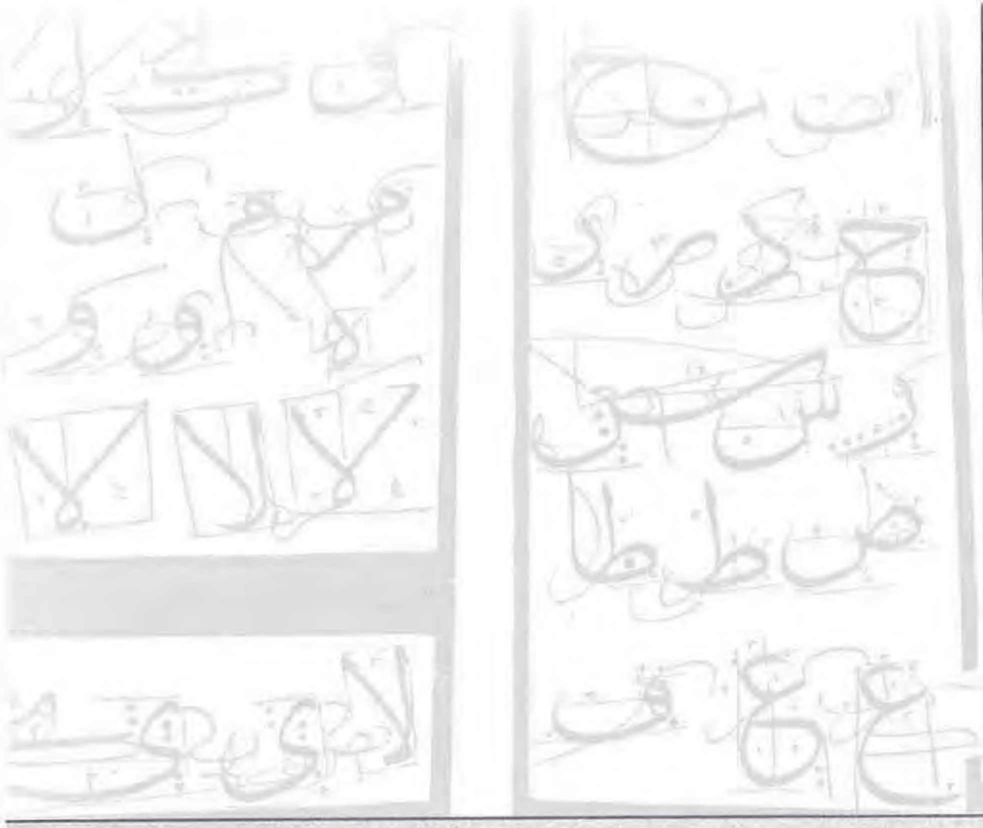
وهناك احتمال بأن خط الإجازة ، هو نفسه واحد من الخطوط العربية القديمة التي كانت تسمى بخط « التوقيع » .



★ شكل يوضح نموذج لخط « الإجازة » . . وهو من خاتمة مصحف شريف ، مكتوب باللغة التركية ، من وضع الخطاط بور دوري قايش زاده حافظ عثمان ، وذلك في عهد السلطان عبد الحميد خان الثاني (١٣٢٢ هـ) ★

★ شكل يوضح الـ « ا » ، « ب » المفردة لخط « الإجازة » . . وقد كتبها الخطاط محمود يازر ★



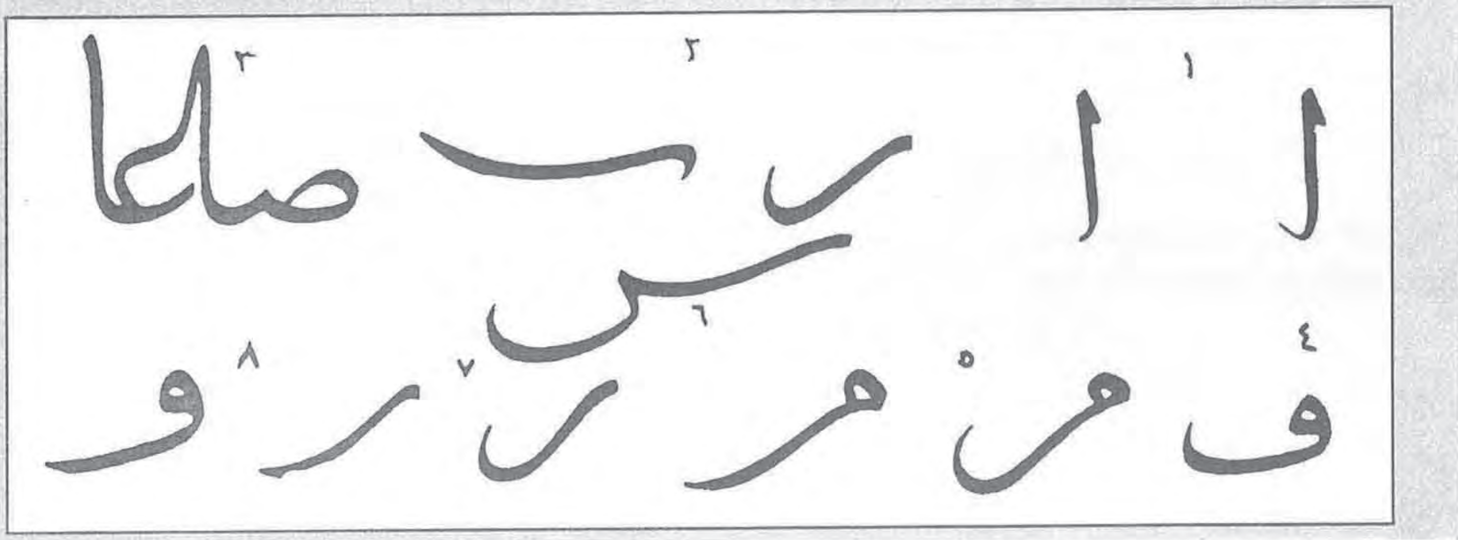


★ خط يوضح ميزان حروف خط الثلث، ذلك الخط الذي خرج منه خط «التوقيع»، وهو مكتوب على طريقة ابن الصايغ ★

★ شكل يوضح خط «الإجازة» ــ حالياً ــ وهو من خاتمة إحدى الكراسات (مجموعة الخطوط العثمانية)، التي كتبها الخطاط محمد عزت، الذي كان يعمل مدرساً للخط في المكتب السلطاني بإستنبول عام (١٣٠٦هـ) ★



★ شكل يوضح قلم «التوقيع»، الحروف المفردة.. وهو ذلك الخط الذي اخترعه «يوسف» أخو إبراهيم الشجري ★



بقلم : د . احمد عمر هاشم

لقد كان للعهد النبوي ، طابع متميز ، في تلقي العلم ، وتطبيقه بالعمل ، وكان المسلمون آنئذ لا يتعلمون شيئاً من الكتاب والسنَّة ، ولا يحفظون آية من كتاب الله تعالى ، إلا إذا فقهوا ما في الآية من العلم ، وطبقوا ما تدعو إليه من عمل .

ولهذا الطابع دلالات لها أهميتها البالغة ، ولها آثار بعيدة المدى في مسار **الدعوة الإسلامية** ، والحفاظ على أصولها ، والوقوف عند منابعها النقية الصافية التي لم تَشُبْها بعد شائبة ما من الشوائب . ومن أهم دلالات هذا الطابع الذي تميز به العهد النبوي في تلقي العلم ، ثم فهمه ، ثم تطبيقه عملياً ما يأتي :

●● : أولا **التمسك القوي بالدين** ، والاعتصام به ، والحرص الشديد على العقيدة ، واستيعاب ما تدعو إليه ، وتطبيقه .

●● ثانياً : **الرغبة القوية الجادة في العلم** والتفقه في الدين والدعوة إليه ونشره ، استجابة لقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : «**نضر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها ، فرب مبلغ هو أوعى من سامع**» .

●● ثالثاً : **الطاعة المطلقة لله ولرسوله** ، والخضوع الكامل ، والتسليم لحكم الرسول فيهم ، والانقياد له ، مصداقاً لقول الله تعالى : ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً** ﴾ (سورة النساء ، الآية ٦٥) .

قال **ابن القيم :** أقسم الله سبحانه وتعالى بنفسه على نفي الإيمان عن العباد حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم من الدقيق والجلي ، ولم يكتف في إيمانهم بهذا التحكيم بمجرده ، بل حتى ينتفي عن صدورهم الحرج والضيق من قضائه وحكمه ، ولم يكتف منهم أيضاً بذلك حتى يسلموا تسليماً وينقادوا انقياداً ، اهـ من أعلام الموقعين .

وهذا الطابع الذي تميز به العهد النبوي ، لدى المسلمين آنئذ ـ من العلم والفهم والعمل ـ كان يمثل **المنهج العلمي التطبيقي** ، الذي ساروا عليه منذ فجر الدعوة الإسلامية ، فقد جعلوا العلم للفهم والعمل ، يقول **أبو عبد الرحمن السلمي :**

حدثنا الذين يقرئوننا القرآن **كعثمان بن عفان ، وعبد الله بن مسعود** أنهم كانوا إذا تعلموا من **النبي** ﷺ عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً .

لقد حفظ أصحاب هذا العهد كتاب ربهم وسنَّة نبيهم صلى الله عليه وسلم ، وسار **الفهم والعمل** جنباً إلى جنب مع **العلم والنظر** . . ثم سارت الحياة كذلك ـ رُخاءً طيبة ـ في عهد الخليفتين ، **أبي بكر وعمر رضي الله عنهما** ، حتى كانت الخلافات ، التي بدأت تبرق شرارتها بعد ذلك ، حيث تسربت الفتنة بين الناس ، وتولى كبرها **عبد الله بن سبأ اليهودي .**

وفي العهد النبوي لم يكن هناك مجال للخلاف ، ولا خوف على السنَّة الشريفة ، لأن **الصحابة** كانوا إذا ظهر بينهم خلاف في مسألة من المسائل يرجعون إلى النبي ﷺ ، وإذا عَنَّ لهم أمر يسألونه فيه . . فلما انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى خيف العبث بالسنَّة ، خصوصاً والحديث لم يُدَوَّن بعد في كتاب ، والإسلام تتسع رقعته يوماً بعد يوم ، ويدخل فيه الكثير وفيهم من لا يُؤمن جانبهم على الدين من المنافقين ونحوهم .

لذا كان من الضروري أن يتثبت الصحابة في سنَّة نبيهم الذي وضع لهم الأساس الأول في قاعدة التثبت ، فبنوا عليها منهجهم **في الرواية** ، وذلك بما بَيَّنه لهم عليه الصلاة والسلام من خطر الكذب عليه حين قال :

«**من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار**» رواه البخاري ومسلم ، وسار على سنَّة التثبت التابعون ومن جاء بعدهم ، وعُنُوا **بالأسانيد** ، وبالنقد العلمي الدقيق .

وظل الحال كذلك حتى ظهرت **الفتن** ، وقام أعداء الإسلام يعملون في ظلام الفرقة التي دبت بين المسلمين ، كما وجدوا المناخ ملائماً لبث سمومهم ، ودس أكاذيبهم .

وكان ظهور الكذب والتلفيق ووضع الحديث ، من أهم الأسباب التي حفزت همم العلماء والأئمة لتدوينه ، وتصنيفه ، صيانة له من الأيدي العابثة .

يقول الإمام الزهري : «لولا أحاديث تأتينا من المشرق ننكرها لا نعرفها ما كتبت حديثاً ولا أذنت في كتابته» .

ولم يكن ذلك الوقت الذي ازداد فيه نشاط العلماء في **الجمع التدوين** هو مبدأ زمن التدوين ، وإنما **بدأت كتابة الحديث منذ عهد النبي ﷺ ، بصورة خاصة وغير رسمية .**

فالسنّة النبوية ، لم تبق مهملة طيلة القرن الأول إلى عهد **عمر بن عبد العزيز ..** وإنما كانت تكتب كتابة فردية في عهد الرسول ﷺ ، والصحابة والتابعين .

وحفظت في **الكراريس والصحف** بجانب حفظها في الصدور ، حيث كانت توجد بعض الصحائف التي شاركت الصدور في حفظ السنّة .

ومن هذه الصحائف : **صحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص** التي تسمى **بالصادقة** ، لأنه كتبها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مباشرة ، يقول عبد الله بن عمرو بن العاص لمجاهد : « هذه الصادقة فيها ما سمعته من رسول الله ﷺ وليس بيني وبينه أحد » ، **وهي تشتمل على ألف حديث .** وكان **لسعد بن عبادة الأنصاري** صحيفة ، **ولسمرة بن جندب** صحيفة ، والصحيفة التي دوّنت فيها حقوق المهاجرين والأنصار واليهود وعرب المدينة .. وكان **لجابر الأنصاري** صحيفة ، **ولأنس بن مالك** صحيفة ، كان يبرزها إذا اجتمع الناس ، **ولهمام بن منبه** صحيفة ، تسمى « **الصحيفة الصحيحة** » ، رواها عن **أبي هريرة** ، وكان **ابن عباس** معروفاً بطلب العلم ، وبعد وفاة النبي ﷺ .. كان يسأل الصحابة ويكتب عنهم ، وكانت تلك الصحف والجامع ، تحتوي على العدد الأكبر من الأحاديث التي دوّنت في القرن الثالث الهجري .

ويقول الأستاذ **أبو الحسن الندوي** في كتابه : « رجال الفكر والدعوة » : « وإذا اجتمعت هذه الصحف والمجاميع وما احتوت عليه من الأحاديث كوّنت العدد الأكبر من الأحاديث التي جمعت في **الجوامع والمساند والسنن** في القرن الثالث .. وهكذا يتحقق أن المجموع الكبير الأكبر من الأحاديث سبق تدوينه وتسجيله من غير نظام وترتيب في عهد الرسول ﷺ ، وفي عصر الصحابة رضي الله عنهم ، وقد شاع في الناس ، حتى المثقفين والمؤلفين أن الحديث لم يكتب ولم يسجل إلا في القرن الثالث الهجري ، وأحسنهم حالا من يرى أنه قد كتب ودُوّن في القرن الثاني ، وما نشأ هذا الغلط إلا عن طريقتين :

● **الأولى :** أن عامة المؤرخين يقتصرون على ذكر مدوني الحديث في القرن الثاني ، ولا يعنون بذكر هذه الصحف والمجاميع التي كتبت في القرن الأول ، لأن عامتها فقدت وضاعت مع أنها اندمجت وذابت في المؤلفات المتأخرة .

● **الثانية :** أن المحدثين يذكرون عدد الأحاديث الضخم الهائل الذي لا يتصور أن يكون قد جاء في هذه المجاميع الصغيرة التي كتبت من القرن الأول » اهـ .

ويقول العلامة مناظر أحسن الكيلاني متفقاً مع الندوي في كتابه « تدوين الحديث » : « وقد يعجب الإنسان من ضخامة عدد الأحاديث المروية ، فيقال إن **أحمد بن حنبل** كان يحفظ أكثر من سبعمئة ألف حديث ، وكذلك يقال عن **أبي زرعة** ، ويروى عن **الإمام البخاري** أنه كان يحفظ مئتي ألف من الأحاديث الضعيفة ومئة ألف من الأحاديث الصحيحة ، ويروى عن **مسلم** أنه قال : جمعت كتابي من ثلاثمئة ألف حديث ، ولا يعرف كثير من المتعلمين فضلاً عن العامة أن الذي يكون هذا العدد الضخم هو كثرة المتابعات والشواهد التي عني بها المحدثون ، فحديث « إنما الأعمال بالنيات » يروى من سبعمئة طريق ، فلو جردنا مجاميع الحديث من هذه المتابعات والشواهد لبقي عدد قليل[1] من الأحاديث ، وقد صرح **الحاكم أبو عبد الله** الذي يعتبر من المتسامحين المتوسعين أن الأحاديث التي في الدرجة الأولى لا تبلغ عشرة آلاف » اهـ .

وأنا أرجح هذا الرأي ، وهو كتابة الحديث في القرن الأول ، لأن أهل القرن الأول هم حلقة الاتصال بالنسبة لمن بعدهم من أصحاب القرون التالية الذين انتقلت على أيديهم السنّة وأهل العهد الأول وإن كانت الأحاديث المدوّنة عنهم يظن أنها قليلة إلا أنها صحيحة كلها لا يداخلها شك ، إذ لم يكن الكذب أو الوضع قد شاع فيهم كالذين جاءوا من بعدهم ، فهم عدول ، وهم خير القرون ، وما من شك فيما كانوا عليه في العهد الأول من المنزلة العالية في الحفظ والضبط ، وليس هذا غريباً على قوم انحدروا من أصلاب آباء كانوا قمماً عالية في الحفظ والاتقان ، ولكن مع هذا فقد كتب بعضهم الأحاديث فكان وصولها إلى القرون التالية شفاهة وتحريراً ، وهذا أدق وأوثق .

يقول **ابن الصلاح :** « ولولا تدوينه ـ أي الحديث ـ في الكتب لدرس في الأعصر الأخر » .

وقد وردت بعض أحاديث تنهى عن الكتابة منها : ما رواه **أبو سعيد الخدري** أن رسول الله ﷺ قال :

« لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه » رواه مسلم والدارمي .

وعن **أبي نضرة** قال : قيل لأبي سعيد : لو اكتتبنا الحديث ؟ فقال : « لا نكتبكم ، خذوا عنا ، كما أخذنا عن نبينا صلى الله عليه وسلم » ، جامع بيان العلم وفضله ج ١ ص ٧٦ .

وهذا النهي عن كتابة الحديث كان في بدء الدعوة خشية أن يختلط الحديث بالقرآن فيلتبس على بعض الناس ، أو أن

النبي كان في حق مـن يـوثق بحفـظه وخيف اتـكاله على الكتابة ، ولذا أذن بالكتابة لمن لا يوثق بحفظه كأبي شاه .

أو أن النهي كان عاماً وخص بالسماح لـه مـن كان كاتبـاً مجيـداً لا يلتبس عليه الحال بين السنّة والقرآن كعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما .

قال أبو هريرة رضي الله عنه : « مـا مـن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أحد أكثر حديثاً عنه مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب » رواه البخاري والدارمي وابن عبد البر .

كمـا كـان للنهي عن الكتابة ثمرة عظيمة : هي اتسـاع المجال أمـام القرآن الكريم حتى يأخذ مكانه في الكتابة ويثبت في صـدور الحفـاظ ، أو أن النهي كان خاصاً بكتابة الحديث مـع القـرآن في صـحيفة واحـدة ، والإذن في تفريقهما .

أو أن النهي كان متقدماً ، فالإذن بالكتابة ناسخ له عند الأمـين مـن الالتباس ، وهذا أقرب الآراء .

وقد ظل النهي عن الكتابة قائماً حتى كثرت السـنن وخيف عليهـا أن تضيع من البعض ، فكان الإذن بالكتابة ناسخاً لما تقدم مـن النهـي ، ولم يلحق رسول الله ﷺ ، بالرفيق الأعلى إلا وكان الإذن بالكتابة .

وقد هم **عمر بن الخطاب رضي الله عنه** بكتابة الحديث واستشار أصحاب الرسول ﷺ ، فأشاروا عليه ، فطفق يستخير الله في ذلك مدة ثم عدل عن ذلك .

ولما اتسعت الفتوحات ، وتفرق كثير مـن الصـحابة في الـكثير مـن الأقطار ، دعت الحال إلى تدوين الحديث ، وذلك حـين أفضـت الخـلافة إلى الإمام العادل عمر بـن عبـد العـزيز ، وكان ذلك على رأس المئـة الأولى ، فقد كتب إلى بعض علماء الأمصـار أن يجمعـوا الأحـاديث ، كما كتب إلى عماله في أمهات المدن الإسـلامية ، وأصـدر أمـره إلى الأقـطار الإسلامية : « انظروا حديث رسول الله ﷺ فاجمعوه » .

وكتب إلى **أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم :** « اكتـب إلي بما يثبت عندك من الحديث عن رسول الله ﷺ ، وبحـديث عمـرة ، فـإني خشيت دروس العلم وذهابه » . . كما أوصاه أن يكتب له بما عند **القاسم ابن محمد بن أبي بكر** كما أمر **ابن شـهاب الـزهري** وغيره بجمـع السنن فكتبوها مستجيبين لأمر الخليفة الذي أشعل هممهم ، وصادف أمره في نفوسهم الاستجابة والقبول ، وهكذا أتم الله على يـد عمـر بـن عبـد العزيز تنفيذ رغبة جده عمر بن الخطاب التي عـدل عنهـا خشـية التبـاس السنّة الشريفة بالقرآن الكريم .

وكان تدوين الإمام الزهري للسُّـنَّة ، عبارة عن جمع الأحـاديث الـتي تدور حول موضوع واحد في مؤلف خاص ، فكان لكل باب من الأبـواب مؤلف قائم به ، فكتاب **للصلاة** مثلاً وآخر **للصـوم** وهـكذا ، وكل مؤلف من هذه المؤلفات تدون فيه الأحاديث المتصلة بموضوعه ، ومختلـطة بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين .

وقد أخلص الإمام الزهري نيته وعمله لله وللرسول في تدوّين السنّة ، والتنبيه على العناية بأساليبها .

وقد قام الأئمة ـ بعد ذلك ـ بإتمام ما بـدأه الـزهري ، فـكان عمـل الزهري ، يعتبر ـ بحق ـ حجر الأساس لتدوين السنّة في كتـب خـاصة ، ولكي يوضح الإمام الزهري هذا العمل ويُسلم أساس البناء للجيـل الـذي سيأتي بعده ، كان يخرج لطلابه الأجزاء المكتوبة ليرووها عنه .

وبعد الإمام الزهري ، تعاون **الأئمة والعلماء** في المدن الإسـلامية في **مكة والمدينة والبصرة والكوفة والشام وخراسان واليمن ومصر وواسط والري . .** واضطلع الأئمة من أمثـال **الإمـام ابـن جـريـج** بمكة ، **والإمام مالك** بالمدينة ، **والإمـام سفيان الثـوري** بـالكوفة وغيرهم اضطلعوا بالمهمة الجليلة الملقاة على عاتقهم فـأكملـوا مـا بـدأه الزهري ، الذي قام بالتدوين فجمع كل باب في مؤلف خاص كما سبق ، فجاء هؤلاء من بعده ، فجمعوا أحاديث كل باب مـن أبـواب العـلم على حدة ، ثم ضموا الأبواب بعضـها إلى بعض فـكانت مصـنفاً واحـداً ، وخلطوا الأحاديث بأقوال الصحابة والتابعين .

وأما مَنْ جاء بعد هؤلاء الأئمة ـ من أهل عصرهم ـ فقـد سـار على دربهم ، ونسج على منـوالهم ، إلى أن رأى بعض الأئمـة إفـراد الحـديث خاصة على رأس المائتين في أوائل القـرن الثـالث الهجـري ، فـألفت المسانيد .

ثم جاءت طبقة أخرى دوّنت السنّة في كتب خاصة تحـرّوا في تـدوينها الصحيح على شروطهم ، وأفردت الحديث عن غـيره وجمعتـه على أبـواب الفقه ، واختارت الرواة المشهورين بالثقة .

وبهذا يتضح أن تدوين السنّة لم يأخذ وضـعه في الـظهور والتصنيف تماماً إلا في منتصف القـرن الثـاني في خـلافة بـني العباس وإن كان قد بدأ قبل ذلك .

ولقد كان لتدوّين السنّة على هذه المراحل أثره الجليل في حفظها مـن الدخيل ، ومن الكذب على الرسول ﷺ ، كما كان لتدوين السنّة على هذه المراحل أثره حيث سهل الطريق للاجتهاد والاستنباط .

وهكذا نقف على حقيقة علمية هامة ، وهي أنَّ السنّة قد حفـظت في الصحف بجانب حفظها في الصدور ، ولم تبق مهملـة طيلـة بقيـة القـرن الأول ، وإنما كتبت الأحاديث ، وحفظ الكثير منها في الصـدور مـن لـدن صدورها من الرسول ﷺ ، إلى أن تلقتهـا الصـدور الـواعية والصـحف الأمينة وتناقلتها جيلاً بعد جيل . . وفي هـذا مـا يـرد كل افـتراءات **المبشرين والمستشرقين ،** ويدفع كل ما يثيرونه من شُبه واهيـة حـول الأصل الثاني من أصول التشريع ، والمصدر الهام ـ بعد كتاب الله تعالى ـ وهو حديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

وفقنا الله تعالى إلى خدمة السنّة الشريفـة ، ورزقنـا حسـن القـول والعمل إنه سبحانه نعم المولى ونعم النصير .

التراث **لغة** هو ما ورث أو ما يخلفه الرجل لورثته .

والتراث **اصطلاحاً** هو ما خلفته لنا الأجيال السابقة من آثار فكرية مسجلة على الألواح أو أوراق البردى ، أو مدونة في بطون الكتب التي خطتها أيديهم قبل أن تعرف **الطباعة** .

والإنسان بطبعه يحرص على كل ما تركه له آباؤه وأجداده من آثار مادية ومعنوية ، بل إن هذه الآثار لتتزايد قيمتها وتتضاعف بمرور السنين والأيام ، لأنها تكتسب قيمة تاريخية تضاف إلى قيمتها المادية .

والأمم والشعوب كالأفراد سواء بسواء ، تحرص بفطرتها على ما تحدر إليها من آثار أسلافها عبر القرون ، وتحافظ عليه وتصونه وتعتبره وديعة غالية تؤديها لأجيالها اللاحقة جيلاً بعد جيل تأكيداً لشخصيتها ، وتدعيماً لمقومات بقائها واستمرارها . يستوي في ذلك الأفكار والآراء والمعتقدات والتقاليد والعادات وأنماط السلوك .



مسؤولية جامعاتنا تجاه تراثنا المخطوط

بقلم : د . عبد الستار الحلوجي

وحينما ظهرت **الجامعات الحديثة في أوروبا** منذ أواخر القرن الثالث عشر الميلادي ، احتضنت تراث أممها فأقامت مكتبات ضخمة ضمت في أحشائها كل ما خلفته الأجيال السابقة من آثار مخطوطة ، وظلت مكتبات الجامعات الأوروبية تؤدي هذه الرسالة حتى ظهرت المكتبات الوطنية ، فانتقلت مسؤولية الحفاظ على تراث الأمة من المكتبات الجامعية إلى مكتبة واحدة تعتبر أم المكتبات في أي دولة من الدول وهي **المكتبة الوطنية** .

إذن فالمكتبات الوطنية الآن هي المسؤولة عن تجميع تراث الأمم وحفظه وتيسيره للباحثين والدارسين ، بل إن بعضها لم يقنع بمجرد التجميع والحفظ والصيانة وإنما أضاف إلى ذلك مهمة نشر أمهات كتب هذا التراث نشراً علمياً دقيقاً . وذلك هو ما كان يقوم به القسم الأدبي بدار الكتب في **القاهرة** حتى أوائل الستينات ، ثم ناءت المكتبة بهذا العبء فتخلت عنه لهيئات أخرى مسؤولة عن النشر واكتفت بأن تقوم بدور الحارس الأمين على تراث الأمة ، وأن تضيف إلى هذا التراث أهم ما أنتجه الفكر الأجنبي في مختلف مجالات المعرفة ، وبمختلف لغات الأمم والشعوب ، خصوصاً باللغتين **الإنجليزية والفرنسية** باعتبارهما أكثر

اللغات الأوروبية انتشاراً في العالم وأعظمها تداولا بين المثقفين عندنا .

وإذا كانت المكتبات الوطنية هـي المنـوطة بـالتراث ، فـما أبعاد مسؤوليتها نحو هذا التراث ؟ وإلى أي حـد تـفي مـكتباتنا الوطنية بهذه المسؤولية ؟ وما دور الجامعات إذن ؟

وظيفة المكتبة الوطنية

إن الوظيفة الأولى للمكتبة الوطنية في أي دولة من الدول هي تجميع إنتاجها الفكري قديمه وحديثه ، ووضعه تحت تصرف الأجيال المتعاقبة من أبنائها ينتفعون به ويستفيدون منه ويستمدون منه مقوماتهم الثقافية .

فهل تقوم مكتباتنا الوطنية بهذا الدور ؟

إنه لمما يؤسف له أن بعض الـدول العـربيـة لم تعـرف المكتبات الوطنية حتى اليـوم . ووضـع كتـب الـتراث في تلك البلاد لا يحتاج إلى تعليق . وحتى البلاد التي وجد بها هذا النوع من المكتبات منذ سنين طويلة نبحث فيها عن كتب التراث فنجدها مبعثرة بين أنواع متباينة من المكتبات فلا هي جمعت في المكتبات الـوطنية ، ولا حتى في مكتبات الجامعات وإنما هي كلأ مستباح تتقاسمه المكتبـات الـوطنية والجامعية ومكتبات المساجد والأوقاف والمكتبات الخاصة .

نجد هذا في **مصر** ، ونجده في **سورية** ، وفي **المملكة العربية السعودية** ، وفي **اليمن** ، وفي **تونس** ، وفي غيرها من بلـدان الـوطن العربي مشرقه ومغربه .

والشيء الغريب حقاً أن أموالا طائلة أنفقت وما زالـت تنفـق بـاسم التراث ، وأن لجاناً كثيرة شكلت وتشكل وتنعقد وتنفض ولا عمل لها غير البحث في شؤون التراث ، وأن هيئات متعددة أنشئت لتصون هذا الكنز ، والكنز كل يوم ينقص ولا يزيد .

وتلك قضية كبرى ينبغي أن تثار على مستوى دول العالم العـربي كلـه وعلى مستوى **جامعة الدول العربية ومعهد مخطوطاتها** . وليس هنا مجال مناقشتها أو حتى عرض أبعادها لأن مـوضوع هـذا البحـث هـو مسؤولية الجامعات إزاء هذا التراث المفترى عليه .

دور الجامعات

وعندما نتحدث عن دور الجامعات في خـدمة تـراثنا لا بـد لنـا أن نتناول هذا الدور من ثلاثة أبعاد أو ثلاثة جوانب لا يمكن اغفال أي منها في التعامل مع التراث وهـي : **جـانب التجميع والحفـظ ، وجـانب التعريف والإعلام ، وجانب التحقيق والنشر .**

فبالنسبة للجانب الأول نلاحظ أن كل الجامعات العربية تقريباً تحـاول أن تنشئ لنفسها مكتبات للمخطوطات تجمع فيها الأصـول والمصـورات ، وتجمع فيها إلى جانب تلك الأصول والمصورات كل ما يخدمها من فهارس ومراجع . وتتسابق الجامعات في هذا السبيل ، تحـاول كل منهـا أن تـظفر بأوفى نصيب من ذلك التراث المبعثر .

ولقد سبق أن ذكرنا **أن تجميع التراث المخطوط والحفـاظ عليـه ليس مسؤولية الجامعات ومكتباتها أصلاً ، وإنما هـو مسـؤولية المكتبات الوطنية أو مكتبة الدولة .**

ولكن هذه الحقيقة تصطدم بحقيقة أخرى تفجـؤنا في وطننـا العـربي وهي أن بعض الدول لم تقم فيها مكتبات وطنيـة بعـد ، وبعضـهـا الآخـر أنشئت بها تلك المكتبات منذ عهد قريب وما زالت تحبو ، بينما استـطاعت المكتبات الجامعية في تلك البلاد أن تقف على قدميها . وذلك ما نشـاهده بوضوح في **المملكة العربية السعودية** ، وما تـؤكده أي مقـارنة بـين **مكتبة جامعة الرياض** ــ مثلاً ــ **ودار الكتب الوطنية** سواء من حيث ميزانيتها أو من حيث مجموعة كتبها ودورياتها أو مـن حيـث عـدد العاملين بها وخاصة من ذوي التخصص في علوم المكتبات .

وفي مثل تلك الحالات يصبح لزاماً على مكتبة الجامعة أن تنهض بما كان ينبغي على المكتبة الوطنية أن تقوم به إزاء تراث الأمة ، فتتـولى جمعـه والحفاظ عليه حتى تكتمل للمـكتبة الـوطنية أجهـزتها وإدارتها وإمـكاناتها المادية والبشرية فتتسلم الوديعة من مكتبة الجامعة وتتفـرغ هـذه المكتبـة لما أنشئت له أصلاً من خدمة برامج التعليم الجـامعي في مـرحلة الـدرجة الجامعية الأولى (**الليسـانس أو البـكالوريـوس أو الشـهادة العالمية**) وخدمة البحث العلمي الـذي يجـري على مستوى الـدراسات العليا (**الدبلومات والماجستير والدكتوراه**) .

ولا ينبغي أن يفهم من ذلك أن الجامعة لا شأن لها بـكتب التراث ، أو أنه ليس من حقها أن تقتني شيئاً منها في مـكتبتها إلا على سبيل الأمانة التي ترد لأصحابها حين يـطلبونها ، ذلك أن الدراسة الجامعية في بعض التخصصات كاللغـة العـربيـة والتاريـخ والجغرافيا والفلسفة وعلوم الدين لا تستغني عـن كتب التراث المخـطوطة والمطبـوعة يرجع إليهـا الأسـاتذة والطلاب في كثير من موضوعات تلك العلوم .

ولكي توفق بين رسالة مكتبة الجامعة ورسالة المكتبة الوطنية ، وحـتى لا يحدث أي نوع من التـداخل أو التضـارب في المسؤوليات ، يمـكن أن تتولى مكتبة الدولة تجميع الأصول وحفظها ويكون لمكتبـة الجـامعة اقتنـاء نسخ مصورة لما تشاء من كتب التراث المودعة في المكتبة الوطنية .

وعلى الجامعة في هذه الحال أن تبذل كل جهـدها في تـوعية الهيئـات والأفراد لكي يسلموا ما لديهم من كتب مخطوطة إلى المكتبة الوطنية بطريق الإهداء أو البيع ، على أسـاس أن ذلك واجبـاً وطنيـاً ، وأن المخـطوطات تراث أمة قبل أن تكون ميراثاً لفرد أو هيئـة ، وكونهـا في مـكتبة الـدولة أصون لها وأدعى لأن ينتفع بها أكبر عدد من الناس .

وعلى الجامعة بعد ذلك أن تقيم علاقات تبـادل مـع غـيرها مـن الجامعات في الشرق والغرب . ومن خـلال هـذه العـلاقات تسـتجلب مصورات لما هو موجود في مكتبات تلك الجـامعات مـن كنـوز تـراثنا المخطوط .

ولا يفوتنا أن نذكر هنا بضرورة أن يكون بـكل جـامعة قسـم كامـل للتصوير يخدم البحث في التراث وغيره . فكثير مـن جـامعاتنا ــ بـكل أسف ــ لا تملك من إمكانيات التصوير إلا بعض الأجهزة العتيقـة الـتي

لا تساير تطورات العصر ولا تقوى على الوفاء باحتياجات الطلاب والباحثين ، **ولقد آن الأوان لتدرك جامعاتنا أن التصوير العلمي ليس نوعاً من الترف أو الرفاهية وإنما هو ضرورة من ألزم الضرورات للجامعات ومراكز البحث .**

* * *

وإذا كان دور الجامعة بالنسبة لتجميع المخطوطات وحفظها محدوداً ، فإن دورها في التعريف بها وتحقيقها لا حد له .

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو : **كيف يتسنى للجامعة أن تعرف بتراث الأمة؟ ما سبيلها إلى ذلك ؟ وما الأدوات التي تستعين بها لتحقيق تلك الغاية ؟**

هنا تتعدد السبل والوسائل وفي مقدمتها اتاحة الفرصة للطلاب في كل كليات الجامعة ليتعرفوا على المصادر العربية الأصيلة في مجالات تخصصاتهم وذلك **بادخال مادة « المصادر العربية » ضمن برامج الدراسة الجامعية .** فمن خلال هذه المادة تقام الجسور بين الماضي والحاضر والمستقبل ، وتتكامل صورة المعرفة في أذهان الطلاب ولا يمزقهم الشعور بالانفصال بين ماضي أسلافهم وحاضر عصرهم .

على أنه ينبغي ألا تصب تلك المادة في قوالب جامدة ، وإنما لا بد أن تكون مادة خصبة نامية متطورة . ولن يتحقق ذلك إلا إذا قام على تدريسها أساتذة يجمعون بين التخصص الدقيق والإلمام بما خلفه لنا أسلافنا من تراث في مجال هذا التخصص ، والإيمان بقيمة هذا التراث ودوره الحضاري .

ويوم تتقرر دراسة المصادر الإسلامية التاريخية في أقسام التاريخ ، والجغرافية في أقسام الجغرافيا ، والرياضية والكيميائية والفيزيائية في أقسام الرياضيات والكيمياء والفيزياء ، ويوم يدرس تراث المسلمين الطبي في كليات الطب[1] ، يوم تدرس تلك المواد لمدة ساعتين أسبوعياً على مدى عام دراسي واحد فلن تكون نتيجتها مجرد إضافة إلى معارف الطلاب وإنما



الأهم من ذلك أنها ستعزز انتماءهم لأمتهم ولوطنهم .

وينبغي ألا تتداخل مادة « المصادر » هذه مع مادة « **المكتبة والبحث** » ، لأن لكل منها إطاراً متميزاً عن الأخرى وإن تماست الدائرتان . **وإذا كانت مادة « المكتبة والبحث » ضرورة لا غنى عنها بالنسبة لطلاب السنة الأولى من التعليم الجامعي ، فإن مادة « المصادر » يصح أن تأتي في السنة التالية من تلك المرحلة .**

وإلى جانب تبصرة الطلاب بكنوز تراثهم ، يجب على الجامعات ألا تغفل جانب التراث فيما تصدره من **مجلات** ، وخاصة تلك التي تصدر عن الكليات المعنية بالعلوم العربية والإسلامية ، كما يجب أن تتوثق الصلات بين الأساتذة الذين تتصل دراساتهم بالتراث وبين **مجلة معهد المخطوطات** التي تصدر عن جامعة الدول العربية ، حتى تكون تلك المجلة منارة حقيقية لتراثنا العربي والإسلامي ، وحتى لا تصاب بالعقم والجمود .

وليست مجلة معهد المخطوطات هي المجلة الوحيدة التي أطالب جامعاتنا بأن تتفتح عليها ، وإنما أطالبها بأن تتفتح أيضاً على **مجلات الاستشراق** المهتمة بتراثنا بحيث يتابع الأساتذة ما ينشر فيها ويسهمون في تصحيح ما قد تقع فيه من تجن مقصود أو غير مقصور على هذا التراث .

إن مشكلتنا الحقيقية أننا نغلق على أنفسنا أبواب المعرفة الوافدة من الخارج ، ونقنع بأن نقرأ لأنفسنا ولا نقرأ لغيرنا ، ونعرف العارفين ونهمل من هم أحوج إلى المعرفة الصحيحة ، **نتحدث عن الإسلام إلى المسلمين ، وغير المسلمين أولى بهذا الحديث ، ونكشف عن جوانب فكرنا الإسلامي للمسلمين من العرب ، وأهل الغرب أمس حاجة إلى من يكشف لهم عن هذه الجوانب ويصوغها في لغاتهم حتى يقربها إلى عقولهم وأفهامهم .** وهناك في أوروبا وأمريكا تصدر مجلات علمية كثيرة تعنى بنا وبتراثنا ، ولكن من منا يشارك بقلمه في تحريرها ؟ بل من منا يطلع عليها أو يتصل بها ؟

وإذا كان على الأساتذة أن يقرأوا ويبحثوا ، فإن على الجامعة أن توفر لهم أدوات البحث ووسائله . وليس خافياً أن الاشتراك في الدوريات الأكاديمية التي تصدر في الخارج تقع مسؤوليته على الجامعة ، وأن التقصير فيه يعتبر خطأ في حق البحث العلمي لا يغتفر .

وليست هذه هي كل صور التعريف بتراثنا والإعلام عنه . فثمة مظهر آخر من مظاهر هذا التعريف يمكن أن تنهض به الجامعة وهو **تشجيع الأعمال البيليوجرافية** التي تحصي كتب التراث في مختلف المجالات والأقاليم . فكثير من الباحثين في اللغة العربية تبدد جهودهم لأنهم لا يجدون تحت أيديهم الأدوات البيليوجرافية التي تدلهم على ما كتب في موضوعات بحوثهم ، وتكون النتيجة أن كل باحث يجتهد بنفسه في البحث عن تلك المصادر فتتكرر جهود الباحثين وتضيع أوقاتهم هباء منثوراً . وإنه لمما يدعو للأسف أن يكون **كارل بروكلمان وفؤاد سزگين** وهما أعظم البيليوجرافيين الذين خدموا تراثنا العربي والإسلامي في العصر الحديث

من أصول غير عربية ، وأحدهما لا يدين بالإسلام .

ولسنا نطالب الجامعة بأن تتبنى مشروعات ببليوجرافية ضخمة تتصل بالتراث كمشروع عمل فهرس موحد لمخطوطات تراثنا المبعثر في مكتبات العالم ، فذلك عبء فوق طاقة أي جامعة بمفردها وإنما نطالب الجامعات بأن تفرض على طلاب الدراسات العليا أن يرفقوا ببحوثهم قوائم حصر ببليوجرافية مستوفاة بكل ما خلفه لنا الأقدمون من كتابات في موضوعات تلك البحوث .

وهذه القوائم شيء ، ومراجع البحث شيء آخر ، لأن الباحث مضطر في قائمة المراجع ألا يذكر إلا ما اطلع عليه واستفاد منه ونقل عنه . أما تلك القوائم المقترحة فإنها تضم ما اطلع عليه الباحث وما لم يطلع عليه . وما رآه بنفسه وما قرأ عنه في فهارس المكتبات الأجنبية .

ويمكن أن تخطو جامعاتنا خطوة أخرى أكثر تقدماً فتجعل من تلك القوائم الببليوجرافية مؤهلاً للحصول على الدرجات الجامعية الأعلى (الماجستير والدكتوراه) ، وبذلك يقبل الكثيرون من خريجي الجامعات على تراثنا يفتشون فيه وينقبون ويقدمون لنا أدلة للبحث في هذا التراث لا تقل قيمة في ميزان العلم عن البحث المبتكر الأصيل .

التحقيق والنشر

ولعل المسؤولية الأساسية للجامعة بالنسبة للتراث لا تتمثل في جمعه والتعريف به بقدر ما تتمثل في **تحقيقه ونشره** . فعلى أكتاف الجامعة أساتذة وباحثين يقع العبء الأكبر في تحقيق كتب التراث ونشرها . ويوم تتخلى الجامعة عن مسؤوليتها هذه فإن عملية التحقيق والنشر تتحول إلى تجارة يحترفها من لا صلة لهم بالبحث العلمي فتشوه النصوص وتفسد وتضيع المعالم الأصيلة لتراثنا المجيد .

إن الجامعات هي مراكز العلم الحقيقية ، وخريجوها هم الذين يديرون عجلة الحياة الثقافية والفكرية في أممهم . وعلى الجامعة وحدها تقع مسؤولية إعداد من يخدمون تراث الأمة ويقدمونه لأجيالها اللاحقة في أنق صوره . **ولقد كان تقليداً طيباً ذلك الذي سارت عليه بعض أقسام كلية الآداب بجامعة القاهرة فترة من الزمن حين كان يطلب إلى كل صاحب رسالة أن يحقق نصاً قديماً يتصل بموضوع بحثه ، وكان هذا النص المحقق يعتبر جزء مكملاً لأي رسالة تقدم للدراسات العليا .**

ومع أن هذا التقليد قد عدل عنه الآن إلا أن تحقيق النصوص أصبح عملاً أكاديمياً يؤهل صاحبه لدرجتي الماجستير والدكتوراه . وهذا الاتجاه ينبغي أن يشجع بشرط أن يصحب تحقيق النص دراسة جادة عنه أو عن صاحبه .

ولكي يستطيع الباحثون في مرحلة الدراسات العليا أن ينهضوا بتحقيق كتب التراث على الوجه الأمثل ، ينبغي أن تعمل الجامعات على إدخال مادة « **توثيق النصوص ونشر الكتب** » ضمن المواد الدراسية في الأقسام التي تتصل الدراسة فيها بتراثنا المخطوط كأقسام اللغة العربية والتاريخ في كليات الآداب والتربية والبنات ، وذلك حتى يتاح للخريجين حد أدنى من المعرفة الضرورية التي يحتاجون إليها عندما يبدأون بحوثهم العالية ، بدلا من أن يتركوا للاجتهاد والمحاولة والخطأ ، فتتكرر جهود ، وتتبدد طاقات نحن أحوج ما نكون إلى الحرص عليها وانفاقها في وجهها السليم .

وتدريس مادة كهذه يعتبر عملاً أكاديمياً بحتاً من صميم أعمال الجامعة ، وهو في الوقت نفسه يؤدي للتراث خدمة جليلة لأنه سيفتح آفاقاً جديدة أمام الدارسين وسيضع المفاتيح في أيد أمينة وقادرة على البحث والتنقيب . وعندما يتاح للتراث عدد كاف من هذه الأيدي النظيفة فلن تجد الأيدي غير المؤهلة لنفسها مكاناً في ميدان تحقيق التراث .

ولا يكفي أن نقنع الجامعة بأن تسمح لطلاب الدراسات العليا بها أن يشتغلوا بتحقيق النصوص ليحصلوا على درجات علمية أعلى ، وإنما لا بد أن يتبع ذلك قيام الجامعة بنشر النصوص المحققة التي تجيزها . فلا قيمة لجهد علمي لا يراه إلا صاحبه ، وثلاثة آخرون هم أعضاء المناقشة . فما بالنا إذا كان هذا الجهد نشراً علمياً دقيقاً لنص من نصوص التراث ؟

إننا نسمع كثيراً عن توصيات بنشر رسائل جامعية . وليس هذا هو ما نطالب به الآن ، لأن تلك التوصيات كثيراً ما تظل حبراً على ورق . فالجامعة ـ من ناحية ـ لا تعتبر نفسها داراً للنشر ، وهي في أغلب الأحوال ليست معدة ولا مهيأة لعملية النشر ، ولهذا نطالب بأن ينشأ في كل جامعة دارة للنشر ، لا تقتصر وظيفتها على إصدار اللوائح والنشرات الإدارية ، وإنما تتعدى ذلك إلى إخراج كل ما يحقق داخل الجامعة من نصوص التراث ، بالإضافة إلى ما يستحق النشر من رسائل وبحوث قيمة .

ولا شك أن قيام الجامعة بنشر النصوص المحققة سيرفع من قدر تلك النصوص ومن قدر عملية التحقيق ذاتها في نظر جمهور المثقفين والقراء ، وسيجعل إقبالهم عليها أشد من إقبالهم على ما تنشره أي هيئة تجارية تقوم خارج أسوار الجامعات .

* * *

من كل ما تقدم يتبين لنا أن مسؤولية الجامعة تجاه تراثنا مسؤولية جسيمة لا يستهان بها وهي ـ كما أسلفنا ـ ذات أبعاد ثلاثة هي : التجميع والحفظ والتعريف والإعلام والتحقيق والنشر ومن هذه المنطلقات الثلاثة تستطيع جامعاتنا أن ترعى للتراث حقوقه وأن تفي بالتزاماتها نحوه ، متعاونة في ذلك مع كل الأجهزة التي تتصل أعمالها بهذا التراث من قريب أو بعيد .

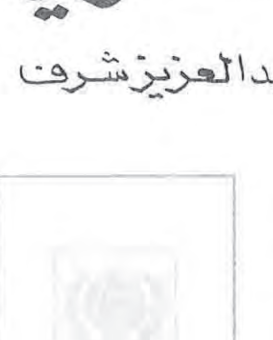
الهوامش

(١) الغريب حقاً أن تاريخ الطب عند العرب في العصور الإسلامية الأولى يدرس في الجامعات الأوروبية ، بينا نضيق به برامج كليات الطب عندنا .



وسائل الإعلام ومستقبل الطفل العربي

بقلم : د . عبد العزيز شرف



★ ونحن نحتفل بالعام الدولي للطفل ؛ تثور عدة تساؤلات حول دور وسائل الإعلام في تكوين الطفل بعامة ، والطفل العربي بخاصة ؟ سيما وأن سبل الإعلام وقنواته ، تتغير تغيراً ملحوظاً حسب البيئة ؛ كما تتغير بالنسبة لسرعة النشر ، وحسب طبيعة المضمون ، والوسائل الفنية المستخدمة في النشر ، فضلاً عن أن حجم المعلومات المتداولة وتكرارها لا يكونان أبداً على وتيرة واحدة ، لا من حيث الزمان ولا من حيث المكان (الصحافة ، الإذاعة المسموعة والمرئية ، الخ) . وعلى هذا تعتبر التربية عاملاً أساسياً في تنمية الموارد البشرية ، فهي تستطيع أن تلعب دور الوسيط الموصل للمعلومات السياسية منها أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو العلمية أو التقنية أو الثقافية . ولكنها لا تستطيع أن تلغي دور الإعلام ، كما أن الإعلام لا يستطيع الاستغناء عن التربية .

فوسائل الإعلام توجد نوعاً من البيئة الصورية بين الإنسان والعالم الموضوعي الحقيقي . ولهذه النظرة معانيها الهامة عن دور وسائل الإعلام تجاه الطفولة بوجه عام ★



ولذلك فإنه ينظر إلى وسائل الإعلام أحياناً على أنها تغلف الإنسان الحديث بنوع من الواقع البديل . . فالمجتمع يوجد عن طريق عملية انتقال أو تحويل ، على حد تعبير «جون ديوي» : **«وهو في هذا على قدم المساواة مع الحياة البيولوجية ، ويتم الانتقال أو التحويل ، عن طريق انتقال عادات العمل ، والتفكير ، والشعور من الأكبر سناً إلى الأصغر ، وبدون هذا الانتقال أو التوصيل للمثل العليا ، والآمال ، والتوقعات ، والمستويات ، والآراء من أعضاء المجتمع الذين يوشكون أن يختفوا من حياة الجماعة إلى من يدخلونها ، لن يتسنى للحياة الاجتماعية أن تستمر في البقاء . . ولو كان الأعضاء الذين يتكون منهم مجتمع ما يعيشون إلى الأبد ، لتسنى لهم ان يربوا الحديثي الولادة ، ولكنها تكون عندئذ مهمة يوجهها الاهتمام أو المصلحة الشخصية أكثر مما توجهها الحياة الاجتماعية . أما الآن فهي عمل تمليه الضرورة»** .

وتمشياً مع الأفكار التي تبناها وزراء التربية والوزراء المسؤولون عن التخطيط في الدول العربية (**المغرب ، يناير (كانون الثاني) ١٩٧٠م**) ، والتقاء مع قرارات الدورتين الخامسة عشرة والسادسة عشرة للمؤتمر العام لليونسكو ، يتعين ربط مختلف أنواع ومراحل التربية ، داخل إطار التربية المستديمة ، بتنمية وسائل الإعلام ، وعلى هذا يتحتم انشاء قنوات اتصال بين المؤسسات وبين الجماعات ، والأجهزة الإدارية ، واتحادات العمال ، والتعاونيات ، والمؤسسات التعليمية والثقافية الخ . كذلك تستطيع التربية المستديمة إذا استعانت بنفس وسائل الإعلام ، أن تعمم في كل مكان وبانتظام وبأقل التكاليف ، أثناء أو خارج أو بعد مختلف مراحل التعليم والتدريب التجديدي . وباستخدام وسائل الإعلام هذه ، على يد أحسن الخبراء الذين توفرهم الظروف ، سوف تتحسن نوعية المضمون وتؤمن المساواة على نطاق واسع بين جميع أجزاء البلاد . فإذا انتشرت التربية المستديمة في المجتمع ، أصبحت ـ كما يقول تقرير اليونسكو عن استخدام الفضاء[١] ـ **أصبحت بمثابة الخامة الفكرية لعملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية .**

«وتعتبر التربية المستديمة القوة المجددة الرئيسية للتنمية الثقافية التي تتحكم في التقدم الاقتصادي والاجتماعي . وعلى عكس الأنظمة التعليمية التقليدية التي تركز على ترقية الأفراد وخلق مجالات التنافس فيما بينهم ، تنطوي التربية المستديمة على ترقية الجماعات . وتبدو الحاجة في هذا الشأن إلى وسائل الإعلام لضمان اشتراك كل الطبقات الاجتماعية في عملية التنمية» .

الأثر التربوي للإعلام

وهنا تطرح **مشكلة الأثر التربوي للإعلام .** وهو أثر غير مباشر يحوطه الغموض ، ولا يمكن للتربية أن تتنبأ به إلا جزئياً . فالإعلام المتصل بالبيئة الطبيعية والبشرية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والذي يعنى بالمسائل العملية ، ينطوي على نوع من التربية التي تهتم بتحليل الأشياء الطبيعية والتقنية والثقافية وبهذا تقترب من المواد الدراسية التقليدية . ويؤدي التكامل بين الحياة اليومية والمعرفة إلى[٢] :

●● مفهوم للتربية يستطيع بمقتضاه كل من الأطفال والمراهقين والكبار من رجال ونساء (**كالآباء والعاملين والمواطنين**) في المدن والريف على السواء ، أن يستكشفوا معنى ومتطلبات الوظائف والمواقف التي يتعين عليهم اتخاذها والقيام بها باعتبارهم مواطنين وأصحاب مهن وأرباب أسر .

●● ورباط يربط بين الجميع ، **وهو الثقافة** ، أي الشعور الداخلي بالانتماء إلى نفس الخط في الحياة والعمل والفكر ، يقوم على أساس ماض واحد وقيم وأهداف مشتركة .

إن استخدام وسائل الإعلام ، **وخصوصاً التليفزيون** ، يتيح الفرصة لأول مرة للتربية لكي تتفاعل مع البيئة الاجتماعية ، باعتبار المدرسة عنصراً من عدة عناصر لبناء واسع كبير هو التربية المستديمة .

إن ضرورة التعليم والتعلم لاستمرار وجود المجتمع من الوضوح بحيث يبدو أن ذكرها تحصيل حاصل . . ولكن تبرير ذلك مصدره ـ كما يقول **جون ديوي** ـ أن **«هذا التأكيد إنما هو وسيلة للافلات من المعنى المدرسي الصوري للتربية ، فالمدارس في الواقع سبيل هام للتحويل أو النقل الذي يشكل استعدادات غير الناضجين ، ولكنها سبيل واحد ، وسبيل سطحي نسبياً إذا ما قورن بالعوامل الأخرى . . ولن نتأكد من وضع الطرق المدرسية في سياقها الصحيح إلا إذا أدركنا ضرورة سبل للتعليم أوفر حظاً من الدوام والأهمية** . . إن المجتمع لا يكتب له الاستمرار عن طريق الانتقال أو التحويل أو الاتصال فحسب ، بل يجوز القول إنه يوجد في الانتقال أو التحويل . . وفي الاتصال . فالصلة أكثر من لفظية بين كلمة «**مشترك**» و«**مجتمع محلي**» و«**اتصال** Communication» (**وهي في الإنجليزية من مادة واحدة لغوياً**) . (وهي في العربية ترتبط «بالبر والتودد وعدم الجفاء كما لو كان **يصل** رحمه وقرابته والمؤمنين» .) فالناس يعيشون في مجتمع «**محلي**» بفضل ما بينهم من أشياء «**مشتركة**» والاتصال هو الطريقة التي بها يتملكون الأشياء المشتركة . وما لا بد أن يكون مشتركاً بينهم لتكوين «**مجتمع محلي**» أو أي مجتمع على العموم هو الأهداف والمعتقدات والمطامح والمعرفة ـ أي الفهم المشترك ـ مثل التماثل العقلي كما يقول الاجتماعيون .

«**وهذه الأمور لا يمكن نقلها بدنياً أو مادياً من شخص إلى آخر كقوالب الطوب . . ولا يمكن التشارك فيها على نحو ما يتشارك الناس في فطيرة باقتسامها قطعاً مادية ، فالاتصال الذي يضمن المشاركة في الفهم المشترك إنما هو اتصال يضمن الاستعدادات الانفعالية والذهنية المتماثلة . . مثل طرق الاستجابة للتوقعات والمتطلبات أو المقتضيات» .**

ولفظ التربية يعني في أصله اللغوي عملية التنشئة ، ولكن حينما نقصد حاصل هذه العملية ، فإننا نعني بالتربية التشكيل والصياغة للطفل في صورة نمطية من النشاط الاجتماعي .

وهنا يلعب الإعلام دوراً كبيراً في تحويل نوع أو كيف الخبرة حتى تشارك في الاهتمامات والأغراض والمثل العليا الجارية في الجماعة الاجتماعية . ولكن مشكلة الإعلام هي اكتشاف الطريقة التي يتمثل بها الصغير وجهة نظر الكبير أو التي يتمكن بها الكبار من جعل الصغار يماثلونهم عقلياً .

وتأسيساً على هذا الفهم ، يمكن القول إن إصدار حكم قاطع فيما يتعلق بوسائل الإعلام من حيث ضررها أو صلاحيتها للأطفال أمر عسير ، ونذكر هنا قول الجنرال « **دافيد سارنوف** » في الكلمة التي ألقاها بمناسبة منحه درجة علمية شرفية من **جامعة نوتردام : « إننا نميل كثيراً إلى اعتبار الأدوات التكنولوجية كبش فداء الأخطاء التي يرتكبها أولئك الذين يستخدمونها . إن إنجازات العلم الحديث لا يمكن أن تكون خيراً أو شراً في ذاتها . إن طريقة استخدام هذه الإنجازات هي التي تحدد قيمتها »** .

فهناك من البرامج ما يكون له أثر ضار على بعض الأطفال في بعض الظروف ولكن بالنسبة لأطفال آخرين ، وفي نفس الظروف السابقة أو بالنسبة لنفس الأطفال في ظروف مختلفة ، قد تكون هذه البرامج نفسها ذات أثر طيب .

أثر التليفزيون على الأطفال

يقول **ولبور شرام** وزميلاه في دراستهم عن **التليفزيون وأثره في حياة الأطفال :**

« إننا حين نذكر شيئاً عن أثر التليفزيون على الأطفال فإننا في الواقع نستعمل عبارة ذات حدين : أحدهما يتعلق بالأطفال ، والآخر بالتليفزيون . وعلى سبيل المثال إذا قلنا عن أحد البرامج إنه ممتع ، فإننا نقصد أن ذلك البرنامج ينطوي على ميزة خاصة يستجيب لها الأطفال بطريقة ما وتطلق عليها صفة الامتاع . ولو قلنا إن ذلك البرنامج يبعث الرعب في النفس فإننا نعني بذلك أن بالبرامج بعض الخواص تثير في الأطفال انفعالا آخر هو الخوف .

« وقد نظن من استعمال كلمة « أثر » أن التليفزيون هو المؤثر والطفل هو الذي يقع عليه الأثر ، أي أن الطفل يأخذ الجانب السلبي ويكون الضحية بينما يكون التليفزيون الأثر الايجابي كأنما هو المعتدي على الطفل ، لكن ما أبعد هذا القول عن الحقيقة .

إن الأطفال في علاقتهم بالتليفزيون يكونون في غاية الايجابية فهم الذين يستعملون الجهاز كيفما شاءوا . حقاً أن برامج التليفزيون بها كثير من قصص الخيال ومواقف العنف ، وأن التنوع بين مختلف البرامج ضئيل فليس أمام الطفل إلا أن يتقبل ما يقدم له من البرامج ، فمن طبيعة التليفزيون أن يقلل بقدر الإمكان من التنويع بين البرامج ولكن من طبيعة الإنسان أن يعوض هذا النقص وخاصة من جانب الأطفال » .

إن ما يقدمه التليفزيون من مختلف البرامج للأطفال ـ كما يوضح شرام وزميلاه ـ لا يختلف في أساسه عن البرامج المذاعة بالراديو ، وكذلك لا يختلف عما يشاهده الأطفال من القصص السينمائية ، ولكن تأثر الأطفال بالتليفزيون والوسائل الأخرى هي التي تختلف اختلافاً كبيراً . فالطفل عندما يدير جهاز التليفزيون يفعل ذلك لبرضي حاجة في نفسه ، ويجد في البرامج بعض الخبرات يفيد منها فيما بعد ، وتؤكد دراسة شرام وزميليه ، أن الأطفال يختلفون في مشاهدتهم للبرنامج التليفزيوني الواحد ، ولكن نتيجة لعمليات الاختيار تحدث دائماً زيادة في خبراتهم المختزنة ، وبالتالي تنضج ما لديهم من مفاهيم وقيم ومظاهر السلوك ، ففي بعض الظروف قد يؤدي اختيار بعض البرامج التليفزيونية إلى اتجاه الطفل نحو الجريمة أو العنف أو ضعف الخلق ، وفي ظروف أخرى تساعد برامج من نوع مختلف على إنماء مفاهيم صحيحية عن حياة الكبار والقيم الديموقراطية وفي ظروف ثالثة قد لا يكون للبرامج أية آثار على الطفل سواء كانت ضارة أو نافعة[٣] :

« إن في طبيعة الأطفال ما يجعلهم يلتمسون في برامج التليفزيون خبرة خاصة تكون جديدة على حياتهم وتأخذ مكانها ضمن خبراتهم السابقة التي هي مجموعة من القيم المتعارف عليها بين الناس والعلاقات الاجتماعية إلى جانب الحاجات النفسية الملحة وهي جزء لا يتجزأ من حياة كل طفل ، ونتيجة لذلك يتأثر ما لدى الطفل من خبرة أصلية فيطرح بعضها جانباً ويختزن بدلا منها خبرة جديدة ، وقد يصدر من الطفل سلوك ملحوظ نتيجة لمشاهدته بعض البرامج » هذا ما نقصده عند الحديث عن « **أثر وسائل الإعلام** » .

يتساءل (شارلز سيجان) : **هل التليفزيون وسيلة لتخدير عقول الجماهير أم أن له أثراً هاماً على ثقافتهم ؟** ذلك أنه كان هناك أمل في أن يصبح التليفزيون في كل منزل وسيلة للمعرفة والتربية بما يفتحه من نوافذ على الآفاق البعيدة من العالم وبما يقدمه من الأنباء والأفكار الجديدة وشخصيات العظماء للأطفال . . **ولكن من ناحية أخرى لوحظ أن أضعف الأطفال تحصيلاً في المدرسة هم أكثر الأطفال إقبالا على برامج التليفزيون ، وإن كان ذلك لا يعني أن التليفزيون هو السبب في ضعف مستواهم العلمي .**

لقد قال « بول ويتي » في مؤلف له سنة ١٩٥٤ م ، إن التليفزيون يقلل من إقبال الأطفال على القراءة ، ثم عاد في سنة ١٩٥٩ م ، فذكر أن ذلك غير مؤكد . وذكر مؤلف آخر هو « **ريمون** » أنه عند استطلاعه آراء المراهقين وجد أن اثنين من خمسة اعترفوا له بأن التليفزيون يعطلهم عن أداء أعمالهم المدرسية وإن كان تقديرهم لذلك متفاوتاً **على نحو ما وإلى درجة كبيرة** . والذي لا شك فيه أن الأطفال يتعلمون من التليفزيون .

ولكن « آرثر شليزنجر » يذهب إلى أن التليفزيون ينافس الوسائل الترفيهية الأخرى في أنه ينحدر سريعاً بذوق الأطفال ، بينما يقول « **لويس كوهن** » إن كثيراً من برامج التليفزيون تشجع الأطفال على اكتساب مستوى منحط من الذوق لا يليق بالحياة الاجتماعية السليمة .

ويتساءل « **جوزيف كلابر** » :

هل يساعد التليفزيون على إنضاج عقلية الطفل قبل الأوان ؟

يقول : « **إن الأطفال يقضون معظم الوقت أمام التليفزيون في مشاهدة البرامج التي أعدت خصيصاً للكبار وغالباً ما تكون مليئة بالمشاهد والمواقف التي تتميز بالصراع العاطفي ، ويظن بعض علماء النفس أن استمرار مشاهدة الطفل لمثل هذه البرامج يحدث انطباعات عميقة من حياة الكبار على تفكيره وتدفع به إلى حالة من النضج سابق للأوان من صفاتها الملحوظة الحيرة وعدم الثقة بالكبار والاهتمام بمشكلاتهم اهتماماً سطحياً ، وقد يصل الأمر بالطفل إلى عدم الرغبة في النمو ليكون كبيراً** » .

ويضيف « **كلابر** » إلى ذلك أن الأطفال في مراحلهم الأولى كثيراً ما يلتمسون النصح والمشورة عند الكبار فيما يختص بمواقف يشاهدونها ضمن برامج التليفزيون ولكنهم يفاجأون بعجزهم عن تقديم المعونة المطلوبة . ومثل هذا العجز من جانب الكبار يكون له في نفس الطفل أثر أعمق من أثر الصورة غير الواضحة لحياة الكبار التي يراها الطفل في مشاهد التليفزيون .

ويذهب « **شرام وزميلاه** » إلى أن التليفزيون أحدث تعديلاً كبيراً في أوقات فراغ الطفل وخاصة فيما يتعلق بالمدة التي يقضيها في اكتساب المعرفة من وسائل الإعلام مثل الراديو والتليفزيون . لقد قل معدل الزمن الذي يخصصه الطفل لقراءة المجلات المصورة عما كان عليه في الماضي . كما أنه يستمع من الراديو إلى التمثيليات أقل ويذهب إلى السينما مرات أقل ، ولكنه يشاهد عدداً كبيراً من التمثيليات في التليفزيون ، وقد يستمتع الطفل بالموسيقى الشعبية من الراديو ولكنه يستطيع أن يحصل عليها أيضاً من التليفزيون . ومن الواضح كذلك أنه قد حدث تغيير في المادة التي يستقبلها الطفل عن طريق الوسائل الثقافية إذا قورنت بمثيلتها قبل ظهور التليفزيون .

ولعلنا نستطيع أن نخلص مما تقدم ، إلى أن طريقة استخدام وسائل الإعلام هي التي تحدد قيمتها بالنسبة لمستقبل الطفل . .

فوسائل الإعلام - حين نحسن استخدامها - يمكن أن تؤدي عدة وظائف :

الطفل وعادات اللغة

فوسائل الإعلام من خلال الاتصال اللغوي تتيح للطفل تمثل العادات اللغوية . ذلك أن استخدام اللغة لتوصيل الأفكار واكتسابها - كما يقول **ديوي** - إنما هو امتداد وارتقاء للمبدأ القائل : إن الأشياء تكتسب المعنى عن طريق استخدامها في خبرة مشتركة أو فعل مشترك ، وإنه لا ينتهك هذا المبدأ بأي حال من الأحوال . وعندما لا تدخل الكلمات كعوامل في موقف مشترك ، إما صراحة أو بطريق الخيال ، فهي إذن منبه مادي محض . ليس ذا معنى ولا قيمة فكرية . ولكن طرق الكلام الأساسية ، وكتلة المفردات ، إنما تشكل باتصالات الحياة العادية ، والتي تعرضها وسائل الإعلام ، فالطفل يكتسب لغة الأم بطريق مباشر وبطريق غير مباشر من وسائل الإعلام . فقد أظهرت الأبحاث أن الملاحظة البسيطة للآخرين يمكن أن يكون لها تأثير قوي في تغيير بعض جوانب السلوك الاجتماعي مثل استعداد الطفل لمعاونة الآخرين وقدرته على اظهار سيطرة ذاتية ، وتعلمه لقواعد اللغة(٤) .

وهنا يمكن أن تصبح وسائل الإعلام بطريق غير مباشر عادات الكلام التي تكتسب من قبل . فالطفل يلاحظ ويتذكر أسلوب الكبار في الكلام والتعبيرات التي يستعملونها والطرق التي يقدمون بمقتضاها المساعدة ، ويكتسب معلومات مما يراه ، أي إن التعلم بالملاحظة يحدث في هذه الحالات .

« إن وسائل الإعلام ، تلعب دوراً أساسياً في تزويدنا بالمعلومات والآراء التي نبني بفضلها صورة للعالم المحيط بنا ، وإنها توسع عالمنا وإطارنا الدلالي وتجعلنا نهتم بأمور لا نستطيع أن نعرفها بالتجربة المباشرة . لذلك يقال دائماً إن أكثر من ٧٠ ٪ من واقع الفرد في المجتمع الحديث مستمد من وسائل الإعلام »(٥) .

وسائل الإعلام وآداب السلوك

يذهب علماء النفس إلى أن الطفل عندما يبلغ الثانية أو الثالثة من عمره لا يعي من آداب السلوك إلا القليل ، بل إنه لا يعرف ماذا تعني هذه الآداب .

ولقد ظهر أن ملاحظة الأطفال للأطفال الآخرين في فيلم ما ، تحدث مستوى مرتفعاً من التعلم للسلوك غير المألوف وتزيد استعداد الأطفال للمشاركة ، وتقلل ردود الفعل التي تنطوي على نفور أو خوف بشكل كبير .

وتقول (**دوروثي و . باوزخ**) إن أفضل طريقة هي ألا نطالب الطفل بعبارات المجاملة ، لأن كل عبارات المجاملات والتحيات ، لا تحمل للطفل الصغير من المعاني إلا القليل . . إن الطفل قد يقول مع ذلك كل هذه المجاملات والتحيات بطريقته الخاصة ، فقد يقول « **صباح الخير** » أو « **من فضلك** » أو « **أشكرك** » بابتسامة جذابة ، أو نظرة معبرة أو لمسة من يده تحمل الود والصداقة أو حتى بوساطة تعبير أو افصاح عن الرضا . فإن هذه كلها وسائل اتصال صادقة نابعة من القلب . وبدلا من أن نفرض عليه هذا اللون من السلوك ، فإن الأفضل أن نسلك نحن هذا السلوك معه ، فنقدم له صورة دقيقة لآداب السلوك بأن نكون مثلاً يحتذى ، وبذلك نتيح له حرية اختيار أنواع الآداب التي يرغب في محاكاتها ، فإذا ترك وشأنه فإنه سيقتبس تدريجياً الآداب التي تناسب مرحلة نموه الخاصة ، ويشرع في أن يقول « **من فضلك** » أو « **أشكرك** » أو « **صباح الخير** » الخ . . كما يستعمل هذه المجاملات والتحيات بصورة لبقة طبيعية ، وسرعان ما تصبح هذه العبارات تعبيراً عن نفسه ، لا صورة لا معنى لها فرضت عليه فرضاً ، غير أنه يحتاج إلى وقت حتى يصل إلى مرحلة الآداب التي يتحلى بها الكبار ، إذ أنه لا يصل إلى هذه المرحلة دفعة واحدة . إن الطفل سوف يتعلم الكثير من هذه الآداب والمجاملات على أحسن وجه إذا ما انتظرنا حتى يكون مستعداً لتعلمها مهيئاً لممارستها . واحتمال اكتساب السلوك الجديد لدى الطفل ، بدون ممارسته أو الاقدام عليه مباشرة ، له نتائج هامة في فهم تأثير التليفزيون وفرص التعليم الأخرى بالملاحظة . فإذا تعلم الطفل سلوكاً جديداً يصبح في مقدوره الإقدام على ذلك السلوك حينما يجد نفسه في ظرف يكون فيه ذلك السلوك مجزياً أو يخدم أهدافه الخاصة ، وبهذا ، بالرغم من أن التعلم قد لا يدفع الفرد بالضرورة إلى القيام بعمل ما ، إلا أنه يجعل في الامكان القيام باستجابات اجتماعية قد لا تكون متوافرة لديه لولا هذا التعرض . معنى هذا أن التعرض لدلالات جديدة (**عنيفة**) قد يغير شكل السلوك المحتمل الذي قد يقدم عليه الطفل حينما يثار أو يتعرض للضغط(٦) .

فمما لا شك فيه أن الأطفال سوف يتعلمون أشكال السلوك الجيدة - كلمات وتصرفات - من مجرد مشاهدة الآخرين . لذلك فهو يتعلم العدوان من التليفزيون كما يتعلم الأشياء الايجابية(٧) .

وهنا يمكن أن تلعب وسائل الإعلام دوراً أساسياً في آداب السلوك من خلال تقديم القدوة ، التي تعتبر أقدر من الموعظة في هذا المجال ، فآداب السلوك الحسنة على حد تعبير **ديوي** نتاج التنشئة الحسنة ، أو من باب أولى هي التنشئة الحسنة . والتنشئة تكتسب بالفعل الذي تحول إلى عادة ، استجابة إلى تعود منبه معين أو بالتلقين . وبرغم التعليم والتصويب المقصودين بلا انقطاع ، إلا أن المناخ والروح



الاجتماعية ووسائل الإعلام في البيئة المحيطة بالطفل هي في النهاية العمل الأساسي في تشكيل آداب السلوك ، وآداب السلوك ليست سوى الأخلاق الصغرى ، أما في الأخلاق الكبرى ، فالتعليم المقصود أحرى ألا يكون فعالا إلا بمقدار توافقه مع سير وسلوك من تتكون منهم البيئة الاجتماعية للطفل .

ويذهب **الدكتور فريد مان** المتخصص في دراسة الانحراف إلى أنه « لم يتضح من أية دراسة نفسية يعتمد عليها أن أعراض الشخصية الانشطارية قد زادت بين الأطفال منذ انتشر استعمال التليفزيون ، وكذلك لم يثبت بالبحث الدقيق أن هناك صلة ما ، بين ارتفاع نسبة الانحراف بين الأحداث وبرامج التليفزيون أو عملية مشاهدتها » .

ويقول : « **إن مدى استجابة الطفل لبرامج التليفزيون ومغزاه النفسي ، هو المقابل لما يحققه من إرضاء حاجاته في مجتمع أسرته ومدرسته وأصدقائه ، ويمكن التنبؤ بأن الأطفال الأقل ذكاء ، والأكثر قلقاً والذين على غير وفاق مع عائلاتهم وأصدقائهم هؤلاء جميعاً يحتمل أن يستغرقوا في مشاهدة التليفزيون كنوع من الهرب أو بقصد إثارة عواطفهم . أما الأطفال الأذكياء والمتزنين والذين على وفاق في علاقاتهم مع أسرهم فهؤلاء لا يتأثرون بمشاهدة برامج التليفزيون** » .

هذه الخواص تكون كامنة في كل عمليات المشاركة في المشاهدة سواء كان ذلك بالنسبة للرياضة أو الفن أو القراءة ، ولكن الشيء الهام الذي يتميز به التليفزيون هو - **كما يقول شرام** - أنه يلتقي مع المشاهدين في جميع المستويات العمرية فيشاهده الأطفال في سن ٥ سنوات ، ٣ سنوات وحتى الأطفال من سن السنتين يرون برامج التليفزيون ، وفي هذه السنة الأخيرة يكون التليفزيون مجرد بديل عن الأم ، وهذه الحاجات التي يحس بها الطفل تنمو وتكبر وتتطور علاقته بأمه . إن هذا النمو في الحاجات يتوقف أساساً وإلى حد كبير على موقف الأم من الطفل وتشجيعها له على القيام بأعمال النشاط وعلى الاعتماد على النفس . وإن من أعظم الأمور أهمية في تكوين شخصية الطفل أنه يستطيع في تلك السن إشباع كثير من رغباته وحاجاته عن طريق التليفزيون .

وقد توصلت « **هيملوايت** » إلى أن الأطفال الذين يفضلون الخبرات التليفزيونية على خبرات الحياة الواقعية ، إذا تركت لهم حرية الإختيار ليسوا إلا عدداً ضئيلاً ، ووجدت أيضاً ، كما وجد شرام وزميلاه بالمثل أن الأطفال لا يملون أبداً مشاهدة التليفزيون ويميلون إلى مشاهدة ألوان مختلفة من البرامج .

الذوق السليم والتقدير الجمالي

وتستطيع وسائل الإعلام حين تصافح العيون أو الآذان ؛ أن تقدم موضوعات للرؤية أو للاستماع متناغمة ، وذات أناقة في الشكل واللون والايقاع ، وحين تفعل ذلك تجعل الطفل ينشأ لديه مستوى أو معيار للذوق .

وقد أثبتت دراسة شرام وزميليه ، أن الأطفال في أعلى مستويات الذكاء وأدناها من الذين يشاهدون التليفزيون يلتحقون بالمدرسة وعندهم حصيلة من المفردات الجديدة تعدل ما يمكن تحصيله في سنة بالنسبة لنظرائهم من الأطفال في المجتمعات التي لم يدخلها التليفزيون ، ويضاف إلى ذلك أن طول المدة في مشاهدة التليفزيون تساعد على زيادة حصيلة الطفل من المفردات .

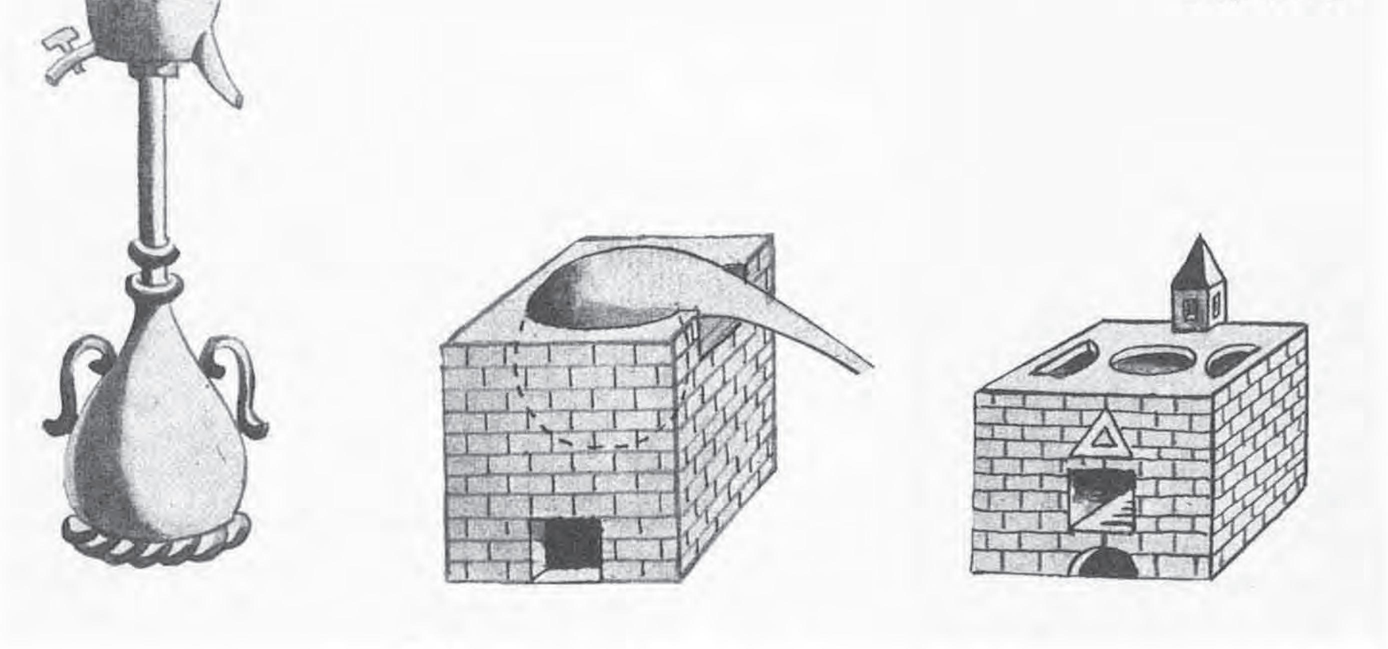
ويحتمل أن تكون فاعلية وسائل الإعلام بوجه عام في استثارة اهتمام الطفل بمعارف جديدة ، وفي زيادة اهتمامه بما هو موجود فعلاً ، أكبر منها في استثارة الطفل نحو القيام بنشاط خلاق .

وبقدر ما تعمل وسائل الإعلام على تنمية أذواق الأطفال ، يمكن أن نفترض مع **شرام** أنها تدعم نوع الذوق الذي يكتسبه الطفل أثناء القراءة أو الاستماع أو المشاهدة . فإذا كانت البرامج والمواد منوعة بحيث تكفي احتياجات الذوق في مستوياته المختلفة ، وبحيث تعطي الطفل مجالا كبيراً للاختيار ، فلن يكون هناك داع للقلق ولكن ليس هناك اختلاف كبير بين برامج التليفزيون مثلاً كما أنها معدة على مستوى تتقبله الغالبية الكبرى من الجماهير .

وهذا الموقف يؤدي بنا إلى البحث في مشكلة تنمية أذواق الأطفال عند التعامل مع وسائل الإعلام وكيف يتم ذلك ، ويلفت أنظار الآباء والمربين والمفكرين ، إلى توجيه الأطفال لاختيار ما يناسبهم من مختلف ألوان البرامج في التليفزيون . ذلك أن وسائل الإعلام تعمل على تكوين الاتجاهات والميول والآراء ، وتغذيها بشكل مستمر .

المراجع

١ - The Use of Satellite Communication for Education and National Development.
وقد نشره اتحاد إذاعات الدول العربية عام ١٩٧٣ م .
٢ - نفس المرجع .
٣ - W. Schramm. Television in The Lives of Our Children (Stanford Calif; Stanford University Press, 1961 P. 160).
٤ - د . جيهان رشتي « تأثير وسائل الإعلام الإلكترونية على حياة الأسرة في المجتمع الحديث » مجلة الإذاعات العربية ، ديسمبر (كانون الأول) ١٩٧٥ م .
٥ - د . جيهان رشتي : نفس المرجع ص ٥٥ .
٦، ٧ - د . جيهان رشتي : نفس المرجع ص ٥٣ ،
S. Ball and Bogatz. **The First Year of Sesame Street**: An Evaluation (Princeton; Educational Testing Service, 1970).



★ أدوات كيميائية عربية
لتقطير الأعشاب الدوائية ★

العلامة الحكيم

بقلم : د . علي عبد الله الدفاع

عاش الحكيم علاء الدين أبو الحسن علي بن أبي الحزم القرشي الدمشقي الملقب **بابن النفيس** فيما بين سنة ٦٠٧ و ٦٨٦ هجرية (الموافق ١٢١٠ ـ ١٢٨٨ ميلادية) . ولد ابن النفيس في إحدى ضواحي **دمشق** ، وتلقى تعليمه في حقل **الطب** هناك مع صديقه **ابن أبي أصيبعة** صاحب الكتاب المشهور « **عيون الأنباء في طبقات الأطباء** » على أيدي مشاهير علماء الطب في دمشق آنذاك مثل **عبد الرحيم الدخواري ورضي الدين الرجي** . اشتهر ابن النفيس رحمه الله بطول البال ولين الجانب وكان طويل القامة ، نحيف الجسم ، لم يتزوج قط في حياته بل تفرغ للعلم وأهله .

كانت مدينة دمشق في عهد ابن النفيس تحت حكم **السلطان الأيوبي العادل سيف الدين** وكانت مزدهرة وذات نهضة علمية فاخرة به وكان أهل العلم يفدون إليها من كل فج . وقد اشتهر السلطان الأيوبي العادل سيف الدين باهتمامه بالطب وأهله ، فأنشأ المستشفيات العديدة التي لم يسبق لمثلها غيره ، والتي كانت عامرة بمشاهير الأطباء . وكانت مصر حينذاك تحت حكم أمير أيوبي آخر اسمه **الملك الكامل محمد** وقد وصلته شهرة ابن النفيس العلمية الراقية فدعاه إلى **مصر** للاستفادة منه ، وعينه **رئيساً للمستشفى الناصري** ثم **رئيساً للمستشفى المنصوري** . وبقي ردحاً من الزمن في مصر متنقلاً بين هذين المستشفيين وأخلص لهما لدرجة أنه أوقف قبيل وفاته جميع أمواله وكتبه وحتى داره للمستشفى المنصوري .

أعماله الطبية ومكتشفاته

كان ابن النفيس من **عباقرة أطباء التشريح** ، وفي نفس الوقت كان متعمقاً في **فنون الحكمة والمنطق والفقه وأصوله وعلوم اللغة العربية ، والحديث والفلسفة** . وقد قضى ابن النفيس معظم حياته في دراسة الطب وتطويره نظرياً وعملياً . وقد حث ابن النفيس على ممارسة تشريح جسم الإنسان ، والمقارنة مع أجسام الحيوانات محتجاً بأن ذلك يؤدي إلى فوائد كثيرة منها :

(١) **تشريح المقارنة يعطي الفكرة الجيدة عن جسم الإنسان .**

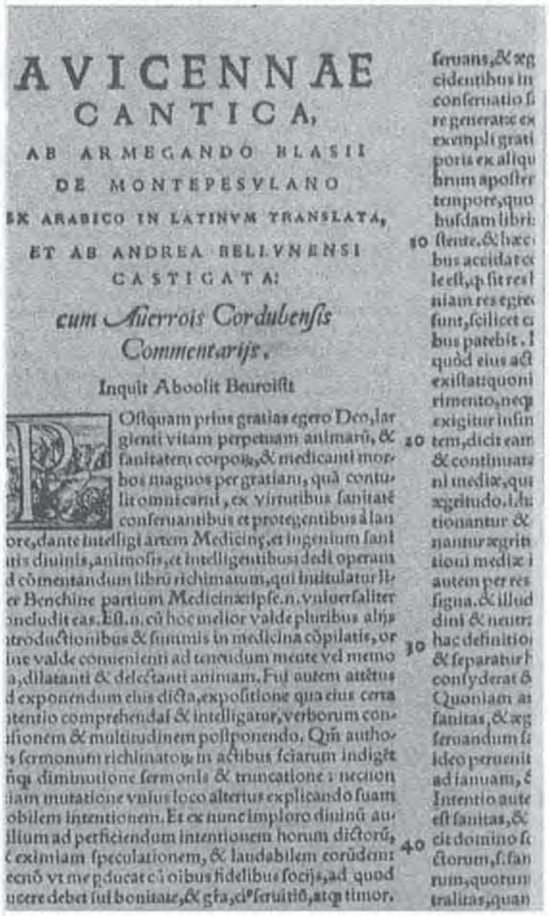
(٢) التشريح بوجه عام يوصل إلى فهم وظائف الأعضاء .

واهتم ابن النفيس بدراسة **تشريح القلب والحنجرة** وبدراسة وظيفة التنفس داخل الرئة وانتقال الدم من الرئة إلى القلب ومن القلب إلى الرئة .

ويقول المؤلف المعروف **رام لاندو** في كتابه « **مآثر العرب في النهضة الغربية** » : إن طب ابن النفيس يظهر فيه الأصالة والتجديد . فكان ابن النفيس ينادي بالخروج على الطرق التقليدية في الطب والتحرر من سيطرة أفكار من سبقه من الأطباء . لأن الكثير من العلماء في وقته لم يجرؤوا على مخالفة نظريات العلماء المشهورين مثل **جالينوس وأبقراط وابن سينا** في الطب . فقد انتقد الكثير من نظرياتهم وجمعها ، مع أن ابن النفيس كان يحترم الشيخ الرئيس (ابن سينا) كثيراً فيقول : « خالفناه في أشياء يسيرة ظننا أنها من أغاليط النساخ » .

لقد انتقد ابن النفيس نظرية جالينوس المختصة بمجرى الدم الوريدي بين البطين الأيمن من القلب والبطين الأيسر القائلة «الحاجز الذي بين الجانب الأيمن والجانب الأيسر في القلب فيه ثقوب غير منظورة يتسرب فيها الدم من الجانب الآخر . وظيفة الرئتين الرفرفة فوق القلب لتبرد حرارته وحرارة الدم ويتسرب شيء من الهواء فيهما بواسطة المنافذ التي بينهما وبين القلب فيغذي ذلك القلب والدم» . أما ابن النفيس فيقول في كتابه « **شرح تشريح القانون** » : « والله أعلم أن القلب لما كان من أفعاله توليد الروح ، وهي إنما تكون من دم رقيق جداً شديد المخالطة لجرم هوائي . فلا بد أن يجعل في القلب دماً دقيقاً جداً وهواء ليمكن أن يحدث الروح في الجرم المختلط منهما . وذلك حيث تولد الروح هو في التجويف الأيسر من تجويف القلب ، ولا بد في قلب الإنسان ونحوه مما له رئة من تجويف آخر يتلطف فيه الدم ليصلح لمخالطة الهواء . فإن الهواء لو خلط بالدم وهو على غلظة لم يكن من جملتها جسم متشابه الأجزاء . وهذا التجويف الأيمن من القلب . وإذا لطف الدم في هذا التجويف فلا بد من نفوذه إلى التجويف الأيسر حيث تتولد الروح . ولكن ليس بينهما منفذ ، فإن جرم القلب هناك مصمت ليس فيه منفذ ظاهر كما ظنه جماعة ، أو منفذ ظاهر يصلح لنفوذ هذا الدم كما ظنه جالينوس . فإن مسام القلب هناك مستحصنة وجرمه غليظ فلا بد وأن يكون هذا الدم إذا لطف نفذ في الوريد الشرياني إلى الرئة لينبث في جرمها ويخالط الهواء ويصفي ألطف ما فيه وينفذ إلى الشريان الوريدي ليوصل إلى التجويف الأيسر من تجويفي القلب ، وقد خالط الهواء وصلح لأن يتولد فيه الروح » .

لقد عرف ابن النفيس الدورة الدموية الصغرى (الدورة الرئوية) تعريفاً جيداً ليس فيه أي غموض أو التباس . وهكذا يكون ابن النفيس هو مكتشف المبادىء الأساسية للدورة الشريانية . وقد أوضح ابن النفيس أن الدم يظهر في الرئتين حيث يخضع لعملية تكرير عن طريق احتكاكه بالهواء الذي يتلقاه الجسم من الجو الخارجي ، وبهذا صحح أفكار جالينوس الخاطئة اعتماداً على ما شاهدته عيناه وصدقه عقله . ويقول جورج سارتون في كتابه « **المدخل إلى تاريخ العلوم** » : « إن ابن النفيس هو أول من اكتشف حركة الدورة الدموية الصغرى (الدورة الرئوية) التي كانت مجهولة قبله وكان هذا الاكتشاف منسوباً إلى العالم الانجليزي **وليام هارفي** الذي ولد عام ١٥٧٨ ميلادية ، والمشهور في حقل


AVICENNAE
CANTICA,
AB ARMEGANDO BLASII
DE MONTEPESVLANO
EX ARABICO IN LATINVM TRANSLATA,
ET AB ANDREA BELLVNENSI
CASTIGATA:
cum Auerrois Cordubensis
Commentarijs.

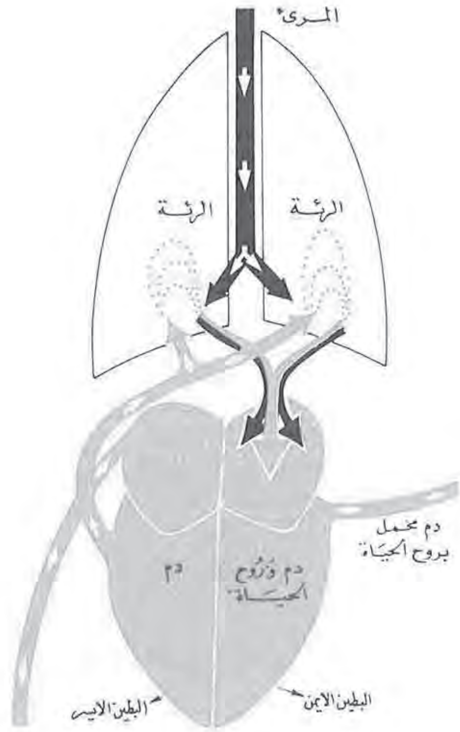
Inquit Aboolit Benroist

Ostquam prius gratias egero Deo, largienti vitam perpetuam animarũ, & sanitatem corporũ, & medicanti morbos magnos per gratiam, quã contulit omni carni, ex virtutibus sanitatẽ conseruantibus et protegentibus à lan ore, dante intelligi artem Medicinę, et ingenium sanitis diuinis, animosis, et intelligentibus dedi operam d cõmentandum librũ richimatum, qui inititulatur liber Benchine partium Medicinæ ipse.n. vniuersaliter oncludit eas. Est.n. cũ hoc melior valde pluribus alijs ntroductionibus & summis in medicina cõpilatis, or ine valde conuenienti ad tenendum mente vel memo a, dilatanti & delectanti animam. Fui autem attẽtus d exponendum eius dicta, expositione qua eius certa ntentio comprehendat & intelligatur, verborum conisionem & multitudinem postponendo. Qm̃ authos sermonum richimatorũ in actibus sciarum indigẽt nq; diminutione sermonis & truncatione: necnon iam mutatione vnius loco alterius explicando suam obilem intentionem. Et ex nunc imploro diuinũ auilium ad perficiendum intentionem horum dictorũ, eximiam speculationem, & laudabilem eorũdem ecnõ vt me pducat cũ oibus fidelibus socijs, ad quod ucere debet sui bonitate, & gra, cũ seruitiũ, atq; timor.

★ الصفحة الأولى من ترجمة لاتينية لكتاب ابن سينا (القانون في الطب) ★

الطب . ولكن عثر **الدكتور محيي الدين التطاوي** عام ١٩٢٤ ميلادية ، على مخطوطة في **مكتبة الأسكوريال** شرح فيها ابن النفيس نظرياته عن الدورة الدموية الصغرى . لذا **يعتبر ابن النفيس الرائد الأول لاكتشاف الدورة الدموية الصغرى** » . كما تطرق العالم الكبير **سيد حسين نصر** لهذا الموضوع في كتابه « **العلوم والحضارة** » فيقول : « إن **ميخائيل سرفيتوس** (Michael Servetus) الذي عاش في القرن السادس عشر الميلادي ادعى أنه مكتشف الدورة الدموية الصغرى (الدورة الرئوية) ، وبقي علماء العالم في الطب متداولين ذلك الادعاء في مؤلفاتهم حتى القرن الحالي . ومما لا يقبل الجدل أو الشك أن كل من **سرفيتوس وكولومبوس وهارفي** الذين وصفوا الدورة الدموية الصغرى قد اطلعوا على نظريات ابن النفيس في كتبه المترجمة عن اللغة العربية إلى اللاتينية » . وأضاف الأستاذ **حيدر بامات** في كتابه « **اسهام علماء المسلمين في الحضارة** » : « أن اكتشافات ابن النفيس قد سبقت اكتشافات علماء أوروبا بثلاثة قرون ، ومع ذلك فقد ادعى كذباً الكثير من علماء أوروبا اكتشافات ابن النفيس لأنفسهم » ومن هؤلاء ميخائيل سرفيتوس الذي عاش في القرن السادس عشر الميلادي ، حيث إنه لم يذكر أنه حصل على معلوماته من مؤلفات ابن النفيس بل ادعاها لنفسه . **بقي إنتاج ابن النفيس مغموراً في مكتبات العالم طوال مئات السنين ، ولم يع علماء الطب قيمة إنتاج ابن النفيس إلا في السنين الأخيرة** .

كان لابن النفيس مكانة علمية كبيرة عند علماء عصره بحيث لقبه معاصروه من الأطباء **بابن سينا الثاني** . يقول سيد حسين نصر في كتابه « **العلوم**



دم
هـوَاء
البطين الأيمن : دَم ازدَادت حَرارته وَتصَفى في البطين الأيمـن
البطين الايسر : دَم آتٍ من الرئتَين محمل بالهواء وَبرُوح الحيَـاة

★ صورة تمثل الدورة الدموية الصغرى كما يراها ابن النفيس ★

الإسلامية : « إن ابن النفيس موسوعة في الطب ، فبجانب شهرته في التشريح فقد ساهم بسخاء في علاج **التهابات العين وأمراضها مثل الرمد** . كما كان ينصح مرضاه بتناول الغذاء الجيد بدلا من العقاقير » . وتواترت قصة عن ابن النفيس وهو مريض مرض وفاته وعمره يناهز الثمانين ، بأن نصحه طبيبه المختص بتناول قليل من النبيذ كدواء ، لكن ابن النفيس رفض شرب الخمر ولو دواء قائلاً : « **لا أريد أن ألق الله وفي بطني شيء من الخمر** » . وهذه القصة تعطينا فكرة عن قوة إيمان هذا العالم الكبير .

مؤلفاته

لقد عكف ابن النفيس على التأليف في الطب والحكمة والفقه وأصوله والمنطق واللغة العربية وأدبها والحديث . كما **حاول أن يصدر موسوعة في الطب من ثلاثمئة جزء ، لكنه وافاه أجله بعد انتهائه من الجزء الثمانين فقط**. وكانت أبحاثه مرجعاً في جميع الفنون لما فيها من العمق والدقة والأصالة . ولذا فقد ترجمت مؤلفاته إلى جميع اللغات الأوروبية بما فيها اللاتينية . ومن هذه المؤلفات :

(١) الكتاب الشامل في الطب .
(٢) المذهب في الكحول .
(٣) المختار في الأغذية .
(٤) شرح فصول أبقراط .
(٥) شرح تقدمة المعرفة .
(٦) شرح مسائل حنين بن اسحق .
(٧) شرح الهداية في الطب لابن سينا .
(٨) الموجز في الطب .
(٩) شرح قانون ابن سينا في الطب .
(١٠) شرح تشريح القانون .
(١١) تفسير العلل وأسباب الأمراض .
(١٢) الورقات في المنطق .
(١٣) المختصر في علم أصول الحديث .
(١٤) كتاب في الرمد .
(١٥) كتاب في تعليق على كتاب الأوبئة لأبقراط .
(١٦) مقالة علق فيها على كتاب الأدوية لأبقراط .
(١٧) مقالة شرح فيها مفردات كتاب القانون في الطب لابن سينا .
(١٨) مقالة عن الدورة الشريانية .

وفي الختام كان ابن النفيس رحمه الله موسوعة تمشي على قدمين في المعرفة . اهتم بالمرضى فكان يطبق عليهم الطريقة المتبعة حديثاً في الفحص ، وذلك بمتابعة ظواهر المرض في جسم الإنسان خلال إعطائه بعض العقاقير . لابن النفيس أصالة في التفكير إذ كان ينظر في كل ما يقرأه نظرة نقدية ممحصة ، مما جعله يخرج بكل شجاعة على آراء جالينوس وأبقراط الخاطئة . فمن أقواله : « وأما منافع الأشياء فإنما يعتمد في تعريفها على ما يقتضيه النظر المحقق والبحث المستقيم . ولا علينا وافق ذلك رأي من تقدمنا أم خالفه » .

تتجلى مآثر ابن النفيس في الطب في كتابه المشهور « شرح تشريح القانون » الذي كان يحتوي على الكثير من اكتشافاته في مجال الطب منها **اكتشافه الدورة الدموية الصغرى** القائلة إن الدم يجري من القلب إلى الرئة ثم يعود إليه ، وكذلك **اكتشافه أن غذاء القلب « من الدم المار في عروقه »** . والجدير بالذكر أن ابن النفيس خالف جالينوس وأبقراط في موضوع عدد تجويف القلب ، حيث إن كل من جالينوس وأبقراط يعتقدان أن القلب فيه ثلاثة بطينات ، أما ابن النفيس فقال إن فيه بطينين . كما عارض ابن النفيس معارضة قطعية ، رأي جالينوس في وجود مسام بين البطينين . **ومن المؤسف حقاً أن كتاب شرح تشريح القانون الذي عرض فيه آراءه القيمة لم يطبع بعد ، بل بقي مخطوطاً تحت غبار الرفوف في مكتبات العالم قروناً لم تنته بعد .**

إن ما حدث من إنكار لإنتاج العلامة الحكيم ابن النفيس وغيره من علماء المسلمين ومن ادعاءات كاذبة من طرف علماء الغرب لتبين اكتشافاتهم مسؤولية كبيرة لتلقى على عاتق كل مسلم في هذه المعمورة . **ومن المؤسف حقاً أن القليل مما قدم إلينا من تراث علماء المسلمين على قلته وصلنا عن طريق مؤلفين مستشرقين أكثرهم الحاقد وأقلهم العادل ظاهراً** وحتى هذا الأخير لم يسلم من الميل عن طريق الحق والتأثر بمجتمعه الحاقد على الإسلام وأهله . **ولذا يكون واجباً على المسؤولين في البلاد الإسلامية خاصة العربية منها لنبين هذا التراث والتعريف به لجيلنا الحاضر** . وذلك ليس للرجوع إلى الماضي الغابر بل لاذكاء دفع الثقة بالنفس في أبنائنا وتقوية شخصيتهم الإسلامية التي أصبحت تحت ضغوط هائلة حتى يكون هذا الجيل أهلاً ليقوم بمهام النهضة التي طالما انتظرتها وتنتظرها أمتنا .

ندوة الشهر

كتاب الطفل

تهدف هذه الندوة إلى استعراض الموقف الراهن لكتاب الطفل العربي ومدى حاجتنا إلى وضع سياسة واضحة .. فعَّالة .. ومدروسة في هذا المجال لتحقيق الأهداف المنشودة .

ومن البداية .. يلاحظ المتابع لحركة **نشر كتاب الطفل العربي** أنها تعاني من قلة العدد ، من الانكماش بشكل يلفت النظر ، وتثير أكثر من علامة استفهام وتعجب ؟!

ويلاحظ أيضاً أنه لا يوجد توازن عددي بين مختلف صنوف المعرفة ، كما أن هناك نقصاً واضحاً في بعض الموضوعات ذات الأهمية الكبيرة بالنسبة للطفل .

وفي المقابل **ترتفع نسبة الكتب غير الصالحة بدرجة غير مستحبة ، لأنها تمثل غذاء ثقافياً غير صالح في بعض الأحيان .**

وتقل نسبة الكتب الصالحة للطفل في سن المرحلة الابتدائية رغم وجود صحافة أطفال لهذه المرحلة .

مشكلات خاصة وعامة

●● الناشر السعودي الأستاذ عبد الله الناصر العوهلي ، صاحب « دار العلوم » بالرياض ، تحدث عن مشكلة كتاب الطفل في الوطن العربي كجزء من مشكلة الكتاب العربي قائلاً :

« المشاركة في البحث في حل أو حلول ، قد تكون مجدية لمشكلة يعاني منها كل من يحب الطفل ، وبالتالي كتابه ، أعني مشكلة ، أو بالأصح **مشكلات ، كتاب الطفل العربي** وهي كثيرة ، منها ما هو مشترك مع الكتاب العربي بصفة عامة ، ومنها ما هو خاص بكتاب الطفل .

ولنبدأ بالمشكلات الخاصة وأهمها :

(١) **عدم وجود مؤلف متخصص ،** أو على الأقل متفرغ .

(٢) صعوبة وجود **الرسام المتخصص ،** ودور الرسام في إخراج وتوضيح الفكرة للطفل لا يقل عن دور المؤلف .

(٣) لا يوجد في العالم العربي ـــ على اتساع رقعته وكثرة عدده ـــ أكثر من دار ، أو داري نشر متخصصة بنشر كتاب الطفل العربي ، وهذه مأساة .

(٤) ارتفاع **قيمة كتاب الطفل ،** والسبب قلة العدد المطبوع وارتفاع التكاليف .

قد لا تكون هذه كل مشاكل كتاب الطفل العربي ، لكنها في اعتقادي أهمها .

أما أهم مشاكل الكتاب العربي بصفة عامة وطبعاً كتاب الطفل جزء من الكتاب العربي :

أ ـــ تدني **المستوى الثقافي ،** وبالتالي عدم تقدير أهمية دور الكتاب .

ب ـــ وجود وسائل أخرى تستحوذ على وقت الفرد **كالتليفزيون** مثلاً .

جـ ـــ **جشع التجار** لعدم وجود رقابة على أسعار الكتاب .

د ـــ قليلة هي **شركات التوزيع** المتخصصة ، أو هي شبه مفقودة .

هـ ـــ **الرقابة الشديدة على الكتاب العربي ،** فنحن نجد أن كتاباً يوزع في بلد عربي قد لا يجاز في بلد عربي آخر .

وأنا أعتقد أن المؤلف عندما يفكر بالرقيب ، فإن تفكيره سينشل أو يكاد » !!

مشكلات كتاب الطفل والخروج منها

●● ويقول أحمد نجيب ، خبير الكتاب بالمركز القومي للبحوث التربوية ، ورئيس وحدة المعلومات والنشر بمركز دراسات الطفولة ، وعضو لجنة ثقافة الطفل بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية في مصر :

« الحديث عن مشكلات كتاب الطفل ضروري ، لكنه لا يعني أن الصورة قاتمة تماماً . فالمؤتمرات والندوات والدراسات العديدة ألقت الأضواء ، ونبهت الأذهان ، وأثارت الوعي .. **ومركز تنمية الكتاب العربي** قام بدراسات حول لغة الأطفال وقاموسهم .

والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تقوم بدراسات أخرى في هذا المجال .. **وجامعة القاهرة** تدرس مادة (كتب الأطفال) لأول مرة منذ بداية العام الجامعي الماضي في كلية الآداب

...فل العربي .. شكلاً ومضموناً

(قسم المكتبات) .

وهناك مطابع حديثة أنشئت أخيراً **(مثل مطابع الشروق وغيرها)** ، وهناك ناشرون جدد ذوو خبرة ومقدرة دخلوا مجال نشر كتاب الطفل مثل : **(دار الكتاب المصري ، مكتبة لبنان ، ودار الكتاب العالمي ، ودار الفتى العربي) .**

ولكن رغم كل هذا .. ورغم أن القافلة تسير .. والإنجازات تتوالى على الطريق ... فإني أتشوق إلى الأعمال العظيمة والأحاسيس بأهمية رسالة كتب الأطفال وآفاقها الرحبة .. والرغبة في أن تطوي بلادنا الطريق الطويل طياً لتلحق بركب الزمن .

كل هذا يدفعنا لمزيد من الجهود المكثفة المدروسة ، والمنظمة ، لنصل بمشيئة الله تعالى إلى الأهداف المرسومة في غد قريب يدفعنا أكثر إلى البحث عن المشكلات والمعوقات لوضع الحلول الواقعية والمناسبة لها .. وليس لكونها حلول واقعية ومناسبة فهي حلول سهلة .. وإنما لكونها حلول تحتاج لجهد وعناء وصبر واخلاص ، وهكذا الأعمال العظيمة .. تحتاج دائماً إلى إعداد عظيم .

والكتابة للأطفال ليست عملاً سهلاً ميسوراً .. وهي بحاجة إلى موهبة ، ووعي خاص ، وحساسية مرهفة ، وخبرات طويلة وعريضة ومتنوعة .

ونحن لدينا أكثر من ١٦٠ يكتبون للأطفال .. لكن السؤال هو : كم منهم جدير بأن يكون قادراً على الكتابة للأطفال ؟

وللخروج من مشكلة الكتابة للطفل أقترح :

١ ــ تشجيع الكتابة للطفل مادياً وأدبياً .

٢ ــ إتاحة فرص التفرغ للمجيدين من كتّاب الأطفال وإتاحة فرص الإحتكاك العلمي .

٣ ــ التنقيب عن العناصر القادرة على الكتابة للطفل .

٤ ــ إتاحة فرص التدريب العميق والمنظم لمن لديهم الاستعداد المناسب .

٥ ــ الاستعانة بالترجمة والتعريب .. مع مراعاة ألا يتعارض الإنتاج الأجنبي مع المعايير السليمة لأدب الطفل العربي .

وأيضاً أقترح بالنسبة لمشكلة رسم وإخراج كتاب الطفل :

اعداد : مصطفى عبد الله

١ ــ تشجيع عمليات رسم كتاب الطفل .. مادياً ومعنوياً .

٢ ــ تشجيع عمليات إخراج كتاب الطفل ، وإعطائها وزناً أكبر يتفق مع أهميتها .

٣ ــ اكتشاف العناصر الجيدة القادرة على الرسم والإخراج ، وإتاحة الفرصة لها .

٤ ــ مناشدة دور النشر للقيام بدورها من أجل النهوض بهذا الواجب القومي والإنساني .

٥ ــ إلغاء أو تخفيض الضرائب على العاملين في مجال تأليف ورسم وإخراج وطباعة ونشر وتوزيع كتب الأطفال .

٦ ــ نشر الوعي بأهمية كتب الأطفال بين الآباء والأمهات والكبار بصفة عامة .

٧ ــ تخفيض أسعار الإعلانات عن كتب الأطفال في الصحف والمجلات والإذاعة والتليفزيون .

٨ ــ الاستفادة من عمليات الإنتاج المشترك على نطاق الدول العربية .

ويجب أن نبدأ .. فقد طال بنا الوقوف والدنيا تسير من حولنا .. يجب أن نبدأ من جديد .. فنحن أول من اخترع الكتابة في هذه الدنيا » .

أزمة الكاتب .. والعامل الاقتصادي

●● وننتقل إلى الفنان المعروف حسين بيكار الذي يرى :

« كما كان كتاب الطفل قبل المحاولات الرائدة للأستاذ **كامل كيلاني** ، ضحية لترفع الكتّاب والأدباء عن اقتحام عالم الطفل البريء ، فلم يقبل أحد منهم التنازل للهبوط إلى مستواه ، يناجيه مناجاة الأب لابنه ، ويكتب له ، فتأخر تبعاً لذلك ازدهار كتاب الطفل ، وأدب الطفل في المكتبة العربية ، كذلك كان الحال بالنسبة للفنانين التشكيليين ، الذين كانوا يتصورون أن ملامسة الريشة لغير اللوحة امتهان لقيمة الفن الكبيرة

وإهدار لكرامته ، وحط لمنزلته ، فما بالك بإنزالها إلى مستوى الأطفال .. ! !

وربما كان للعامل الاقتصادي دور في تخلف كتاب الطفل العربي عن ملاحقة زميله في الخارج .

فالناشر يخشى إذا ارتفع سعر الكتاب ، نتيجة لما تتكلفه العناية بمظهره الفني ، أن لا يسد نفقاته ، ولا يعود عليه بالربح ، في حين أنه إذا أضفى عليه لمسة فن ، أو لمحة ذوق لتغير الحال ، ولعاد بالنفع على الطفل والناشر ، وكل المجتمع على حد سواء » .

رسوم كتاب الأطفال

●● كما نلتقي مع الأستاذ يعقوب الشاروني ، عضو لجنة ثقافة الطفل بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، الذي كتب وترجم العديد من قصص الأطفال الناجحة ، ليحدثنا عن رسوم كتاب الطفل ، فيقول :

« عندما يقول طفل في **الثالثة** إنه يقرأ ، فمعنى هذا أنه يتأمل صورة في كتاب ، وهو يعتبر عملية التطلع إلى الصورة **(قراءة)** .. إنه يردد أسماء **الأشياء** التي في **الصور** ، أو يقلد **أصوات** ما بها من **حيوانات .**

وفي **سن الرابعة** تصدر عن الطفل تعليقات تدل على المشاركة الوجدانية لما في الصور « مسكين الولد .. وقع على الأرض .. لا تبك .. » ويجعل الطفل من شخصيات الصور أصدقاء له .

وحتى **سن السابعة** ، تأخذ الكلمات القليلة المكتوبة بحروف كبيرة ، خبراً صغيراً بجوار الصور ، يقرأها الكبير للصغير ، أو يتعلم الصغير قراءتها عندما يبلغ السادسة أو السابعة ، لكن تظل الصور هي البطل الحقيقي لكتب الأطفال .

إن كتب الأطفال تتميز باعتمادها الرئيسي على الرسوم البسيطة ، الملونة ، الواضحة ، والتي تقوم بدور أساسي في جذب اهتمام الطفل ، وفي تنمية تذوقه الفني ، **فإذا كانت كتب الراشدين تعتمد على الكلمة فإن الصور والرسوم تقوم بالدور الرئيسي في كتب الأطفال .**

إن حصيلة الأطفال اللغوية لا تمكنهم من قراءة الموضوعات التي نقدمها إليهم ، بالكلمات ، بينما ينتقل المعنى من خلال الصورة للأطفال في كل الأعمار ، مهما اختلفت اللغات أو اللهجات .

إن الكلمة المكتوبة تستدعي بعض الجهد لقراءتها وفهمها ، في الوقت الذي لا تستدعي فيه الصورة ذلك ، لأن الطفل يجد المتعة في التطلع إلى الصورة مع سهولة فهمها ، وطول فترة التأثر بها ، لأنها تخاطب بصر الطفل وعقله وخياله .

إن الرسوم ليست مجرد عنصر من عناصر إخراج الكتاب ، بل هي مادة حية ، لها قيمتها الجمالية والثقافية الكبيرة قد تفوق المادة المكتوبة في تأثيرها في بعض الأحيان ، خاصة في قدرتها على توضيح كثير من الوقائع والمفاهيم .

والفنان الذي يرسم كتب الأطفال ، لا بد أن يفكر بالصورة ، وهو نفس أسلوب تفكير الأطفال قبل سن الثامنة ، لذلك فإننا نجد كثيراً من كتب الأطفال التي تفوز بجوائز عالمية ، قد رسمها فنانون هم أنفسهم الذين كتبوا نص القصة .. وبذلك استطاعوا أن يضعوا الكلمة في خدمة الصورة ، وليس العكس كما يحدث .

إن الفنانين الذين ينجحون في رسم كتب الأطفال ، لا بد أن يكتسبوا خبرة واسعة وعميقة في كل ما هو متعلق بعالم الطفل ، وأن يعايشوا خيال الأطفال ، وأن يصوروا الحياة من وجهة نظر الأطفال ، وبأسلوب الأطفال في التصور والتخيل .

إن كتب الأطفال ، إذا كانت جيدة الإخراج ، ممتازة التصوير ، متفقة مع حاجات الطفل ، قد تكلف كثيراً ، لكنها أيضاً ستلقى إقبالا كبيراً لما تتيحه للطفل من متعة وتعليم ، وتنمية للذوق الفني ، ورفع لمستواه ، وحفز على انتشار هذه الكتب ، وتشجيع على الاستمرار في القراءة وإثارة الخيال . **إن كتاباً مصوراً جيد التصوير ، جدير بكل الجهود التي تبذل في سبيله** » .

الطفل .. والخيال

●● ويقول الفنان المعروف يوسف فرنسيس في دراسته حول (الطفل والخيال) :

« لاحظت خلال الفترة التي قمت فيها بكتابة ورسم **(مغامرات سندباد)** صعوبة ومسؤولية عملية الكتابة والرسم للطفل بشكل أسبوعي ، واكتشفت خطورة النفاذ إلى خيال الطفل .. إن هذا الباب المفتوح ، والصلة الوثيقة بين المغامرة المرسومة وخيال الطفل ، تستطيع أن تجعل هذا الخيال ينمو ، أو ينحرف ، وهذا الكاتب أو الرسام يحاول أن يستلهم من نفسه الخيط الدقيق الذي يمسكه ، إلى أن مرت سنوات اكتشفت خلالها خطورة هذه القصة » .

تعقيب

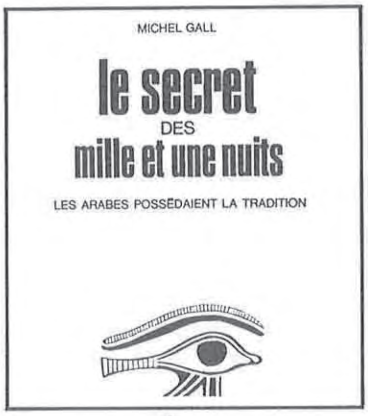
خلاصة هذه الندوة ، أن كتاب الطفل في الوطن العربي ما زال في آخر قائمة اهتمامات المؤلفين ، والناشرين العرب ، إن لم يكن بعيداً عن أذهانهم ، واستمرار الحال على هذه الصورة معناه بحث الطفل العربي عن حاجاته الذهنية في الكتاب الأجنبي بكل ما يتركه من آثار على تفكيره ، وتوجيهه بشكل قد يؤدي إلى انفصاله عن بيئته ، وما يحيط به من مظاهر تختلف كل الاختلاف عما يتلقاه من الكتب المستوردة والمترجمة ، وما يمكن أن تعكسه ردود الفعل الناتجة عن هذا الانفصال .

إننا نتطلع إلى غد نستطيع من خلاله اشباع حاجات الطفل العربي الذهنية ، من خلال عطاءات وطنه العربي الكبير .

رحلة في كتاب

سر ألف ليلة وليلة





تأليف :
ميشيل جال

عرض وتقديم :
د. نعيم عطية

سر ألف ليلة وليلة

يتضمن كتاب «ألف ليلة وليلة» جل حكمة الشرق الأقصى والأدنى، تلك الحكمة الضاربة في أعماق الزمن إلى ما قبل التاريخ . ويعتبر موسوعة شعبية طموح ، تمزج وتلخص في عجينة فريدة وغريبة كل ما تلقاه الفكر الإنساني أو ابتدعه خلال العديد من الآلاف من السنين . كما أن الساحة الجغرافية التي تغطيها «ألف ليلة وليلة» شاسعة تمتد من الأندلس غرباً إلى أندونيسيا شرقاً ، وتصل إلى أعماق الصين شمالا ، وكانت تعتبر قديماً من أبعد مناطق الأرض منالا . وكان الوصول إليها مغامرة محفوفة بالمخاطر .

و «**ألف ليلة وليلة**» مجموعة ضخمة من الحكايات التي كتبت باللغة العربية فيما بين القرنين الثالث عشر والخامس عشر الميلاديين . وقد استقيت الأربعمائة حكاية التي تتألف منها هذه المجموعة من مصادر شديدة التنوع ، فبعضها جاء إلينا من **الهند** ، وبعضها من **مصر** ، وبعضها من **اليونان** ، وبعضها من **بلاد الشام** ، وبعضها من **الجزيرة العربية** . وبعض هذه الحكايات يرتبط بأطر مكانية وزمنية أكثر تحديداً مثل **بغداد** أو **القاهرة** في القرن الثامن الميلادي . على أن البعض الآخر من الحكايات ضارب أطنابه في أساطير موغلة في ظلمات القدم .

وتلقي «ألف ليلة وليلة» ضوءً باهراً على آداب ما قبل التاريخ ، التي ظلت شذرات منها تصارع الفناء وتمتد عبر الزمن متطورة إلى **الآداب الهندية والإسكندنافية والفارسية والسلتية** . وهذه الآداب السابقة عل التاريخ هي بدورها تراث مجتمعات انغلقت على نفسها ، وانتفت لها وسائل الاتصال بغيرها .

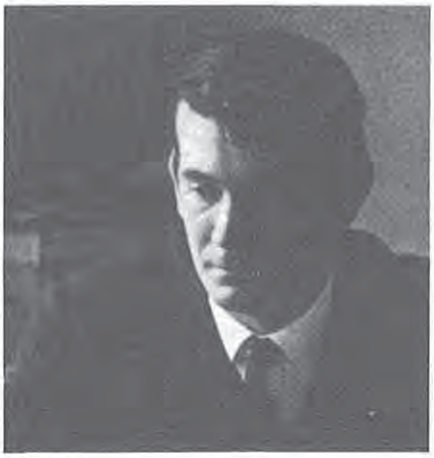
وعلى الرغم من ذلك ، فإن هذه الشريحة الضخمة من المعارف الشديدة التباين ، والمصاغة في صورة مستحبة ومثيرة للفضول ، قد جذبت اهتمام علماء الانثروبولوجيا والاجتماع والميثولوجيا المعاصرين .

ويعتبر البعض من قصار النظر «ألف ليلة وليلة» من كتب العجائب في عصرنا ، وتعنى بالتسرية عن الفكر مما يرق في بعض الأحيان إلى ما يعادل دس الرأس في الرمال مثل النعامة لتفادي رؤية الخطر أو معرفته . وربما رجع هذا الاعتقاد إلى عاداتنا التي هي كما قال المفكر المغربي الكبير **ابن خلدون** (٧٣٢ـ٨٠٨ هـ ، ١٣٣٢ ـ١٤٠٦ م) «لعنة حقيقية» أو هي أحكام مسبقة لا يزعزعنا عنها أي نقاش جاد . على أنه آن الأوان ألا نقتصر في قراءتنا لحكايات «ألف ليلة وليلة» على مجرد طلب التسلية . في ثنايا هذه الحكايات ، مثلما في الحكايات الشرقية بصفة عامة ، حكم ومعارف دفينة تنتظر القارئ الحصيف الذي يكتشفها ويعيد تقويمها .

وقد بذلت جهود حديثة لاكتشاف حكمة الشرق القديم . وقادت هذه الجهود من خلال استجلاء جوهر الفلسفات اليابانية والهندية والعربية ، إلى دفع دماء جيدة وفتية إلى شرايين الفلسفة الغربية التي أصابها قدر كبير من الجمود والتصلب . وكان من فضل الاهتمامات الغربية المعاصرة هذه أن ألقيت أضواء جديدة على حقائق وأسرار في «ألف ليلة وليلة» ظلت خافية من قبل على أولئك الذين بدأوا بقراءة هذا الكتاب الضخم على سبيل التسلية . ولكن لا زال هناك الكثير من الحقائق والأسرار تنتظر من يكشفها . وليس بلازم أن يكون هؤلاء من أساتذة الجامعات المحصورين في دراسة المخطوطات والآداب القديمة ، فإن **ميشيل جال** ، مؤلف كتاب «سر ألف ليلة وليلة» (**الصادر عن دار النشر الفرنسية روبير لافون عام ١٩٧٢ م**) ، والذي نعرضه على هذه الصفحات ، صحفي أسهم طوال عشر سنوات في تحرير مجلة «**باري ـ ماتش**» الفرنسية الأسبوعية . وقد أتاح له عمله هذا إعداد تحقيقات صحفية مستفيضة عن بلدان الشرق الأوسط . وعلى الرغم من أن عمله الصحفي قد حتم عليه أغلب الأحيان التركيز بالأخص على الأحداث الجارية ، إلا أن الحقيقة التاريخية الملتحمة بمآثر الماضي وبطولاته التليدة وغوامضه المثيرة ظلت تستهويه ، وتشغل تفكيره بالمقام الأول . ولهذا فإن ميشيل جال ، قبل أن يؤلف كتابه «**سر ألف ليلة وليلة**» أصدر كتاباً عن «**رحلة يوليس**» البطل الإغريقي الذي تربطه بالسندباد وشائج قربى وطيدة ، فهما من ذات الصنف النادر من الأبطال الذين يخرجون في مغامرات بحرية يشبعون بها طموحهم إلى ملاقاة الغرائب والأهوال ، فينطبق عليهم القول الحكيم بأن من يهلك نفسه يكسبها ، ومن يركب سفين الهلاك غير هياب تكتب له الحياة .

ولا يقصد ميشيل جال ، بمؤلفه «سر ألف ليلة وليلة» أن يقدم دراسة شاملة لهذه الليالي وحكاياتها كلها ، وإنما هو يقف أمام بعض الأساطير والوقائع التاريخية والغوامض المتناثرة في الحكايات الشرقية ، ويبين من خلال وقفاته هذه كم تحتوي هذه الحكايات من معارف مجهولة من حضارات غريبة بائدة .

ويبدأ ميشيل جال ، مؤلفه فيبحث أسطورة السندباد ثم يتطرق إلى **الجن** وديارها وقدراتها ، **وخاتم سليمان** وأسراره ، ثم يحدثنا ضمن ما يحدثنا عنه عن «**مغارة علي بابا**» و «**الحصان الطائر**» و «**الاطلنطيد**» القارة المفقودة التي اندثرت معها كثير من المعارف التي لا زالت تتردد أصداؤها في حكايات ألف ليلة . كما يحدثنا عن **حوريات البحر** ، وعن بعض التفسيرات السيكولوجية التي يمكن أن تعتمد على حكايات من «ألف ليلة وليلة» ويقف ميشيل جال ، وقفة متأنية في مؤلفه أمام شخصية **شهرزاد** وحقيقتها التاريخية . كما يهتم اهتماماً خاصاً بمصدر حكايات «ألف ليلة وليلة» والشكل الفني الذي صيغت فيه .



★ ميشيل جال ★

انتشار ألف ليلة وليلة

وقد ترجمت « ألف ليلة وليلة » اليوم إلى أغلب لغات العالم ، بل وبعض حكاياتها عرفت طريقها إلى « **أدب الاطفال** » وعُرضَ أبطالها للنشئ في صور مبسطة . كما عرفت السينما العالمية طريقها إلى هذه الحكايات ، بل وفيما بين الحربين العالميتين نجد **هوليود** تقيم ديكوراً دائماً لمدينة بغداد في القرن الثامن . وكان من أشهر ما قدمته السينما من قصص ألف ليلة وليلة « **لص بغداد** » للمخرج الكسندر كوردا . ولكن كل هذه التناولات لألف ليلة وليلة تظل بعيدة عن جوهر حكاياتها ومذاقها .

وقد عرفت « ألف ليلة وليلة » نجاحها في بلاد الغرب أول مرة بفضل أديب فرنسي راح يسلي نفسه بترجمة مخطوطة وقعت بين يديه مصادفة . وكان ذلك عام ١٧٠٤ م . وقد كان القراء الفرنسيون آنذاك قد ملوا **مسرحيات راسين التراجيدية** ، وشبعوا من عقلانيتها الجهمة . وراح هؤلاء القراء يتلمسون تسلية في « **حكايات بيرو** » المستهلكة وأدب الرحلات في ذلك العصر . وفي مقدمة ما كُتِبَ فيه رحلات تاجر النسيج **شاردين** وتاجر اللآلىء **تافرنيه** والسفير الإنجليزي **روي** الذي تحدث عن **الهند وايران** . ولكن فجأة انفجرت قنبلة أدبية ، فقد صدرت من دار النشر التي تمتلكها **كلود باربين في باريس** الجزء الأول من « ألف ليلة وليلة » من ترجمة **أنطوان جالان** . وفور صدور هذه الترجمة أصبحت أنجح الكتب وأكثرها رواجاً .

وبعد عامين صدرت للمترجم نفسه سبعة أجزاء أخرى . وقد عبَّر نجاح ترجمة جالان عن يقظة أفكار مختزنة في العقل الجماعي الباطن لمجتمع يختنق من الضجر .

ولم يفتر حماس الجمهور بعد ذلك ، ومضى يطلب المزيد من حكايات ألف ليلة وليلة . وعجز الناشرون عن تلبية الطلب . وعلى عجل ترجم من يُدْعَىٰ **بيتي دي لاكروا** عن الفارسية ما أسماه « **ألف يوم ويوم** » وقد تخاطف الجمهور هذا الكتاب بأجزائه الخمسة ما أن صدرت . **فلجأ الناشرون إلى إصدار ترجمات خاطئة أو مقتبسات ممسوخة لألف ليلة وليلة** . وقد جن جنون الناشرة باربين ، واتهمت جالان بالبطء الشديد . وسارعت إلى إصدار جزءٍ ثامناً من ألف ليلة وليلة تضمنت خليطاً من ترجمات جالان وبيتي دي لاكروا ، فغضب جالان من ذلك ولجأ إلى ناشر آخر ، دون أن يقلل ذلك من نجاح ترجماته ورواجها . ويقول **آلاب برينون عضو الأكاديمية الفرنسية** آنذاك إنه انكب يلتهم مخطوطة الجزء التاسع التي ترجمها جالان على ضوء شمعة أثناء عودته في عربته من **فرساي** .

وما عاد أحد يفلت من سحر « ألف ليلة وليلة » لا في فرنسا وحدها ، بل ولا في غيرها من بلدان أوروبا . فظهرت في **لندن** عام ١٧١٠ م ، ترجمة أولى لألف ليلة وليلة ، وأعقبتها بعد ذلك ترجمات عدة . ولكن الأمر في هذه الترجمات اقتصر في الحقيقة على إعادة ترجمة نصوص جالان الفرنسية . وفي القرن الثامن عشر أيضاً ظهرت ترجمات لكتاب « ألف ليلة وليلة » في **ألمانيا وإيطاليا وهولندة والدنمارك وروسيا** .

على أن ترجمة جالان ظلت أكثر ترجمات ألف ليلة وليلة رواجاً في أوروبا ، وذلك بالرغم من تقليد الطبعات وتزييفها واصدار طبعات لم يأذن بها المترجم .

وقد جُلِبَتْ مخطوطة « ألف ليلة وليلة » إلى أوروبا بفضل من يدعى بيكار ، وكان ابناً لأسرة فقيرة ذات سبعة أولاد . ولعوزه اشتغل صبياً لدى أحد الصناع قبل أن يأتي لدراسة اللغات الشرقية في **الكوليج رويال بباريس** . وفي عام ١٦٧٠ م ، فتح له الحظ أبوابه ، فقد عينه **نوانتيل سفير فرنسا في اسطنبول** سكرتيراً له . ولما جاء إلى الشرق الأدنى أتقن ثقافته الشرقية ، وعثر على المخطوطة الثمينة التي جلبها إلى باريس .

وقد وجهت إلى ترجمة جالان لألف ليلة وليلة نقداً حقر من شأنها . ويتلخص هذا النقد في عبارة **للدكتور مارد روس** الذي قال : « إنها مثال فريد على ما يمكن أن يخضع له نص من تحويرات عبر عقل مثقف في **عصر لويس الرابع عشر** ، فقد كانت اقتباسات جالان عن كتاب ألف ليلة وليلة الأصلي مكرسة لتسلية البلاط . ومن ثم حرفت النصوص الأصلية لتبدو بصلة إلى الحكايات العربية » .

ولكن ميشيل جال مؤلف « سر ألف ليلة وليلة » لا يوافق على هذا الرأي . ويرى من ناحيته أن لغة جالان كانت قادرة في كثير من الأحيان على أن تنقل توريات « ألف ليلة وليلة » وسحرها ، فقد استطاعت هذه اللغة أن تبقي على الغلالات الرمزية التي تغلف الحكايات في نصها الأصلي . كما أن القرنين التاسع عشر والعشرين عرفا بعد ترجمة جالان ما يقرب من عشرين ترجمة أخرى في أوروبا . وقد راح كل مترجم يتفاخر بأن ترجمته وحدها هي الترجمة الحرفية ، وقد نقلها عن « مخطوطات أصلية » وأشهر هذه الترجمات هي **ترجمات هامير** (١٨٢٣ م) **وهابيشت** (١٨٢٥ م) في ألمانيا . **ولان** (١٨٣٩ م) **وباين** (١٨٨٢ م) في إنجلترا . هذا فضلاً عن ثلاث ترجمات أخرى ثار كثير من الجدل حول صحتها ، وهي **ترجمات بيرتون** (١٨٨٥ م) **ومارد روس** (١٨٨٩ م) وأخيراً **خوام** (١٩٢٥ - ١٩٦٧ م) .

وقد كتب الأديب الأرجنتيني الكبير **جورج لويس بورجيس** ، الذي يعتبر أحد الثقاة في الموضوع ، يقول إن ترجمة جالان هي أسوأ الترجمات جميعاً ، وأقلها أمانة ، وأشدها ضعفاً ، لكنها تمتاز بأنها محببة القراءة ، تبهر القارئ وتثير فضوله ، ومن ثم كانت أكثرها رواجاً .

ولا تتطابق الترجمات ، سواء من حيث الشكل أو من حيث المضمون . والحكايات المروية فيها ليست واحدة . والحكاية التي توجد في إحدى الترجمات لا توجد لزاماً في ترجمة أخرى . وتارة ، نجد الحكاية في إحدى الترجمات قد حليت بتفاصيل مثيرة ، وتارة أخرى نجدها قد حرفت وأضيفت إليها عبارات تفتق عنها ذهن المترجم ، وهو في أغلب الأحيان ينسب ترجمته إلى مخطوطة اندثرت بعد أن فرغ من ترجمتها . ويقول بيرتون متهكماً على مارد روس إنه ترجم مخطوطة خفية ألفها هو بنفسه .

ولا نعرف في الوقت الحاضر - على حد قول ميشيل جال - مخطوطة رسمية لألف ليلة وليلة . وإنما أمكن للمتخصصين أن يعتمدوا على :

أ ـ شذرات من مخطوطات ترجع إلى القرن الخامس عشر مبعثرة في المكتبات العامة .

ب ـ طبعات أولى بالعربية تعرف بالجهات التي صدرت عنها ، فهناك **طبعة كالكوتا** جزء أول صادرة عام ١٨٤١ م ، **وطبعة بولاق** صادرة عام ١٨٣٥ م ، وطبعة كالكوتا جزء ثان صادرة عام ١٨٣٩ م .

جـ ـ تصويبات لبعض الحكايات استقاها جالان شفاهة من راهب حلبي يدعى **حنا** ، ولم تتأكد هذه التصويبات بأي مصدر آخر .

ويقرر مؤلف الكتاب الذي نعرضه ، ميشيل جال ، أنه استند في دراسته على ترجمات كل من جالان ومارد روس وبيرتون ، كما استند إلى ترجمة بيتي دي لاكروا ، وإن كانت تحمل عنواناً آخر هو « ألف يوم ويوم » كما تقبّل بلا اكتراث إشارات كل من المترجمين حتى لو كانت متضاربة . ويعترف بأنه لم يعتمد في هذا الشأن إلا على المنطق ، وكذلك بالنسبة لأصالة النصوص التي استخدمها . ولم تكن هذه مشكلة جديرة بالوقوف عندها ، فقد قرر أن ما من معلومة عن أي أسطورة أو غامضة من الغوامض يجدر رفضها ابتداء . لقد بدت « ألف ليلة وليلة » لميشيل جال كغابة ضخمة وجب أن يقتحمها ، وليس كحديقة منسقة قام بتخطيط ممراتها وأحواضها أديب محنك في صنعته ، ومن ثم أراد أن يشق لنفسه طريقه في قلب الغابة المظلمة المترامية الأطراف . وقد استعان في ذلك بشتى السبل .

وقد جعلت ترجمة مارد روس الرجفة تدب في قلب الكثير من النشء ، فهي ترجمة جريئة بكل معاني الكلمة . وقد كان الدكتور مارد روس متزوجاً من شاعرة مشهورة في عصرها . وقد أَلِفَتْ أن تضيف من عندياتها إلى ما كان يترجمه زوجها ، وقد طبعت الترجمة بلمسة شعرية لم يكن يعرفها النص الأصلي . ولكن في كثير من الأحيان أيضاً دفعت ببعض حكايات الحب إلى دروب زلقة . وبالإضافة إلى ذلك فقد عمد مارد روس إلى إعادة تشييد بعض الحكايات مازجاً بينها في صياغات جديدة غير متفقة مع حرفية النص الأصلي . ولكن على الرغم من كل ذلك ، فقد جاءت ترجمته سائغة ، كما احتوت حكايات لم تتضمنها ترجمة جالان السابقة عليها .

أما الترجمة الإنجليزية التي أجراها بيرتون ، فهي أكمل وأكثر دقة . وكان بيرتون شخصية فريدة . عمل ضابطاً بالجيش البريطاني وخدم في الهند . كما عاش في إفريقيا الاستوائية وزار شبه الجزيرة العربية . وكان



يتحدث اللغة العربية الفصحى وبعض لهجاتها العامية . وقد استلفتته على الأخص في حكايات « ألف ليلة وليلة » تلك البهجة بالحياة التي تتفجّر فيها . ومما يجعل ترجمته جديرة بالاهتمام ــ على حد قول **نيكتيا اليسييف** أحد الدارسين المحدثين لألف ليلة وليلة ــ تلك التعليقات الانثروبولوجية والأخلاقية التي ذيل بها ترجمته . ويقول **جورج لويس بورجيس** عن ترجمة بيرتون « في عام ١٨٧٢ م ، في تريستا في قصر حافل بالتماثيل الباردة وتحف أخرى عطنة ، أخذ رجل مهذب زينت وجهه ندبة إفريقية ــ هو الكابتن ريتشارد فرانسيس بيرتون القنصل الانجليزي ــ أخذ على عاتقه ترجمة كتاب ألف ليلة وليلة ترجمة صارت عملاً ذائع الصيت . وقيل إن هذا الرجل كان يتكلم بطلاقة خمساً وثلاثين لغة منها السامية والهندية والحبشية . وفي الخمسين من عمره كان قد اختزن كثيراً من الخبرات والنوادر . وقد أودع بيرتون كل ذلك في تعليقاته وهوامشه » .

وأخيراً صدرت ، وعلى وجه التحديد عام ١٩٦٩ م ترجمة جديدة لألف ليلة وليلة بقلم **رينيه خوام** ، أحد كبار المستشرقين الفرنسيين وخبراء الأدب العربي . وقد أخذ على عاتقه أن يقدم ترجمة حرفية وكاملة لألف ليلة وليلة . وقد تحاشى أن يكدس ترجمته بتفاصيل عقيمة مؤثراً أن يلتزم الأصول السليمة للأدب الروائي . وقد قسم خوام ترجمته لألف ليلة وليلة إلى أربعة أجزاء أطلق على **الجزء الاول** « نساء مرموقات وخدام مغازلون » وعلى **الجزء الثاني** « قلوب قاسية » وعلى **الجزء الثالث** « حكايات اللصوص » وعلى **الجزء الرابع** « حكايات الحكمة » وهذا التقسيم وعناوينه من ابتداع خوام . وقد أدرج المترجم ترجمته شروحاً ربما كان أهمها تلك التي تتكلم عن المجتمعات السرية لدى العرب في العصر الوسيط . وهي شروح تفتح للقارىء ـ على حد قول ميشيل جال ـ آفاقاً مثيرة .

وقد كتبت « ألف ليلة وليلة » فيما بين القرنين التاسع والخامس عشر . ولكن الحكاية المحورية ، **حكاية شهرزاد والملك شهريار** ، وأيضاً بعض الحكايات الأخرى ترجع إلى مصادر تاريخية أقدم من ذلك .

وفي كتاب « الفهرست » لمحمد بن إسحاق النديم (المتوفى عام ٣٨٥ هجرية) نقرأ أن أول من ألفوا الحكايات ، وكرسوا لها كتباً هم الفرس . وقد بلغت هذه الحكايات قمتها كفن في ظل **ملوك الدولة الساسانية** . وكان أول الكتب المؤلفة في هذا المضمار بعنوان « **هزار افسان** » أي « ألف حكاية » والحكاية المحورية لهذه الحكايات الألف حكاية شهرزاد والملك شهريار . ولئن كان كتاب « هزار افسان » قد اندثر ولم يعد له وجود ، إلا أنه ليس من المستبعد أن تكون حكاياته الألف قد دخلت كلها أو أجزاء منها في « ألف ليلة وليلة » ، ولا بد أن حكاية شهرزاد التي وردت في « هزار افسان » كانت قد ترجمت من **السنسكريتية** إلى **الفارسية** في عهد **كسرى الاول** الملقب بالملك **أنوشروان** .

وتعتبر الرواية المسلسلة التي تعتمد على حكاية أصلية تركب عليها عدة حكايات فرعية خصيصة هندية قديمة ، كما نلتقي بها كثيراً في نصوص موغلة في القدم في الآداب الهندية . وفي كتاب « **خمسة وعشرون حكاية عن الغيلان** » نجد شخصاً مهدداً بالموت ، لكنه يفلت منه في النهاية ، بأن يمضي يحكي لرفيقه القاتل حكاية تلو حكاية .

ويحكي « **كتاب الحكماء** » الذي ترجم من الهندية إلى العربية في



القرن العاشر حكاية أمير تلقى الحكمة على أيدي سبعة حكماء . وينبيء أحد هؤلاء الحكماء تلميذه الشاب أنه وفقاً لما تقوله النجوم سيلقى حتفه لو فتح فمه بكلمة في الأيام السبعة التالية . راحت زوجة أبيه تلاحقه بإغراءاتها كي توقعه في حبائلها ، فلما أعيتها الحيل ، اتهمته مغيظة لدى أبيه بأنه راودها ، فأمر بقتله . وعمد الحكماء السبعة إلى تأخير توقيع حكم الإعدام على الأمير سبعة أيام بأن راح كل منهم يحكي للملك كل يوم حكاية ، حتى استطاع الأمير الشاب أن يفلت من قدره ، ويفتح فمه في اليوم الثامن ويدافع عن نفسه مثبتاً لأبيه براءته .

ولا يجدر الاستهانة بمبدأ الحكايات المسلسلة أو المتراكبة التي تنجي من الموت . إنها انحناءة اكبار وتكريم من جانب الرواة أمام سلطان الكلمة وقدرتها على اتيان فعل . وقد عرف رواة الحكايات في « ألف ليلة وليلة » ذلك فعنوا بحكايتها .

ومنذ **شكسبير** قامت في الغرب فلسفة مؤداها أن الكلمات ليست شيئاً بالمرة ، بل هي مجرد كلمات ، مجرد أصوات تصدر من الفم عندما يلوكها اللسان . أما بالنسبة لرواة حكايات ألف ليلة وليلة فإن أول ما يرغبونه هو أن يقولوا للجمهور عكس ذلك تماماً . ومن هنا أيضاً يحاولون أن يكسبوا مكانتهم لدى الجماهير . إن الكلمة في نظرهم ذات قوة خاصة بها ، وقدرة على تحقيق أشياء كثيرة وجديرة بالاعتبار . إن الكلمة قادرة على أن تنجيك من الموت ، أن تربطك بالآخرين ، تجعلك تابعاً لهم أحياناً وسيدهم أحياناً أخرى ، إنها يمكن أن تأتي بالأعاجيب ، بل إنها يمكن أيضاً أن تكون طلسماً أو صيغة سحرية ، مثلما حققته عبارة « **افتح ، يا سمسم** » في حكاية علي بابا ، فإن الخطأ في كلمة من هذه العبارة أو اغفالها جعل باب المغارة ، بل باب الحظ والمصير كله لا ينفتح .

إننا في حكايات « ألف ليلة وليلة » لا نلتقي بمستمع واحد يقول : يا للسخف ، إنها مجرد خرافات . بل على العكس ، فالأبطال كلهم — وفي مقدمتهم شهريار نفسه — أصاخوا السمع ، وأولوا الحكايات التي رويت لهم اهتمامهم كله . وبلا تردد انصرفوا عن مجرى حياتهم العادية كي يصغوا .

وفي إحدى حكايات « ألف ليلة وليلة » وهي « **مغامرات حسن البصري** » نتبين الأهمية الفائقة التي يمكن للملك أن يوليها لحكاية . ففي هذه المغامرات نجد الملك يرتضي أن يغادره وزيره المفضل ويبعد عنه مدة عام ، إذ أرسله يجوب العالم بحثاً عن حكاية جديدة تشنف أذنه الملكية . فإذا أخفق الوزير في تحقيق مهمته فإن عنقه سيطاح بها . ومن ثم كانت متعة الاستماع إلى حكاية بديعة تعلو على ممارسة مهام الحكم .

وتعد هذه الحكاية تقليداً لما ورد في الفصل الأول من كتاب « **كليلة ودمنة** » الذي يعتبر كما سنرى مصدراً من مصادر « ألف ليلة وليلة » . والملك في « كليلة ودمنة » هو الملك الساساني كسرى أنوشروان (الذي عاش بين عامي ٥٣١ و ٥٧٨ بعد الميلاد) وقد كلف طبيبه **برزويه** أن يذهب إلى الهند باحثاً عن كتاب سمع عنه . وقد استبدت به الرغبة في قراءته حتى أنه فقد القدرة على النوم . يسافر برزويه المسكين إلى الهند لكنه يضطر إلى سرقة الكتاب ، إذ كان سلطان الهند يحتفظ به في المكتبة الملكية ، ولا يسمح بخروجه منها ، فقد اعتبرت حكايات الحيوان التي يحتويها هذا الكتاب أسراراً حربية . وعندما يعود برزويه من رحلته مظفراً يُسرُّ كسرى بذلك كثيراً حتى إنه يبسط أمام طبيبه كنوزه وثروته ، ويطلب منه أن يغترف منها ما يشاء . نرى إذن أكبر ملوك الشرق مستعداً أن يهب مملكته لقاء حكاية . لكن الحكيم برزويه يعتذر عن قبول عطية كسرى ، ويكتفي بأن يطلب من كسرى أن يأمر مؤرخيه أن يكتبوا قصته ، قصة هذا الطبيب الموهوب المتواضع . إنه يرفض المال ، ويفضل أن ينقد أجره كلمات يحفظها التاريخ عنه .

وبعد أن أوضحنا ذلك ، فليس للقارىء أن يعجب إذا ما التقى في حكاية من حكايات « ألف ليلة وليلة » ببطل يفقد فجأة شهيته ، ويترك نفسه تذوي من شدة تعلقه بحبيب وصفت له محاسنه ببضع كلمات أشعلت نار حب لا يقاوم في قلبه . كانت الكلمات أشد وقعاً من الصورة المرئية ذاتها . وإن الأذن تعشق قبل العين أحياناً .

إن للكلمات سلطاناً فعالا . إن كلمة سُمِعَتْ عن جمال صبية قد تجعلك تتيم بها حباً . إن كلمة تُنْطَقُ أمام صخرة يمكن أن تفتح لك



كنوز الأرض كلها . وكان رواة الحكايات العربية يعرفون ذلك أكثر من غيرهم . ويرى ميشيل جال في كتابه «سر ألف ليلة وليلة» من ذلك كم هو أصولي في الشرق فن القول والرواية .

كان الكتاب الذي سرقه برزويه من الهند «**حكايات الحكيم بيدبا**» وقد ترجم **ابن المقفع** هذا الكتاب إلى العربية في النصف الأول من القرن الثامن . وقد كانت هذه الحكايات وحكايات **الحكيم الإغريقي ايسوب** (ما بين القرنين السابع والسادس قبل الميلاد) المصادر التي استقى منها الشاعر الفرنسي **لافونتين** (١٦٢١ـ١٦٩٥م) حكاياته التي صاغها شعراً . وقد ترجمت «كليلة ودمنة» اليوم إلى ما يربو على ستين لغة . وقد جلب هذا الكتاب إلى أوروبا بواسطة **الصليبيين** .

ويُروَى عن حكايات كليلة ودمنة أنها أُلِّفت لملك الهند الذي خلف **بوروس الملك** الذي هزمه **الإسكندر الأكبر** في القرن الثالث قبل الميلاد . على أن بعض الباحثين يرجعون أصول هذه الحكايات إلى ما قبل ذلك بكثير . فإن إحدى حكايات بيدبا المعروفة ، وهي حكاية الاسد والفأر ظهرت على بردية ترجع إلى عصر **رمسيس الثالث** (من ١٢٠٠ إلى ١١٦٦ قبل الميلاد) وهذه البردية محفوظة في **متحف ليدن** . ويقول هؤلاء الباحثون إن حكايات الحيوان تعتبر من أول ما أبدعته يقظة الضمير الإنساني . وقد كتبت **بـالهيروغليفية والمسمارية** قبل أن تنتقل إلى اللغة السنسكريتية .

وتنتهي كل من حكايات «كليلة ودمنة» بما مفاده أن عليك ألا تفعل هذا أو ذاك ، وإلا أصابك مثل ما أصاب المجنى عليه في الحكاية . وكل حكاية من حكايات «ألف ليلة وليلة» تنتهي على نحو مشابه ، فهي تنتهي بما مفاده أن ما قيل لا يعتبر شيئاً إذا ما قورن بما سيرد قوله .

وهذه الطريقة التي تربط حكاية بأخرى ، سواء في «كليلة ودمنة» أو «ألف ليلة وليلة» ، ليست قاصرة على حكايات كل من هذين الكتابين ، فإننا نلتقي بها أيضاً في كتاب «**حكايات الببغاء السبعون**» ، وهو مجموعة من الحكايات الهندية الفارسية حيث نجد ببغاء تعوق زوجة شابة عن الذهاب إلى موعد غرامي . في الساعة التي تتأهب فيه للخروج يستوقفها الببغاء ليحكي لها حكاية تدين الخيانة . ويبدأ الببغاء بقوله مخاطباً الزوجة الشابة : سأتركك تخرجين يا أختاه على شريطة ألا تفعلي ـ مثلاً ـ كما فعل ملك دمشق الذي قتل بإهماله صقره المفضل ، فجلب على نفسه سوء الطالع ، ولكن ندمه المتأخر لم يجده شيئاً . فتسأله السيدة الشابة : أيا رفيقي ، كيف حدث ذلك؟

وفي **الصين** أيضاً نلتقي بالطريقة ذاتها في كتاب بعنوان «**سي-يو-كي**» وهي رواية خلابة يحكيها «**وشينجين**» وترجع أحداثها إلى القرن التاسع . وكل فصل منها ينتهي بعبارة مفادها إذا كنت تجهل ، أو كنت تريد أن تعرف ، كيف ـ على سبيل المثال ـ عاد الإمبراطور إلى الحياة اقرأ إذن الفصل التالي .

وفي كل العصور التي ذكرناها نجد شخصية تقنع أخرى بأن تمضي في عمل أو أن تكف عن عمل بإيقاظ اهتمامه بالموضوع المتحدث عنه . وبفضل ذلك فإنه سوف ينقذ حياته ، أو شرف شخص آخر ، أو وجوده ذاته ، وذلك كما في حكايات الكتاب الصيني المذكور .

ومن الواضح أن هذا الأسلوب يكتسب قيمة أكبر عندما تُحْكَى هذه الحكايات شفاهة . وتصدق بذلك النظرية القائلة بإن وسائل الطباعة الحديثة قد أضعفت كثيراً من حيوية أسلوب الحكاية القديم .

وقد كتب **محمد بن إسحاق** يقول إن أول من كان يقضي لياليه يتسامر هو **الإسكندر الأكبر** ، وقد حوط نفسه بأشخاص كان يروق له الاستماع إلى أحاديثهم ، وكانوا يحكون له الحكايات وما كان يسعى بذلك إلى مجرد التسلي بها ، بل كان يريد أن يحفظها عن ظهر قلب والاحتفاظ بها ، ولهذا فإن الملك الذي جاء من بعده أمر بكتابة «هزار افسان» .

ومن الصحيح أنه في القرن الثالث قبل الميلاد عندما استطاع الإسكندر الأكبر أن يمضي بانتصاراته وفتوحاته من **الدردنيل** إلى الهند حاول أن يستوعب الثقافات الشرقية ، وألا يترك شيئاً منها للضياع . وبذلك يمكن أن نتصوره واحداً من الذين مهدوا الطريق لتشييد «ألف ليلة وليلة» .



على أن الأربعمائة حكاية التي يتألف منها كتاب « ألف ليلة وليلة » حالياً ، لا ترجع كلها إلى أيام الإسكندر الأكبر . ويقسم المتخصصون هذه الحكايات إلى أربع طوائف :

- الأولى : **حكايات هندية وفارسية .**
- الثانية : **حكايات عربية قديمة سابقة على ظهور الإسلام .**
- الثالثة : **حكايات بغدادية .**
- الرابعة : **حكايات قاهرية .**

ويرى ميشيل جال ، في كتابه « سر ألف ليلة وليلة » أن هذا التقسيم لا يشفي غليل القارئ ، حيث إنه من ناحية ، فإن المصدر التاريخي الذي ترجع إليه الحكاية لا تتوافق مع الصياغة التي صيغت بها ، فإن المادة التي تتألف منها حكاية هندية يمكن أن يعاد روايتها على أنها قد جرت أحداثها في بغداد مثلاً .

ومن ناحية أخرى ، فهناك أيضاً حكايات ـــ وإن بدت قليلة ـــ تركية وأرمنية وإغريقية ، وغير ذلك . ومن ثم يقترح ميشيل جال ، في كتابه ، تقسيماً جديداً مؤداه التفرقة بين :

★ أ ـــ حكايات مستقاة عن أساطير بدائية ، تضرب في ظلمات الأزمان السحيقة .

★ ب ـــ حكايات أخلاقية أو شعرية .

★ جـ ـــ حكايات تجد مفاتيحها في أحداث تاريخية .

ويؤكد ميشيل جال ، أن ما من حكاية من حكايات « ألف ليلة وليلة » جاءت من العدم . وكلها تنحدر عن حقائق هي في بعض الأحيان بالغة العمق شديدة التعقيد . فهذه الحكايات تحيك خيوطها حول أصوليات يفرزها عقلنا الباطن الاجتماعي . وهي بالنسبة لمن يعرف كيف يقرأها ويفهمها شذرات من عالم ضخم من المعرفة غلفها ظلام النسيان أو الضياع . أو بعبارة أخرى إنها الوجه الجلي من جبل جليدي عائم .

وليست حكايات « ألف ليلة وليلة » ـــ على ما ذهب البعض ـــ حكايات ماجن أو مهزار . وليست خرافات لا سند لها من الحقيقة ولا طائل من ورائها ، بل هي أسرار مطوية شديدة الاقتراب منا ، والالتصاق بذواتنا الحقة . كل ما فعله الحكاة العرب أنهم ضخموا بعض الأحيان من الظواهر حتى برزت مهولة أمام عيني القارئ ، كما نسجوا بعض الأحيان أيضاً حولها حواشٍ وزخارف بدت معها أكثر غنائية وشجنية ،

وبإمكان كثير من علماء النفس ـ على سبيل المثال ـ أن يكتشفوا في حكايات « ألف ليلة وليلة » الجذور الأولى لعديد من نظرياتهم أو تطبيقات غير متوقعة لتأكيداتهم .

ويخلص ميشيل جال في دراسته المستفيضة « لألف ليلة وليلة » إلى أن قلة هي الكتب التي قامت مثل كتاب « ألف ليلة وليلة » بايلاء الكلمة مكانها المرموق ، فإن كل كلمة في هذه الحكايات هي إيماءة . **وليست ألف ليلة وليلة إلا دليلاً على عبقرية الفكر العربي الذي استطاع أن ينضدد من أحجار عادية عقداً فريداً** . وقد عرف **لورنس** في كتابه « **أعمدة الحكمة السبعة** » كيف يعبر عن هذه العبقرية . ولنستمع إليه في هذا المقام يقول : كنا قد أوغلنا بعيداً في سهول رملية بشمال سورية إلى أن وصلنا إلى إحدى الخرائب من العصر الروماني . وقال لي رفاقي إنه بقايا قصر شيده في الصحراء ملك قديم من أجل زوجته . وأضافوا قائلين إن الطينة التي شُيِّد منها زيادة في إثرائها لم ترو بالماء بل برحيق زهور نادرة . وقد راح رفاقي يتشممون الهواء ، ويقودونني من قاعة مهدمة إلى قاعة أخرى مهدمة قائلين « ها هو الياسمين ، وها هو البنفسج ، وها هو الورد » وفي النهاية قادني داهوم قائلاً « تعال شم أحلى عبير » دخلنا إلى قلب الدار . وهناك في مواجهة كوات النوافذ الخاوية على الواجهة الرئيسية استطعنا أن نستنشق نسمات الهواء التي تهب طليقة ، وإن كانت تختلج بلا ضوضاء وهي تلمس الأسوار . قال رفيقي « ها هو أفضل العطور . إنه ليس له رائحة » إن أحلى العطور وأمتعها إذن هو ذلك النقاء الذي يفوق الحواس .

هذا هو الجوهر الحقيقي لألف ليلة وليلة في نظر ميشيل جال ، أحدث من تصدى بالدراسة لهذا الكتاب العربي العريق .

موضوع خاص

لغة الحيوان

بقلم: د. احمد محمد غندور



★ نوع من الفراشات تفرز الأنثى منه رائحة نفاذة تجذب الذكر للتزاوج ★

لغة الحيوان

الإنسان من أرق الكائنات التي تعيش على وجه الأرض ، وله لغة تعتمد على الألفاظ والأصوات ، هذه اللغة هي التي ساعدته على تحسين أحواله ونمو حضاراته عبر السنين . فالكلمة تنقل من المعاني الكثير وتوضح الشيء الغامض المبهم وإن كتبت فإنها تبقى أبد الدهر .

أما الحيوان فإنه إن لم يتكلم كالإنسان فله لغته الخاصة التي تعتمد على **الصوت ، واللون ، والإشارة** وتستعمل كل شيء ، **الومضات الضوئية والتيارات الكهربائية** وحتى **الإفرازات الكيماوية** ... فالحركة لها معنى .. واللون له دلالة .. والصوت له نداء والومضات الضوئية ، والتيارات الكهربائية والإفرازات الكيماوية تدل على الكثير الذي يساعد الحيوان على التواصل مع غيره في البيئة .

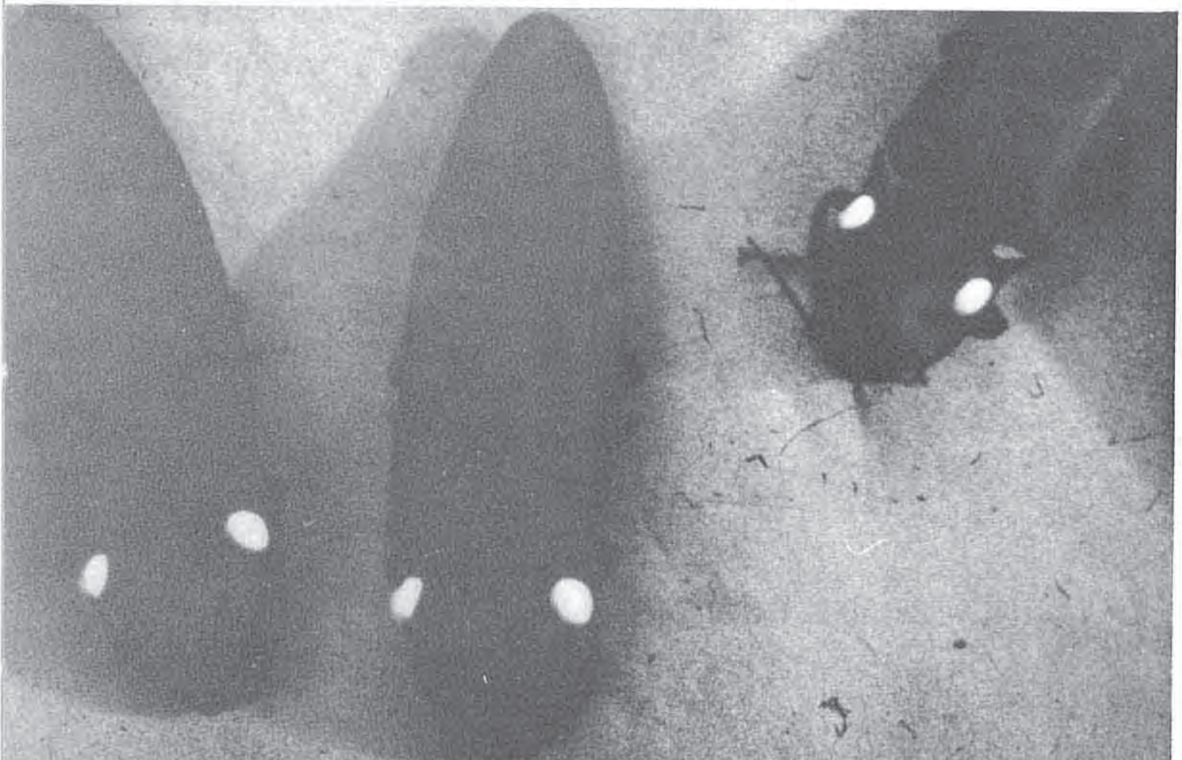
فما هذه اللغة العجيبة ، وهل يستطيع الإنسان حل رموزها وألغازها والاستفادة منها في «مخاطبة» الحيوانات !!

لغة الأصوات

الكثير من الحيوانات يستعمل الصوت كوسيلة للتواصل وقد بلغت هذه اللغة روعتها عند **الطيور ...** فكل نوع من الطيور له غناء وصوت يختلف عن النوع الآخر ، وبالإمكان تعليم الطير **كالببغاء** بعض الكلمات الإنسانية .. وغناء الطيور يخدم عدة أغراض من أهمها فرض السيادة والسطوة على المنطقة التي يسكنها الطير .. والغناء يفيض رقة عند موسم التزاوج كنوع من الغزل بين الذكر والأنثى .. وقد يكون الغناء للتحذير عند ظهور الأعداء أو الاستجداء من قبل الصغار تجاه الكبار .

وأغلبية الحيوانات الفقارية الكبيرة كالذئاب والكلاب والثعالب ، لها نداءات عديدة متباينة تدل على القوة أو الخوف ، أو للتحذير أو الغزل . وقد درس أحد العلماء **لغة الذئاب** وعاش بينهم وفهم هذه اللغة وتعلمها واستطاع أن يسود على مجموعة من الذئاب في إحدى الغابات .

وهذه اللغة توجد أيضاً عند **الحيوانات البحرية** ، فهناك مجموعة من **الأسماك** تصدر أصواتاً عديدة ، إما بواسطة المثانة الهوائية التي تملك العضلات التي تساعد على اهتزازها .. أو بواسطة احتكاك بعض أعضاء



★ خنافس تستعمل الإضاءة البيولوجية للتواصل ★



★ النحلة تمتص الرحيق ، وعندما ترجع إلى الخلية فإنها تقوم برقصة الدوران أو الاهتزاز لإرشاد أفراد الخلية إلى مصدر وكمية الرحيق ★

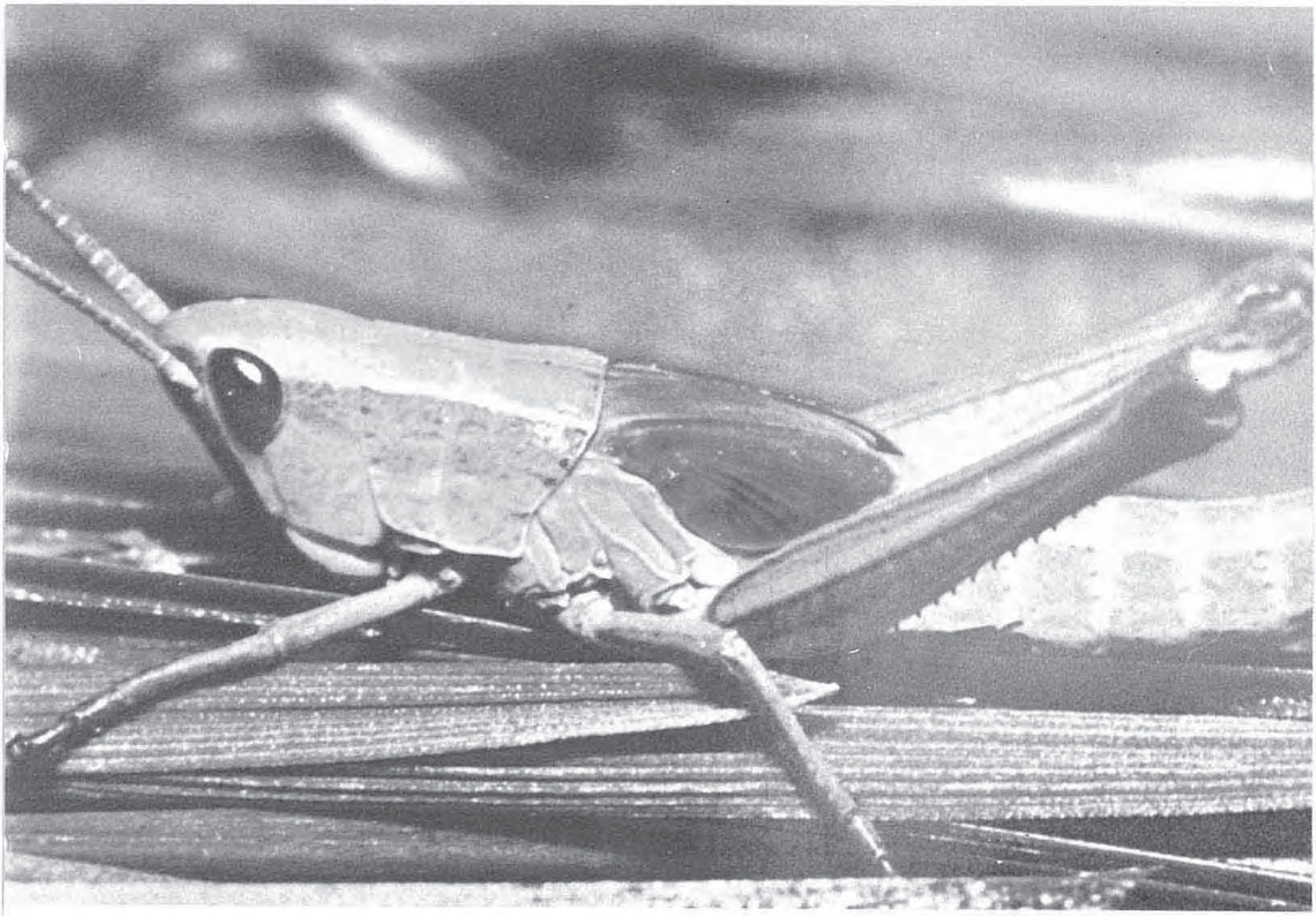
الجسم كالزعانف أو الأسنان .. وهذه الأصوات تساعد في جذب الأنثى للذكر .

أما **الدلفين والحوت** فإنهما من أكثر الحيوانات البحرية التي تصدر أصواتاً ونداءات عديدة لها نفس الأغراض السابقة .. ويتفق الدلفين مع **الخفاش** في أن كليهما يعتمد على **الصدى** لتحسس الطريق والحصول على الطعام ... وحتى **الحشرات** فإنها تعتمد على الصوت للتواصل . وقد درست هذه الظاهرة عند **الجنادب** التي تصدر أغانٍ جميلة بواسطة احتكاك أجزاء من الجسم .. وهذه الموسيقى الحشرية تساعد الذكر في طرد منافسيه من الذكور من المنطقة التي يعيش فيها أو لإغراء الأنثى للتزاوج ... وإن استجابت الأنثى فإنها تطير نحو الذكر وتتبادل معه الغناء ثم يتزاوجا !

لغة الإشارات والألوان

العديد من الحيوانات يستعمل الإشارات والألوان في التواصل .. فلغة الإشارات معبرة وتدل على أدق المعلومات ، والنحل من أكثر الحيوانات التي تستعمل هذه اللغة .. فعند اكتشاف مصدر غني **برحيق الزهر** فإن النحلة ترجع إلى الخلية وتقوم بعدة رقصات تدل على اتجاه ومسافة وكمية الرحيق ... فإما أن تؤدي النحلة رقصة الدوران إن كان الرحيق قريباً ، أو رقصة الاهتزاز إن كان بعيداً ، وكلما كان مصدر الرحيق قريباً من الخلية ، وغني كلما ازداد الرقص حماساً وحركة !! ألا تذكرنا هذه الحركات « **بالرقصات القبلية** » التي يقوم بها أفراد **القبائل في إفريقيا** حيث لكل مناسبة رقصة .. فالحرب والصيد والموت والأفراح كل هذه المظاهر لها رقصات مختلفة !!

وبالإضافة إلى النحل فإن الكثير من **الحيوانات الفقارية** يقوم بحركات تعبر عن « **حالة** » الحيوان ... فملاحظة اتجاه وحركة الذنب عند **الذئب أو الكلب** تدل على حالة الفرح ، أو الخوف ، أو الشعور بالعدوان .



★ الجندب يصدر أصواتا عالية بواسطة إحتكاك الأرجل أو الجناح ★

أما الألوان عند الحيوانات، فهي شبيهة بلغة « **إشارات الأعلام** » التي يستعملها الجوالة وربابنة السفن .. فلكل لون له مغزى ومعنى، وكان العالم الشهير « **داروين** » من أوائل الذين لاحظوا أهمية اللون في التواصل بين الحيوانات . ففي أثناء رحلته حول العالم في سفينة

الأبحاث « **البيجل** » لفت انتباهه الألوان الزاهية الصارخة لدى الأسماك التي تعيش حول الشعاب المرجانية، وقد علق بأن خير الطبيعة في هذه البيئة البحرية كان فياضياً .. وهذه الألوان الصارخة عبارة عن « **الإعلان عن الخطر** »، فكل مجموعة من الأسماك تحتل مكاناً بين

الشُعَب لها لون مختلف عن المجموعات الأخرى وكأنها تنذر « نحن نعيش هنا .. هذه أرضنا فاغرب عنها وإلا فالويل لك أيها الدخيل » وكأنها محارب لبس درعه وحمل سلاحه وخرج إلى الناس يريهم بأسه وقوته ليرهبوه ويتفادوا العراك معه !!

وهذه الأسماك شرسة بالمقارنة مع **أسماك المياه العذبة** التي لا تمتلك هذه الألوان الزاهية !!

وبعض الحيوانات الأخرى يتغير لونها من موسم إلى آخر، فأسماك « **أبو شوكة** » لها لون رمادي أو بني في العادة، ولكن في موسم التزاوج تكتسي بالألوان الرمادية الخضراء على الظهر، وأحمر جذاب على البطن .

والطيور مشهورة بأنها « ترتدي » الريش الجميل الملون أثناء موسم التزاوج أو ينمو لها عرف ملون في هذا الوقت، وبعض الحيوانات تخفي اللون ولا تظهره إلا عند الضرورة وذلك بفرد زوائد الجسم المطوية كالزعانف عند الأسماك وجلد الحنجرة عند الطيور والزواحف، ويبدو أنه بالإمكان استعمال لغة الألوان حتى عند الإنسان، فقد حاول مؤخراً

بعض علماء النفس الاستفادة من **لون العين** في شرح نفسية الإنسان ... فكل من يملك عيوناً عسلية أو سوداء فهو شخص صريح، أما الذي يملك عيوناً خضراء أو زرقاء فهو كتوم لا يبوح بالسر أو خبايا نفسه !!



★ سمك القط الكهربائي يصدر تيارات كهربائية تساعده على التواصل مع أفراد نوعه ★

لـغة الضـوء

الإضاءة البيولوجية ظاهرة توجد عند الكثير من الحيوانات البحرية وعدد قليل من الحيوانات البرية كالحشرات .... وهذه الإضاءة إما أن تصدر بواسطة **بكتريا مضيئة** تعيش في جسم الحيوان ، أو بواسطة خلايا خاصة تفرز مواداً كيماوية معقدة . وقد درست هذه الظاهرة عند العديد من الحيوانات واتضح أنها تخدم عدة أغراض منها التواصل بين الحيوانات .

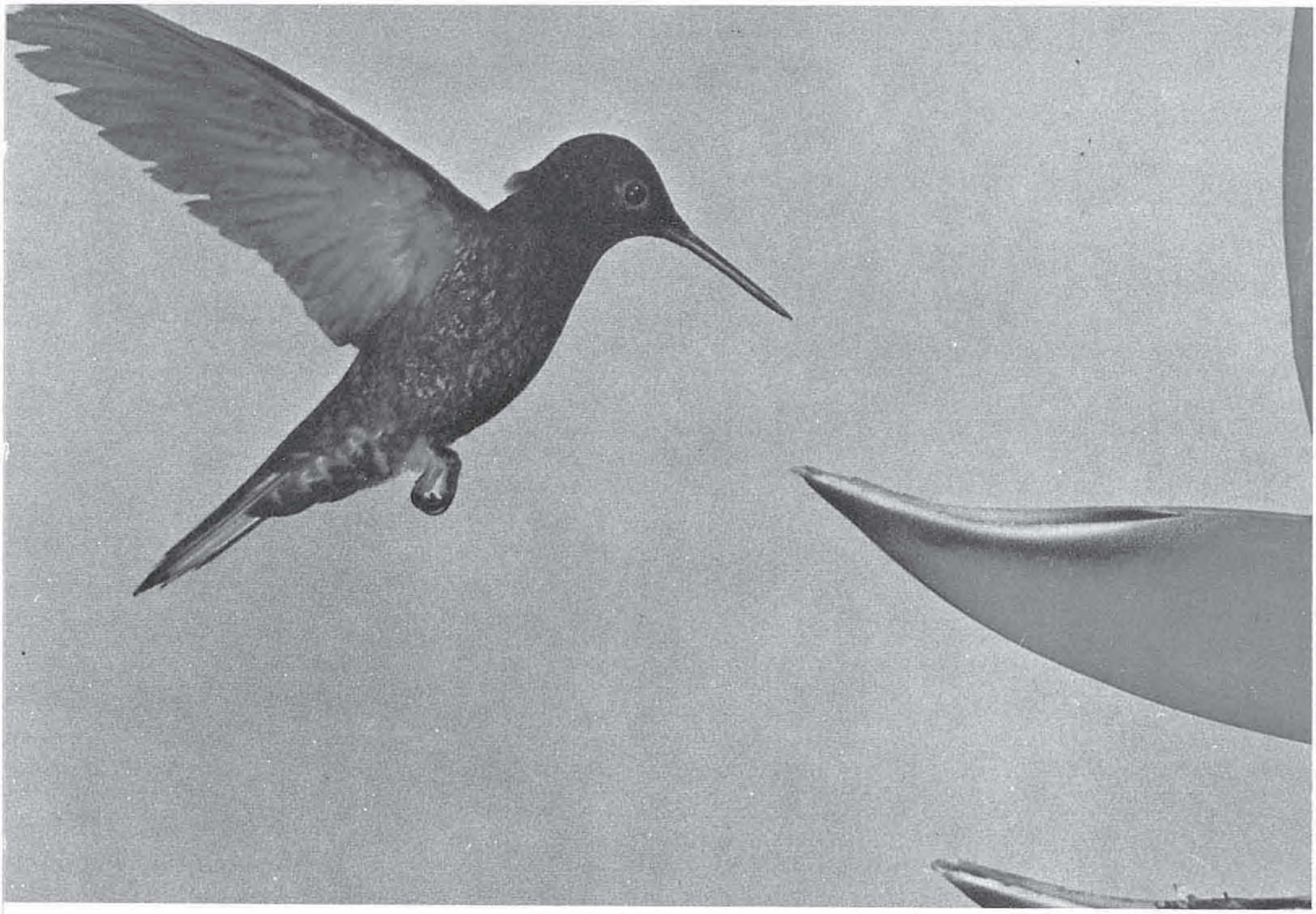
فهناك مجموعة من **الخنافس البرية** تعرف « **بذباب النار الأسود المتوهج** » التي تخرج من جحورها في المساء وترسل الأنثى أو الذكر أو كلاهما ، إشارات ضوئية مستمرة ، أو كل ٢ ــ ٥ ثوان ، وهذه الإشارات تساعد في جذب الذكر أو الأنثى للتزاوج .

أما في **البحار** فظاهرة « **احتراق البحر** » في المساء تسببه مجموعة الحيوانات المضيئة ومنها أنواع من الديدان الحلقية شبيهة بدودة الأرض التي تطفو على سطح البحر في أوقات محددة بأعداد كبيرة ، وهي تتوهج ، كأنها نار تضيء ، ويتم الإخصاب في هذه الفترة الوجيزة !!

اللغة الكهربائية

لاحظ الإنسان من قديم الزمان أن هناك مجموعة من **الأسماك** تصدر **صدمات** شديدة عند لمسها ، لكنه لم يعرف طبيعة هذه الصدمات إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر عندما اتضح أن هذه **الأسماك** تملك أعضاء حسية كهربائية ، وهذه تكون في بعض منها حوالي أكثر من نصف حجم الجسم .. هذه الصدمات الكهربائية قد تكون شديدة تصل إلى حوالي ٦٠٠ فولت وتساعد الأسماك في الدفاع عن نفسها أو الحصول على الطعام .

وقد لاحظ **بروفوسير ليسمن** من **جامعة أكسفورد** أن هناك مجموعة من الأسماك في الأنهار الإفريقية تملك هذه الأعضاء الكهربائية لكنها تصدر تيارات كهربائية بسيطة لا تتعدى ٣ إلى ٧ فولت ... ونفس هذه الأسماك تملك أعضاء تستطيع أن تميز بها أي تغير كهربائي في



★ الطائر الطنان يكتسي "بحلة من الريش الزاهي" أثناء موسم التزاوج ★

مجالها ... وبرهنت هذه الدراسة أن هـذه التيـارات الـكهربائية قـد تستعمل كإشارات تساعد في التواصل بين الأسماك !!

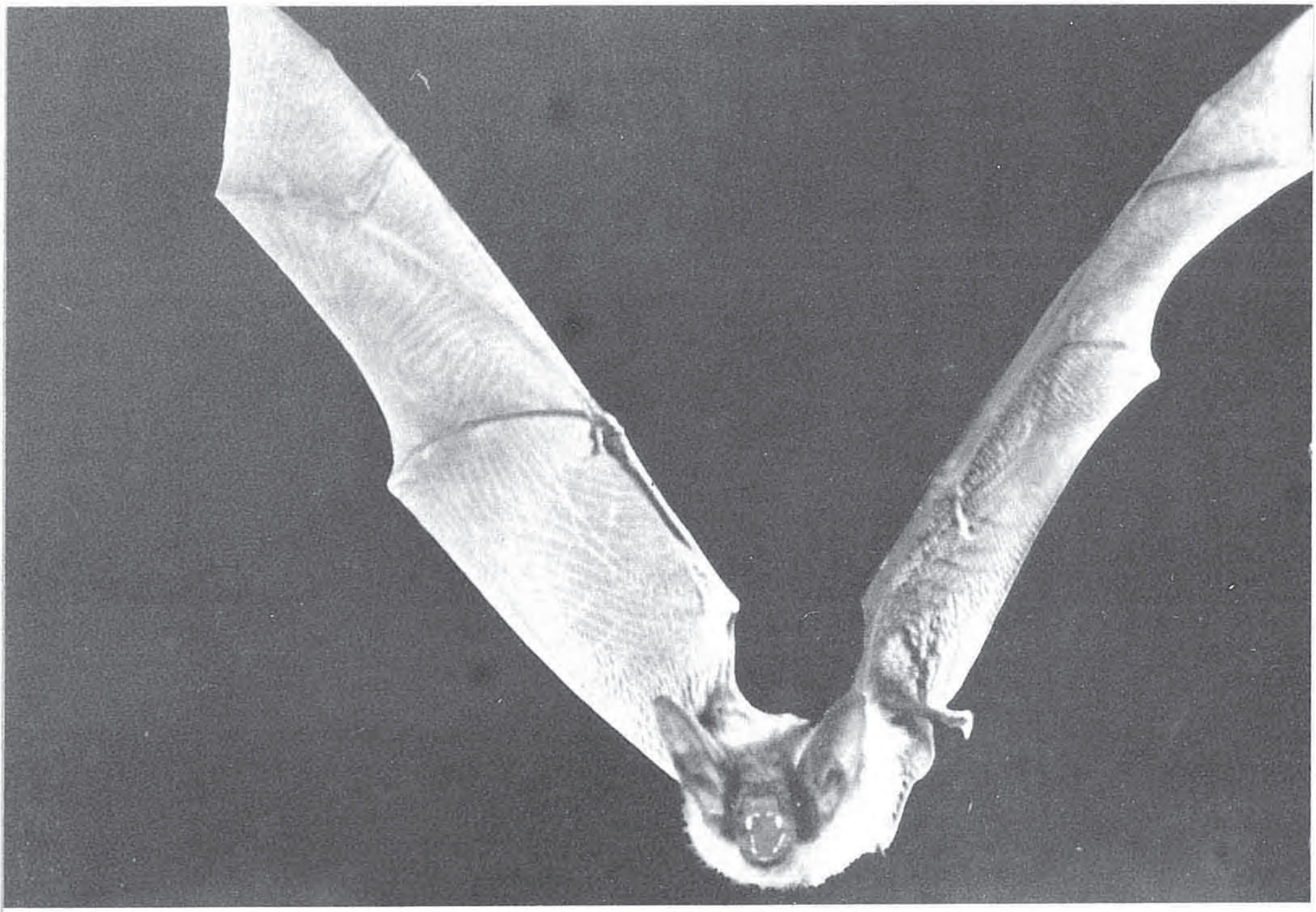
اللغة الكيماوية

أغلبية الحيوانات تفرز **مواداً كيماوية** تستعمل في عدة أغراض منها الدفاع والمحافظة على المقاطعة أو المنطقة التي تعيش فيها .. أو لإنذار باقي المجموعة عن وجود الخطر .. أو للتزاوج .. أو للمساعدة في الحصول على الطعام أو التعرف على الطريق .

أغلبية الحيوانات الفقارية **كالظبي والسنجاب والفأر البري** وحتى **فرس النهر** يفرزون مواداً كيماوية يتركونها على الأعشاب أو الأغصان ، أو يستعملون فضلاتهم للتنبيه عن حدود المنطقة التي يعيشون فيها حتى لا يتعدى عليها غريب .

وقد استغل الحيوان هذه **اللغة الكيماوية** للإنذار عن الخطر ، أو طلب المعونة عند الشدائد ، **فالنمل** له غدد خاصة بالقرب من الفم يفرز بها مواداً كيماوية معقدة لإنذار باقي المجموعة عن الخطر ، **والأسماك** تفرز مواداً مشابهة من الجلد ، أما **الفئران** ، فإن وقع واحد منهم في الأسر فإن رائحة افرازاته وهو في هذه الحالة تبعد جميع الفئران الأخرى عن منطقة الخطر .. وقد بلغت هذه اللغة قمة دورها في التزاوج وجذب الأنثى والذكر ، فأغلبية الحشرات تفرز روائح جذابة وجسمها مليء بالشعيرات والزوائد لالتقاط هذه الروائح من على بعد ، وسميت هذه الكيماويات « **الفيرمونات** » ، لأنها تؤثر على **السلوك الاجتماعي** للمجموعة ككل ، فالنمل عندما يجد مصدراً للطعام فإنه يرجع إلى **الخلية** ، وفي طريقه يترك افرازات كيماوية تجذب باقي أفراد الخلية للطعام ، والذباب له نفس السلوك في الغذاء .

وقد تستعمل الكيماويات للدلالة على الطريق ، فالفئران المنزلية والبرية تترك روائح طوال الطريق للمسكن ، والحشرات كالنمل وبعض النحل يجري في خطوط متساوية كالقطار متتبعاً رائحة الطريق !!



★ الخفاش يتواصل بالصدى ★

إمكانية الاستفادة من لغة الحيوان

لقد ساعد كشف الغاز لغة الحيوان في معرفة الكثير عن الحيوان ، وقد طبقت بعض «مصطلحات» هذه اللغة لصالح الإنسان .. فلغة الإشارات عند الكلب ساعدت على استعمال « الكلب الدليل » الذي يساعد الأعمى في الطريق . وقد طور علماء الإنجليز جهازاً شبيه بجهاز إصدار واستقبال الصوت عند الدلفين لاستعماله للعمي لتحسس الطريق .

أما لغة الأصوات عند الأسماك فإن فهمت وحلت ألغازها فسيأتي يوم يستطيع صيادو الأسماك جذب الأسماك لشباكهم بإدارة شريط موسيقي يحتوي على نداء وصوت الأسماك .

وقد طبق أحد العلماء هذه النظرية بالنسبة **لطيور الزرزور** التي هاجمت الزرع وأفسدت إحدى المدن الأميركية بفضلاتها وازعاجها ، فما كان منه إلا أن سجل نداءات الإنذار عن الخطر عند هذه الطيور ثم أطلق هذه النداءات من خلال **ميكروفون** فما كان من الطيور إلا أن هجرت المدينة بغير رجعة .

أما أكثر مجال يستطيع الإنسان تطبيق هذه اللغة لصالحه فهو بالنسبة للحشرات التي يوجد منها مليون نوع مختلف منها النافع ، لكن منها الكثير الذي يضر بصحة وزرع وبيئة الإنسان .

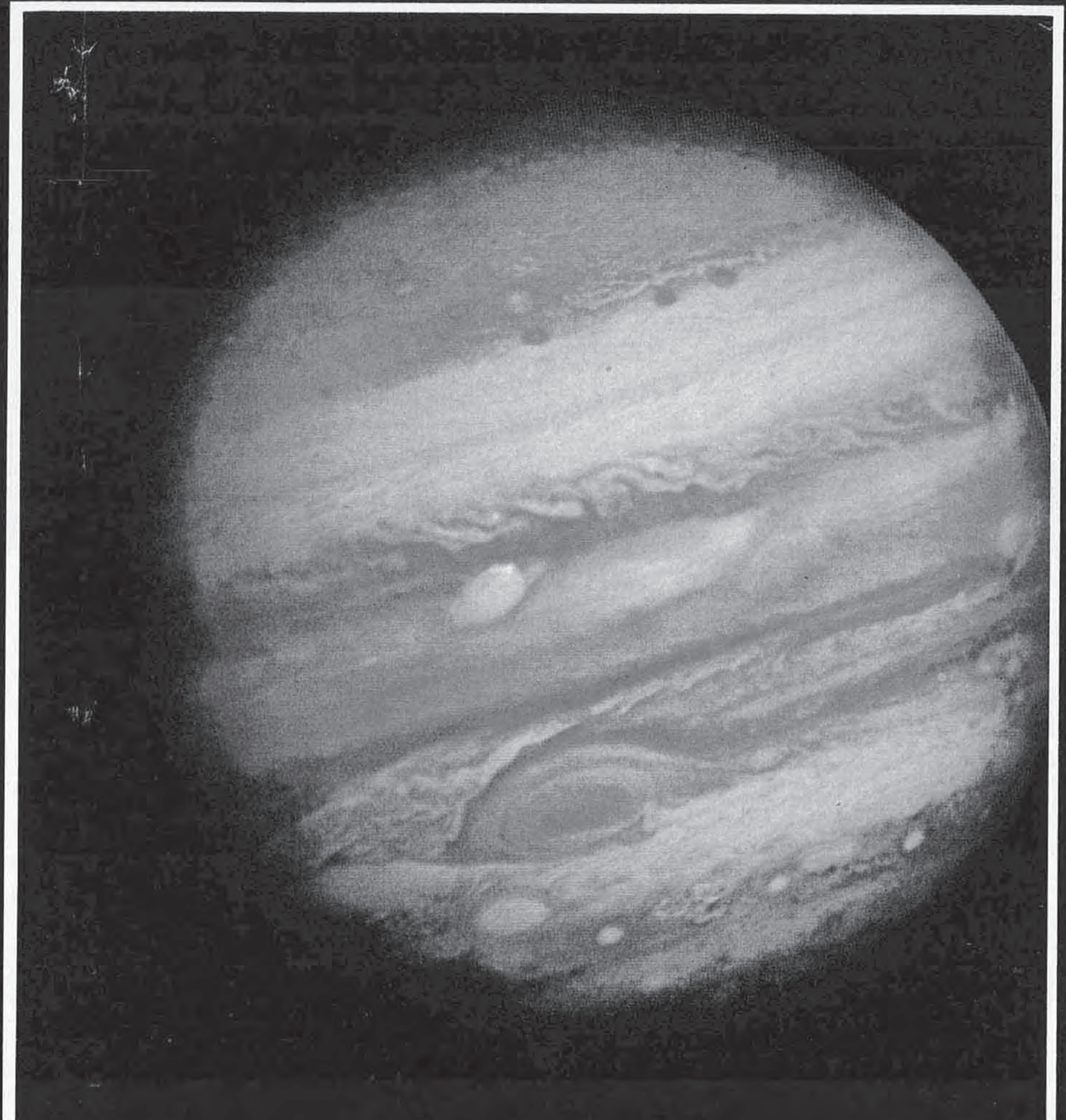
وقد فشلت كل المحاولات الحالية في القضاء التام على الحشرات ، فكل **مبيد كيماوي** له عيوب ، سرعان ما تكتسب الحشرات مناعة ضده .

وأغلبية طرق **المقاومة البيولوجية** إن نجحت في المعمل فإنها قد تفشل على الطبيعة ، أو قد يكون لها آثار ضارة .. فإن فهمت اللغة الكيماوية للحشرات فهماً دقيقاً فسيأتي يوم نرى فيه العلماء يستعينون بافرازات **الجراد** مثلاً لجذب الأسراب الضخمة منه التي تهاجم الدول الإفريقية من حين لآخر وتسبب هلاك الزرع .

وقد نرى في كل قرية في **الأحراش** جهازاً يحتوي على مواد كيماوية تجذب **البعوض وذباب التسي تسي** والحشرات الأخرى الناقلة للأمراض .. وإن تم ذلك لكان هذا أعظم اكتشاف يفيد البشرية كلها !!

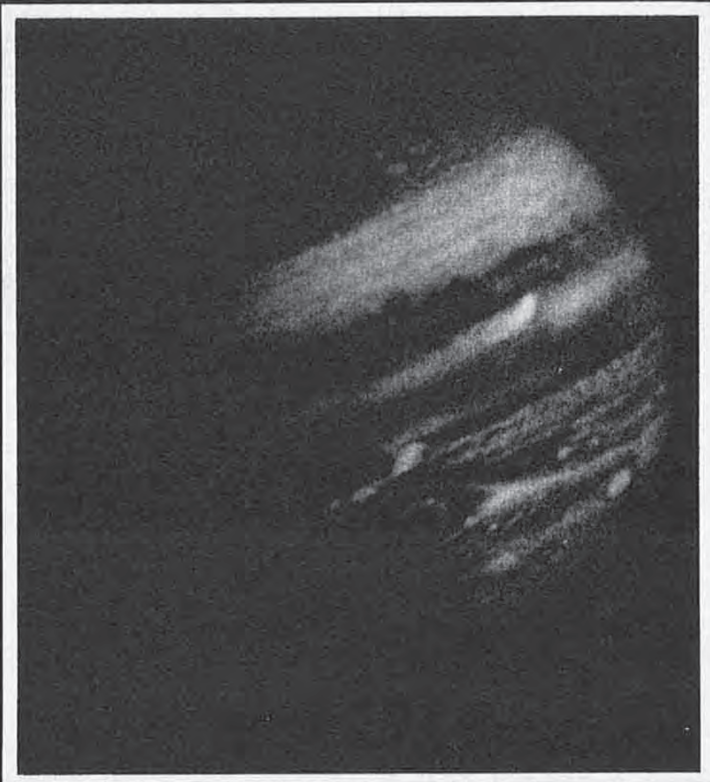
اكتشافات مثيرة

★ شكل (١) ★



حول الكوكب العملاق

بقلم : د . مهندس . مظفر صلاح الدين شعبان ● المهندس . سمير صلاح الدين شعبان





★ شكل (٢) ★

في صيف ١٩٧٧ م ، أطلقت الولايات المتحدة الأميركية المركبة الفضائية فوياجير ١ (أي الرحالة) باتجاه **الكواكب العملاقة في المجموعة الشمسية (المشتري ـ زحل ـ أورانوس)** . ولاستكمال الأبحاث الفضائية عمدت الولايات المتحدة بعد عدة أشهر إلى ارسال فوياجير ٢ ، وقد تم اختيار موعد الانطلاق بغية تجنب اصطدام المركبتين بحزام الكويكبات الواقع بين المشتري وزحل ، وكذلك في هذه الفترة تكون المسافة بين المشتري وزحل صفرية .

والمحطة الأولى في رحلة هاتين المركبتين كانت **كوكب المشتري الذي يبعد عن الأرض ٨٠٠ مليون كم** . وقد وصلت إليه فوياجير ١ في آذار (مارس) الماضي بعد رحلة استغرقت ١٨ شهراً ، ثم تابعت رحلتها إلى (زحل) . بينما وصلت فوياجير ٢ إلى المشتري في تموز (يوليو) الماضي وهي في طريقها إلى أورانوس وربما إلى **نبتون** ، إن حالفها الحظ . وقد أثارت الصور التي أرسلتها كل من المركبتين إلى مخبر المتابعة الأرضي في **باسادينا (ولاية كاليفورنيا بالقرب من لوس أنجلس)** اضطراباً عظيماً في الأوساط العلمية ، فتح طريقاً عريضاً للافتراضات والنظريات العلمية المتعلقة بالمجموعة الشمسية ككل ، وبكوكب المشتري وأقماره التابعة له بشكل خاص .

في هذه المقالة سنقدم عرضاً لأحدث وأهم الاكتشافات والإنجازات التي حققتها هذه الرحلة التاريخية في خطوتها الأولى : كوكب المشتري .

أسـرار كوكب المشتـري

يعتقد العلماء ــ استناداً إلى المعلومات التي أرسلتها مركبتا فوياجير ــ إن المشتري كرة هائلة ضخمة من الغـازات والسـوائل مكـونة ــ بصـورة رئيسية ــ من غازات الهيدروجين والهيليوم ، وأنـه لا يمتلك قشرة صلبة (مثل قشرة الأرض مثلاً) . كما يعتقـد أن **الغـلاف الغـازي** يشـغل سماكة لا تزيد عن ١٠٠٠ كم من كامل نصف قـطر المشتـري البـالغ ٧١,٠٠٠كم (وهذا يعادل نصف قطر الأرض ١١ مرة) .

تتميز الطبقة العليا من جو المشتري بأنها دائبة التغير والحركة ، أي إنها تشبه اعصاراً مستمراً . فهناك مناطق براقة ذات بقع بيضاء ، وأحزمة داكنة ، وهناك مناطق أخرى بنية اللون . وجميعها يتحرك ــ بشكل عـام من الغرب إلى الشرق ، إلا أن بعضها يخالف القـاعدة فيتجه غـرباً ــ بسرعة تقارب ١٠٠ م/ثانية .

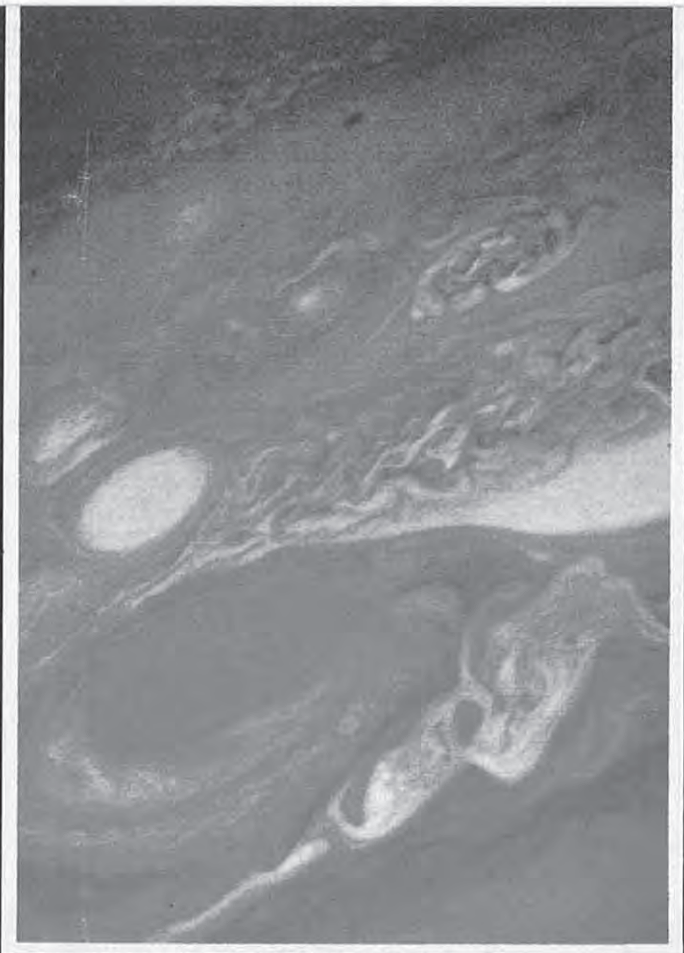
شوهدت في الصور المرسلة من مـركبتي فـوياجير بقـع ذات ألـوان مختلفة ، كلها يظهر ثم يختفي في جو المشتري الـذي يمثل اعصـاراً مـدمراً مستمراً . ولكن لوحظ وجود بقعة كبيرة حمراء اللون تختلف عـن البقع الأخرى بأنها ثابتة لا تتغير ولا تـزول ، علماً أن سـطح هــذه « اللـطخة الحمرا » أكبر من سطح الأرض بثلاث مرات ، إذ يمتد طـولها مـن الشرق إلى الغرب حوالي ٢١,٠٠٠كم . وهي ــ بـدورها ــ عـاصفة مستمرة تتحرك فيها الغازات حركة حلزونية تشبه الزوابع الأرضية العاتية ، حيث تصل سرعة الريح فيها إلى ٣٥٠ ــ ٤٠٠ كم/ساعة .

التقطت فوياجير صوراً ناجحة جداً للطخة الحمراء . وهي تشبه إلى حد بعيد منظر العين البشرية . ومركز هذه العين هـي تلك الـكتل الـتي تدور حول نفسها تحت تأثير ظروف فيزيائية ــ كيميائية تضفي عليهـا لـونها الأحمر المتميز الدال على حيويتها و« بياض العيـن » تمثلـه الـكتل الجـوية الخارجية المحيطة بتلك الكتل الدوارة بشكل اعصـار شـديد . وتقـدر الاستطاعة اللازمة لتحريك هذه الزوبعة الهائلة في قلب اللـطخة الحمـراء بعدة مليارات وات .

تمثل **اللطخة الحمراء** حاجزاً مرتفع الضغط يعيق تدفق الرياح مـن الغرب إلى الشرق ويجبرها على الإلتفاف حوله . لذا شـاهدت فـوياجير ١ إن بعض البقع البيضاء الصغيرة تنساب على حـواف اللـطخة الحمـراء . لكن فوياجير ٢ اكتشفت ــ بعد مرور عـدة أشـهر ــ تشـكل سـحابة ضخمة بيضاء شرقي اللطخة ، مما يؤكد التقلب السريع لجو المشتري .

تمكنت كلتا المركبتين من مشاهدة الـبرق في الجـانب المظـلم مــن المشتري . وهنا يحدث البرق بشكل صـواعق ضـخمة مشـابهة لإحـدى الصواعق التي حدثت على كوكبنـا الأرضي . وهــذا الاكتشــاف بـالغ الأهمية ، لأنه أضاف طاقة الصواعق إلى طاقة الشمس التي كان ينظر إليها في السابق على أنها المصدر الوحيد الذي يمد المشتري بـالطاقة . وبمقـدور هذه الطاقة الإضافية أن تؤثر على الظروف الكيميائية في المشتري مما يؤدي بالنتيجة إلى تغير لونه .

وعلى الرغم من أن جو المشتري يتـكون بصــورة رئيســية مــن



★ شكل (٣) ★

الهيدروجين ، لكن أجهزة فوياجير تمكنت مـن كشـف وجـود غـازات أخرى فيه أهمها **الفحوم الهيدروجينية** (الميتـان والإيتـان والأتيلـين) والنشادر وبخار وفوسفور الهيدروجين .

ويبدو، أن فوسفور الهيدروجين يتفكك بتـأثير الحـرارة المرتفعـة مـطلقاً **الفوسفور الأحمر** فتبدو اللطخة بلـونها الأحمـر الحيـوي . كما كشـفت الأجهزة أن اللطخة أبرد مما يحيط بها بمقدار ٥°م ، وأن درجة حرارة بيئتها يساوي ــ ١١٠°م .

لم تشاهد فوياجير ١ في الجانب المظلم مـن المشـتري صـواعق الـبرق فحسب ، بل **اكتشفت كذلك أقواساً مضيئة يبلغ طول واحدها حوالي ٣٠,٠٠٠كم** . كما كشفت أجهزتها على أقـرب أقـمار المشـتري الكبير ــ أيو ــ بروزاً كروياً ناقصاً من المواد المشحونة كهربائياً . وقد تبين أن بروز **البلازما** هذا يتكون ــ بصورة رئيسية ــ من عنصر **الكبريـت المتأين** .

لكن فوياجير ١ أذهلت الجميع باكتشـافها غير المتـوقع « الحلقـة » المشتري المكونة من الأحجار والأتربة الكونية . وبذلك **أصبح المشتري ثالث كواكب المجموعة الشمسية ــ بعـد زحـل وأورانـوس ــ امتلاكاً للحلقات** . لكن فوياجير ١ لم تشاهد إلا جـانباً صـغيراً مـن هذه الحلقة . لذا صدرت الأوامر إلى فوياجير ٢ لالتقاط مزيد من الصـور لهذه الحلقة عند اقترابها من الكوكب . وقد حالفها الحظ إذ تمـكنت مـن

التقاط جانبي الحلقة في صورة واحدة . وبتحليل الصور تبين أن بُعد الحلقة عن المشتري يساوي حوالي ٥٥,٠٠٠ كم ، وأن سماكتها تبلغ وسطياً ٣٠ كم ، لكن حجمها أصغر من حلقات زحل وأقرب إلى حلقات أورانوس .

أقمار المشتري

يدور حول المشتري ١٣ ــ وربما ١٤ ــ قمراً ، منها أربعة كبيرة تم اكتشافها منذ عام ١٦١٠ م ، وقد كانت هذه الاكتشافات هي الثمرات الأولى التي اقتطفها **غاليليو غاليلي** نتيجة اختراعه للمنظار المقرب . لذا يطلق عليها ــ نسبة إلى مكتشفها ــ اسم « **الأقمار الغاليلية** » . لكنها تمثل حالياً أكثر أجرام المجموعة الشمسية إثارة .. فهي تحتوي على أحدث السطوح وأقدمها ، بالإضافة إلى أنعم السطوح وأكثرها احتواء للحفر والفوهات البركانية ، وقد وجد ذلك كله في « مجموعة شمسية مصغرة » يشكل المشتري قلبها . كما أن النظر إلى أقطار **التوابع الغاليلية** التي تتراوح بين ٣,٠٠٠ كم و ٥,٠٠٠ كم (انظر الجدول) ، يوحي أن كلاً منها ــ حسب التصنيف الفضائي ــ يمثل كوكباً صغيراً . أما **توابع المشتري الصغيرة** فلا تمثل أكثر من كتل ضخمة جداً من الصخور ، حيث لا يتجاوز قطر أكبرها ٢٤٠ كم .

وقد تسنى لمركبتي فوياجير الاقتراب من هذه الأقمار الأربعة الكبيرة حتى مسافات صغيرة جداً . فوياجير ١ اتجهت إلى التوابع بعد أن قامت باستطلاع الكوكب الأم (المشتري) . لكن فوياجير ٢ ــ على عكس فوياجير ١ ــ « داعبت » الأطفال أولا قبل أن تلتقي بالأم العملاقة . وفي أثناء عملية اقترابها من الأقمار الغاليلية وامالتيا وجدت فوياجير ٢ نفسها إزاء ٥ توابع مختلفة عن بعضها البعض بصورة جذرية .

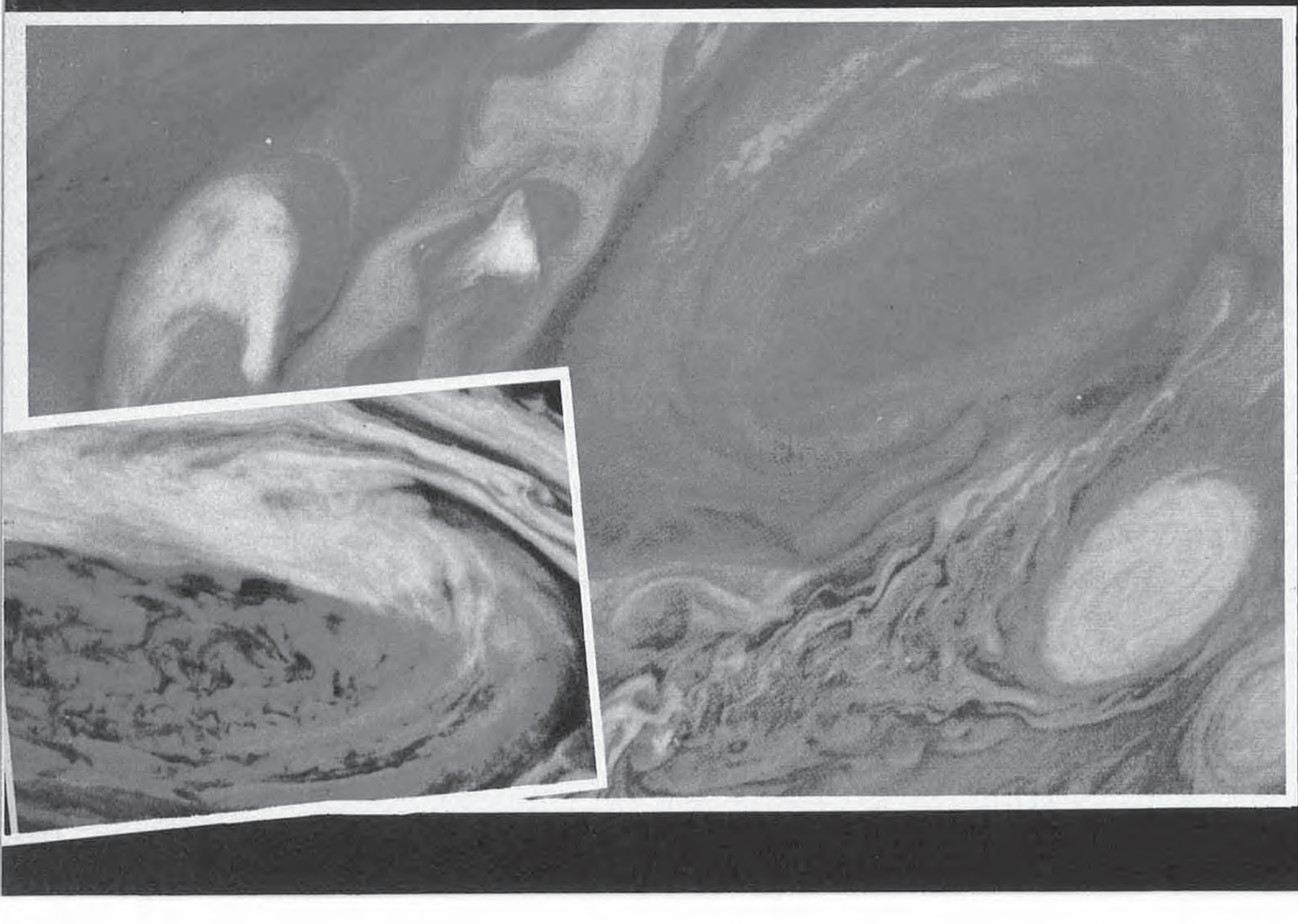
أمالتيا

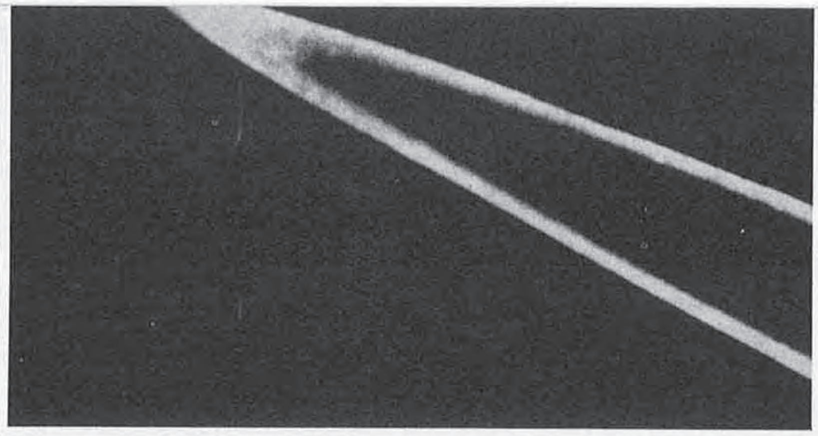
في ٢ آذار (مارس) الماضي ، اقتربت فوياجير ١ من أمالتيا ، أقرب توابع المشتري ، الذي يبعد عنه ١٦٠,٠٠٠ كم ، وقامت بتصويره عن بعد ٤١٥,٠٠٠ كم . ومن الجدير بالذكر أن (**أمالتيا**) ، بتأثير جاذبية المشتري الهائلة ، قد تطاول بحيث أصبح طوله ، الذي يبلغ ٢٩٠ كم ، ضعفي عرضه . وقد أظهرت صور أمالتيا أن سطحه كثير الفوهات . ولكن الأمر الذي احتار العلماء في تفسيره هو أن عاكسية سطح أمالتيا للضوء والاشعاعات الأخرى كانت ضعيفة .

قمر ايو

أما القمر (**ايو**) ، فهو أقرب التوابع الغاليلية إلى المشتري (إذ يقدر

★ شكل (٤) ★



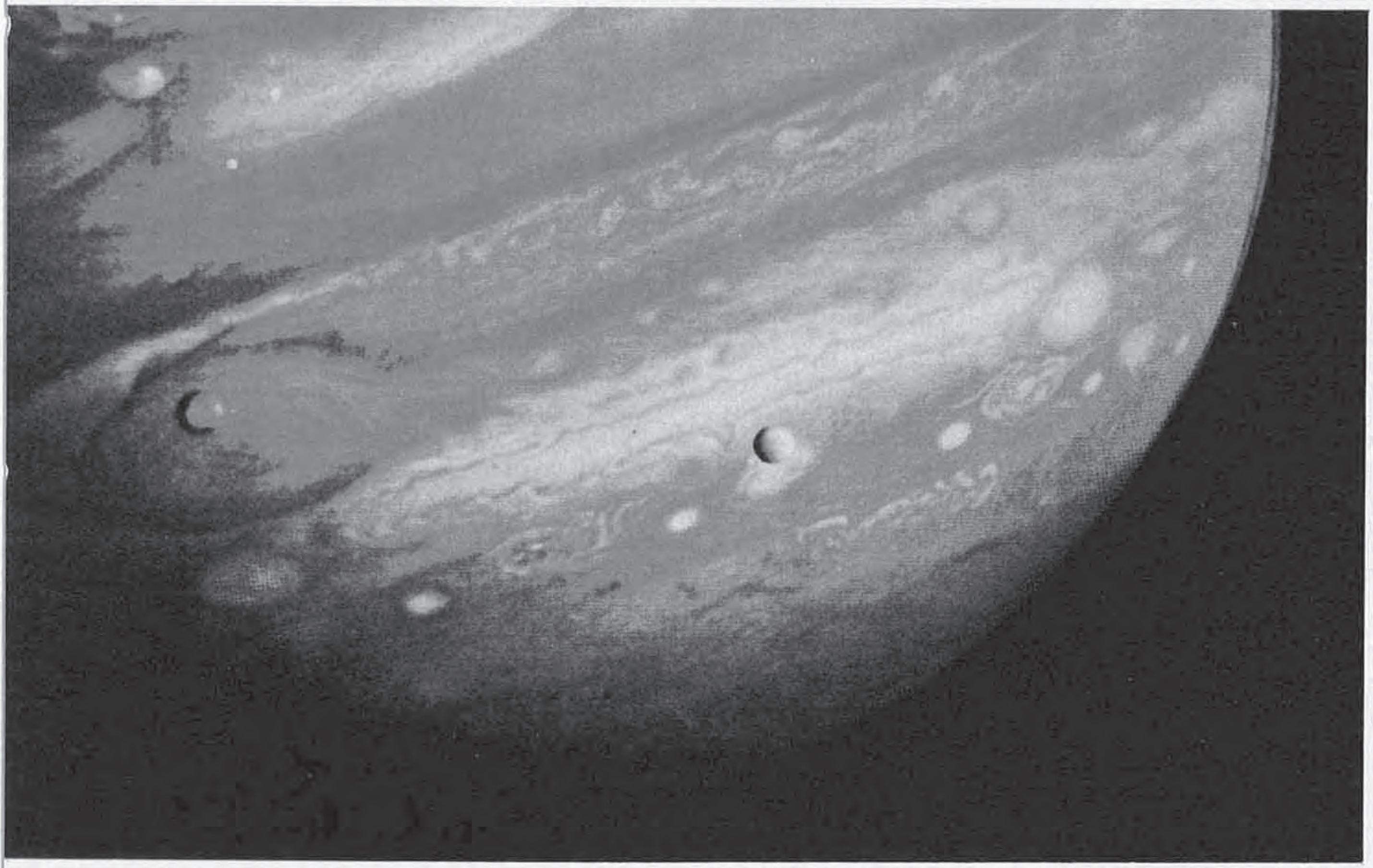




★ شكل (٥) ★

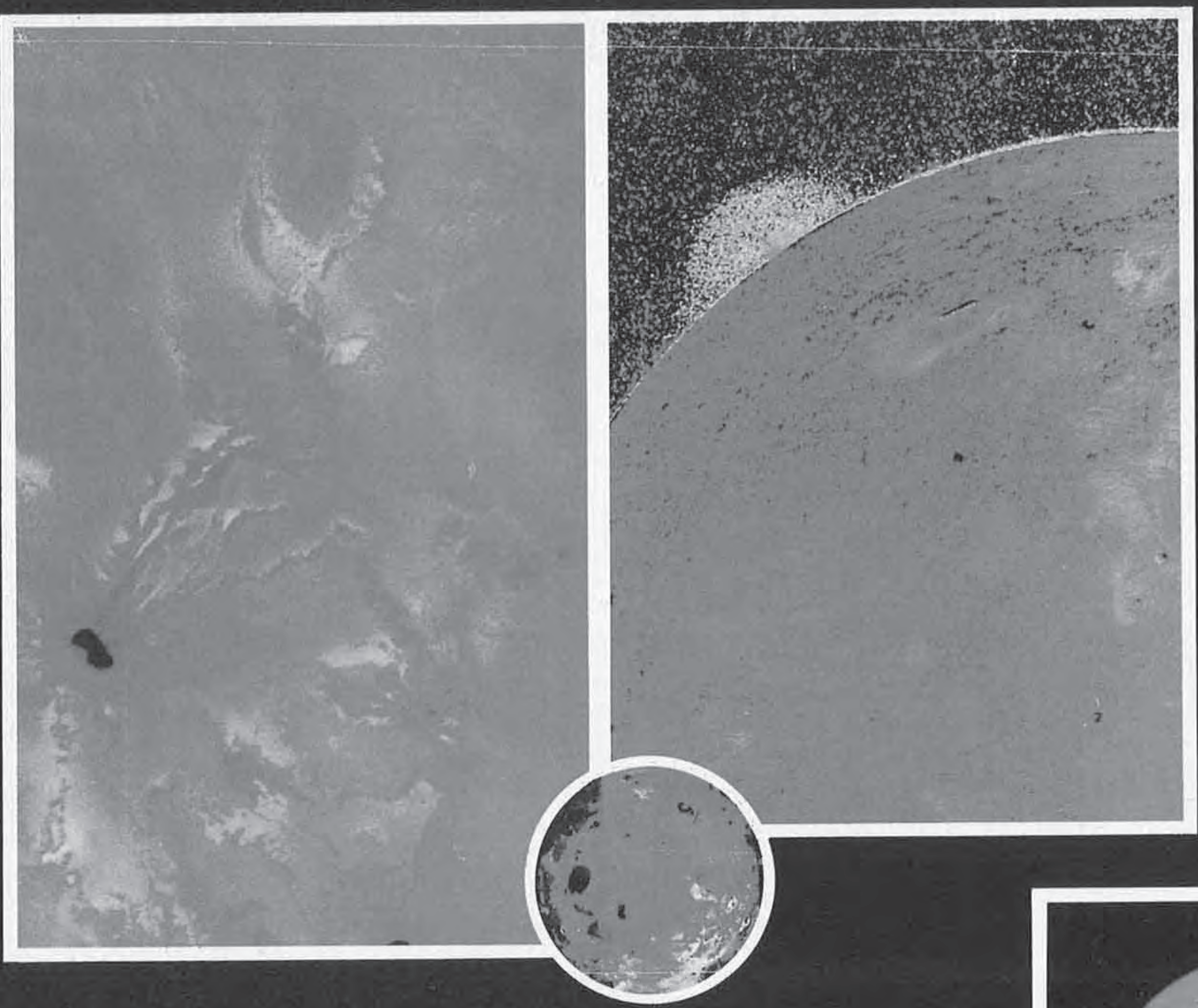
★ شكل (٦) ★

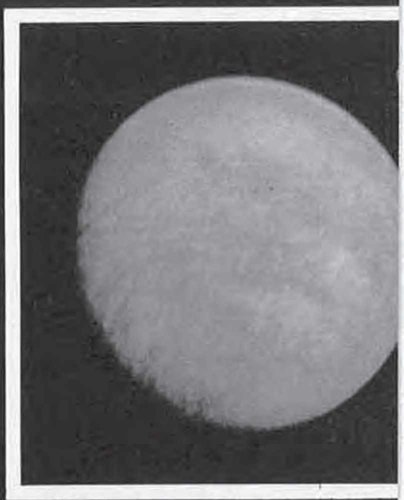
★ شكل (٧) ★



بعده بـ ٤٢١,٠٠٠ كم) . هذا التابع كثير التضاريس ، سطحه بني اللون ضارب إلى الصفرة . وقد اقتربت فوياجير ١ منه إلى بعد ٢٠,٠٠٠ كم ، فتبين أنه أنشط الأجرام السماوية من الناحية البركانية في المجموعة الشمسية بأسرها ، وعلى الرغم من أن حجم (ايو) أصغر من حجم قمر الأرض ، إلا أن فوياجير ١ شاهدت ثمانية براكين نشطة على جانبه المظلم في آذار (مارس) الماضي ، علماً أن هذه البراكين تطلق أعمدة من المواد يصل ارتفاعها حتى ٢٠٠ كم عن سطح التابع . وفي تموز (يوليو) الماضي صدرت الأوامر إلى فوياجير ٢ لتصوير (ايو) بالعدسة البطيئة ــ وكانت على بعد ١,١ مليون كم عنه ــ بقصد دراسة نشاطه البركاني . وبتحليل الصور وجد العلماء أن أكبر البراكين التي شوهدت في آذار (مارس) قد خمد واختفى في تموز (يوليو) مما يدل بوضوح على السرعة الكبيرة التي تحدث بها التغيرات البركانية في مجموعة المشتري .

بالطبع فإن تغيرات النشاط البركاني هذه تؤثر بشكل خاص على كمية المواد الأولية الموجودة في غلاف (ايو) الجوي (كالكبريت والأكسجين) والصوديوم ، وكذلك على بيئة المشتري بأكملها ، إذ إن من البديهي أن يلعب (ايو) دور المورد لتلك المواد . كذلك لا يستبعد أن تكون هذه البراكين مسؤولة مباشرة عن تغير لون القمر الذي يتحول من اللون الأحمر إلى البرتقالي وبالعكس بسرعة بالغة ، وذلك انطلاقاً من أن الكبريت ،





★ شكل (٨) ★ ▲

★ شكل (٩) ★ ◀

وهو عنصر شديد التقلب ، موجود في الطبيعة بأشكال بللورية مختلفة تتراوح ألوانها بين الأحمر والأصفر والبني . . . الخ .

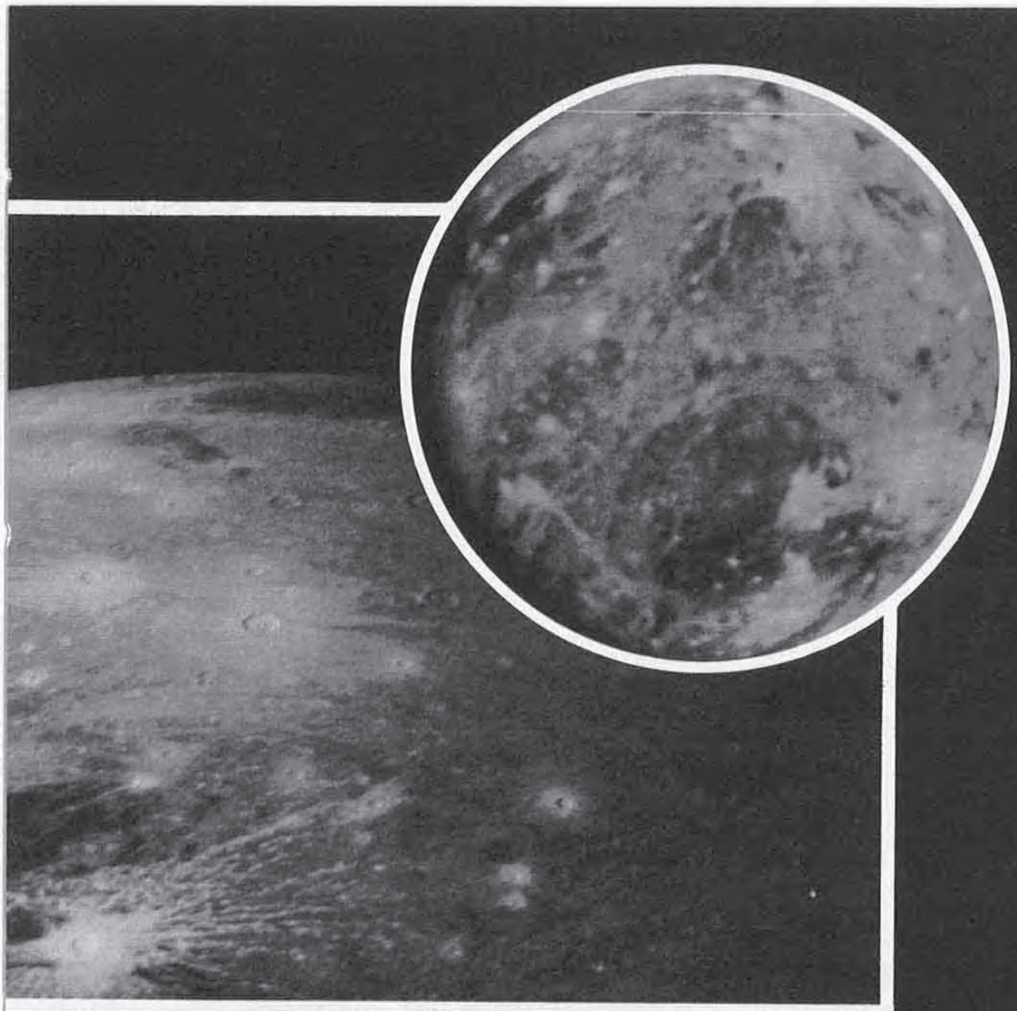
لا يعج سطح (ايو) بالبراكين النشيطة فحسب ، بل إن سطحه مليء كذلك بالفوهات البركانية الخامدة الواسعة التي تفوق مثيلاتها على الأرض بـ ١٠ ــ ١٠٠ مرة . وقد كشفت فوياجير ٢ أن مثل هذه « المداخن » لا تغطي مناطق (ايو) الاستوائية فحسب ، بل تظهر أيضاً قرب قطبه الجنوبي . **ويدل هذا النشاط البركاني الفعال على أن سطح (ايو) حديث العهد نسبياً وأن عمره يقل عن مليون سنة .**

وتجدر الإشارة إلى أن نشاط (ايو) البركاني المتأجج لا تحركه سوى براكين « باردة » إذا ما قورنت بمثيلاتها على الأرض . فعندما درست فوياجير ١ درجة حرارة بقعة ساخنة من القمر متصلة بمنطقة بركانية ، تبين أن هذه البقعة أسخن مما يحيط بها بمقدار ١٥٠°م . وحيث إن سطح (ايو) بارد تبلغ درجة حرارته المتوسطة ــ ١٤٠°م ، لذا تكون درجة حرارة البقعة « الساخنة » + ١٠°م . وعلى الفور نتبين أن درجة الحرارة هذه غير قادرة على صهر المواد المنتشرة حول البقعة البركانية (عنصر الكبريت ــ مثلاً ــ يحتاج صهره إلى درجة حرارة لا تقل عن + ١١٠°م) .

قمر أوروبا

يعتبر (أوروبا) أصغر الأقمار الغاليلية حجماً ، إذ إن قطره يساوي ٣٠٦٦كم ، وهو أصغر من قمر الأرض بقليل .

أثارت صور فوياجير ١ لهذا القمر ، والتي التقطت ــ مع الأسف ــ من ارتفاع يبلغ ٧٣٢,٠٠٠كم ، فضول العلماء وحاروا في تفسيرها . لذا تحرق العلماء شوقاً لمتابعة لقاء (أوروبا) بفوياجير ٢ بمسافة فاصلة قدرها ٢٠٦,٠٠٠كم . وقد فوجئوا عندما شاهدوا صور أنعم سطوح أجرام



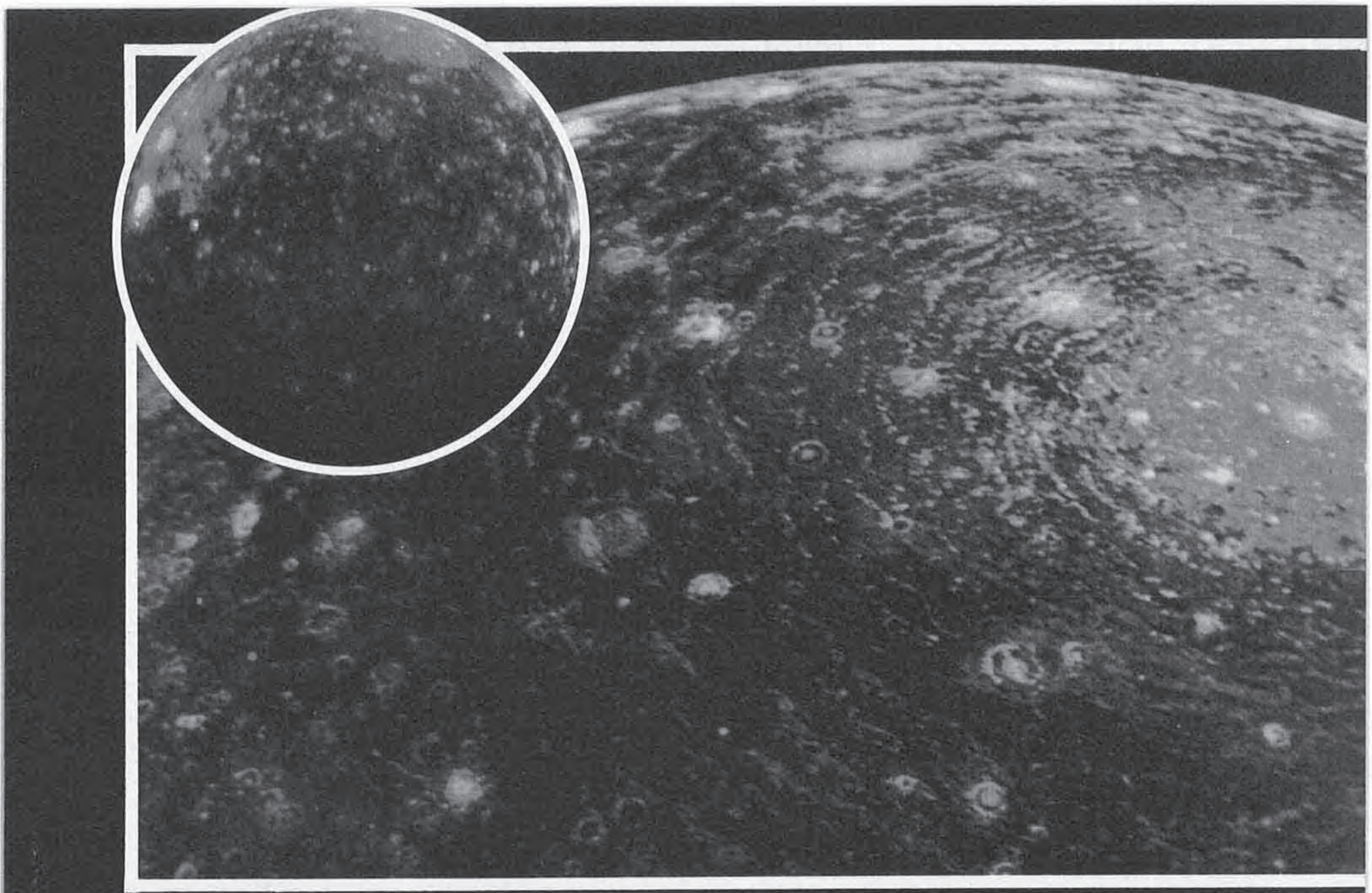
★ شكل (١٠) ★

المجموعة الشمسية . لكن الدهشة الكاملة علت وجوه علماء المراقبة الأرضيين ، لأنهم عجزوا عن مشاهدة أية خطوط طبوغرافية (تضاريس) متميزة ، والتي تفصل عادة المناطق متباينة الارتفاع (بينما تشاهد مثل هذه الخطوط على قمر الأرض بالعين المجردة) . وبدلا من مشاهدة الجبال والوديان شاهد العلماء سطحاً « ناعم الملمس مثل كرة البليارد » . لكن التابع مغطى بشبكة من التصدعات ، وهكذا بدا مظهره أقرب إلى قشرة البيض المليئة بالشقوق . وقد دلت التحريات التي أجرتها فوياجير ٢ أن (أوروبا) مؤلف من نواة صخرية تحيط بها طبقة رخوة من الجليد تصل سماكتها إلى ١٠٠ كم . وحيث إن معظم هذا الجليد « نصف ذائب » ، لذا فهو قادر على ملء فراغات أي سطح ـ مهما اختلفت تضاريسه ـ وتغطيته بحيث يعطي مظهراً أملساً . ويبدو أن تصدعات قشرة « البيضة » نشأت نتيجة تشقق في الطبقة الجليدية الخارجية القاسية ، ويعتقد أن عمقها لا يزيد عن بضعة مئات من الأمتار .

قمر غانيميد

غانيميد هو أكبر أقمار المشتري على الاطلاق ، إذ يبلغ قطره ٥٢٧٠ كم وهو أكبر من كوكب عطارد **(انظر الجدول)** . اقتربت منه فوياجير ٢ حتى مسافة ٦٢,٠٠٠ كم فوجدت أنه يختلف بدوره عن كل من سابقيه ايو وأوروبا . فإذا قارنا كثافته البالغة ١,٩ مع كثافة أوروبا ٣,٠ يمكننا عندها أن نستنتج أن الماء يدخل بنسبة عالية (قد تصل إلى ٥٠ ٪) في تركيبه .

وقد وجد في غانيميد نموذجان متباينان من السطوح ، كما أنه يحتوي على تغيرات طبوغرافية مفاجئة . فبعض المناطق مؤلف من سلسلة متواصلة من الفوهات البركانية المعتمة ، التي ربما يزيد عمرها عن ٤٠٠٠ مليون سنة ، والتي يعود تشكلها إلى فترة تكوين المجموعة الشمسية الأولى ، التي تعرض فيها قمر الأرض أيضاً لقصف سماوي شديد . ولكن هناك أيضاً تضاريس احدث تشكلاً وأكثر بريقاً على سطح غانيميد لوحظ فيها وجود مرتفعات وتصدعات يصل عرضها إلى ٥ ـ ١٥ كم وعمقها إلى عدة مئات من الأمتار . كما شوهدت حفر حلقية تشبه الفوهات الدائرية الضخمة التي وجدت على **كاليستو** . وهنا تنتشر الحلقات ابتداء من فوهة مركزية بحيث تغطي ما يقارب من نصف محيط هذا القمر .



★ شكل (١١) ★

كاليستو

(كاليستو) هو أبعد التوابع الغاليلية عن المشتري (إذ يبعد ٢ مليون كم) وأقلها كثافة ، لذا يتوقع أن يكون **أغناها بالماء** ، علماً أن كثافته وحجمه مشابهان لغانيميد . تظهر الصور التي التقطتها فوياجير ١ من مسافة ١٢٦,٠٠٠ كم ، أنه **أغنى الأجرام السماوية المعروفة بالفوهات البركانية** ، والتي يحتاج عدها إلى مدة ٢٠ سنة على الأقل ، أي ، بكلمات أخرى ، أن غزارة الفوهات البركانية هنا أعظمية . لهذا السبب **يعتقد أن كاليستو هو أقدم التوابع الغاليلية عمراً ، إن لم يكن أقدم أجرام المجموعة الشمسية على الاطلاق** ، وأن ميلاده يعود إلى الفترة الزمنية التي شهدت نشوء أكثر الفوهات قبل حوالي ٤٠٠٠ مليون سنة .

ولعل أهم ما يميز كاليستو هو وجود فوهتين مستديرتين ضخمتين تحيط بهما حلقات متحدة المركز يصل نصف قطرها إلى ١٥٠٠كم . وهي تشبه بذلك ــ إلى حد كبير ــ موجة ضغط متخامدة بالتدريج ، وهذه الفوهات تتشكل فيها حفر جديدة باستمرار ، علماً أن عددها يزداد كلما اقتربنا من مركز الحلقات . ولكن مما يثير الدهشة والتساؤل هو أن هذه الحفر متقاربة الحجم . ويبدو أن معظم هذه الحفر قد نشأ في فترة التكوين والقصف السماوي المركز قبل حوالي ٤٠٠٠ مليون سنة .

إذا أجرينا مقارنة بين سطوح كل من كاليستو وغانيميد ، نجد أن سطوح هذين القمرين قد تشكلت بطريقتين مختلفتين ، على الرغم من تشابه التابعين في الكثافة وربما في التركيب الكيميائي أيضاً .

وبعد .. ما هي الخطوة التالية ؟

رحلة فوياجير لم تنته بعد لعدة أسباب :

١ ــ حسب البرنامج الموضوع فإن فوياجير ١ تتجه الآن إلى كوكب زحل الذي يتوقع أن تصل إليه في أيلول (سبتمبر) ١٩٨٠م ، حيث ستقوم بكشف أسرار هذا الكوكب ، تماماً كما فعلت بالمشتري من قبله .

٢ ــ أما فوياجير ٢ فإنها لن «تودع» المشتري قبل نهاية شهر آب (أغسطس) الماضي . وبذلك تكون مجموعة المشتري قد خضعت للدراسة فترة تقارب ٨ أشهر .

٣ ــ لكن العمل لن يتوقف عندها ، لأن العلماء سينهمكون في دراسة الكميات الهائلة من المعطيات التي تبثها المركبتان الفضائيتان إلى

الأرض ، علماً أن عدد الصور التي سترسلها فوياجير ٢ وحدها سيزيد عن ١٥,٠٠٠ صورة .

وعليه يتضح أن هذه المقالة لا تمثل أكثر من فصل تمهيدي في سجل ضخم يمثل نظرتنا الجديدة إلى كوكب المشتري وأقماره .

إحصائيات المشتري

الاسم	القطر (كم)	البعد عن المشتري (كم)	الكثافة
أمالثيا	٢٤٠	١٨١٥٠٠	—
ايو	٣٦٤٠	٤٢٢٠٠٠	٣,٥٣
أوروبا	٣١٣٠	٦٧١٤٠٠	٣,٠٣
غانيميد	٥٢٨٠	١٠٧١٠٠٠	١,٩٣
كاليستو	٤٨٤٠	١٨٨٤٠٠٠	١,٧٩
ليدا	٧	١١٠٩٤٠٠٠	—
هيماليا	١٧٠	١١٤٨٧٠٠٠	—
ايلارا	٨٠	١١٧٤٧٠٠٠	—
ليسيثيا	١٤	١١٨٦١٠٠٠	—
أنانكا	١٤	٢١٢٥٠٠٠٠	—
كارم	١٤	٢٢٥٤٠٠٠٠	—
باسيفاي	١٦	٢٣٥١٠٠٠٠	—
سينوب	١٤	٢٣٦٧٠٠٠٠	—
الأرض	١٢٧٥٨	—	٥,٥٢
القمر	٣٤٤٥	—	٣,٣٤
عطارد	٤٨٤٨	—	٥,٤
المشتري	١٤٣٠٠٠	—	١,٤

يمتلك المشتري ١٣ ــ وربما ١٤ ــ قمراً وقد رتبت أقمار المشتري في الجدول حسب تسلسل بعدها عنه . الأقمار الغاليلية هي ايو ، أوروبا ، غانيميد ، وكاليستو . يبين الجدول كذلك أقطار وكثافات كل من الأرض ، القمر الأرضي ، وعطارد بقصد مقارنتها مع المشتري وأقماره .

المراجع

١ ــ المهندس سعد شعبان ــ كوكب المشتري يكشف عن أسراره ، مجلة العربي ، العدد ٢٤٧ ، الكويت ، حزيران (يونيو) ١٩٧٩م .

٢ ــ التون بليكسلي ــ حوار مع سكان الفضاء الخارجي ــ آذان أميريكية وسوخيتيه ، مجلة المختار من ريدرز دايجست ، العدد ٧ ، باريس ، حزيران (يونيو) ١٩٧٩م .

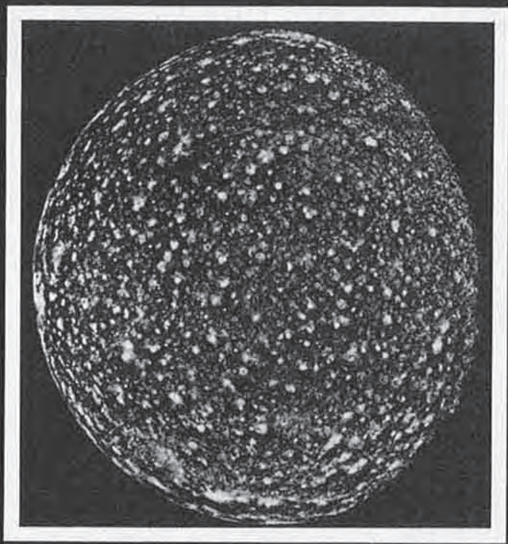
٣ ــ Christine Sutton Jupiter's enigmatic variations. New Scientist, Vol 82. No 1149 London, 5. 4. 1979.

٤ ــ Christine Sutton. Voyager 2 Closes in on Jupiter. New Scientist, Vol 83. No 1163 London, 12. 7. 1979.

٥ ــ Christine Sutton. Voyage to the giant planet New Scientist, Vol 83 No 1164 London, 19 .7. 1979.

٦ ــ Albert Ducrocq. Révélation sur Jupiter. Science & Avencier. No 387 Paris, Mai 1979.

٧ ــ De la Terre a Jupiter en direct des Sonds. Science et Vie. No 740 Paris, Mai 1979.



★ شكل (١٢) ★

فهرس الأشكال

الشكل (١)

كوكب المشتري كما صورته في ١ شباط (فبراير) فوياجير ١ عن بعد ٣٢,٧ مليون كم .

الشكل (٢)

الصورة اليسرى التقطتها فوياجير ١ في ٢٤ كانون الثاني (يناير) ، بينما التقطت الصورة اليمنى من قبل فوياجير ٢ في ٩ أيار (مايو) ، نلاحظ عند مقارنة الصورتين المأخوذتين عن بعد ٤٠ مليون كم ، التغير السريع لمظهر المشتري خلال مدة لا تتجاوز ٤ أشهر ، ويظهر ذلك بشكل خاص في المنطقة المحيطة باللطخة الحمراء .

الشكل (٣)

اللطخة الحمراء عن قرب .

الشكل (٤)

البقع البيضاء واللطخة الحمراء هي عبارة عن جمل مرتفعة الضغط . يظهر المقطع مزيداً من تفاصيل باطن اللطخة الحمراء .

الشكل (٥)

حلقة المشتري كما صورتها فوياجير ٢ عن بعد قدره ١,٤٨٨,٠٠٠ كم . ويعتقد أن الحلقة مكونة من مليارات الجسيمات التي تعود إلى فترة نشوء المجموعة الشمسية .

الشكل (٦)

جزء من المشتري يظهر أمامه قمرا المشتري ايو (إلى اليسار) وأوروبا إلى اليمين .

الشكل (٧)

امالثيا أقرب أقمار المشتري .

الشكل (٨)

الصورة الدائرية لقمر ايو الذي يقارب قمر الأرض حجماً . تمثل الصورة اليسرى حقول الحمم البركانية المصهورة فيه ، مما يدل على أن باطنه مكون من مواد مصهورة . توضح الصورة اليسرى أحد براكينه النشطة .

الشكل (٩)

أوروبا وتظهر فيه بعض الشقوق التي يعتقد أنها ناتجة عن تصدع قشرته الخارجية .

الشكل (١٠)

غانيميد أكبر أقمار المشتري ويقارب عطارد حجماً وهو مؤلف من الصخور والجليد .

الشكلان (١١ و ١٢)

كاليستو ويظهر فيه بوضوح عدد هائل من الفوهات البركانية المحيطة بفوهة كبيرة دائرية الشكل .


سلاح المدرعات
يدعوك ... ويحقق لك المستقبل الزاهر
شروط ومزايا الالتحاق :
١- أن يكون سعودى الجنسية .
٢- أن لا يقل عمره عن ١٦ سنة ولا يزيد عن ٢٥ .
٣- حامل شهادة أقل من رابعة ابتدائى يتخرج براتب إجمالى ٢٥٥٠ ريالاً .
٤- حامل شهادة رابعة ابتدائى وأعلى يتخرج براتب إجمالى ٢٧٣٠ ريالاً .
٥- حامل الشهادة الابتدائية وأعلى يتخرج براتب إجمالى ٣٢٣٠ ريالاً .
٦- حامل الشهادة الثانية المتوسطة يتخرج براتب إجمالى ٣٣٥٠ ريالاً .
٧- حامل شهادة الكفاءة المتوسطة يتخرج براتب إجمالى ٣٧٨٠ ريالاً .
مدة الدراسة من ٤ إلى ٢٠ أسبوعاً فقط .
مميزات أثناء الدراسة :
تأمين الإعاشة .
تأمين السكن .
تأمين الملابس العسكرية .
تأمين العلاج للطالب وعائلته .
مكافأة شهرية تتراوح بين ٦٠٠ - ٧٥٠ ريالاً .
مزايا كثيرة للطالب بعد التخرج
يمنح راتب شهرين بدل تعيين .
يمنح الرتبة والراتب والعلاوة الفنية التى تناسب مستواه الثقافى .
إتاحة الفرصة له بدخول دورات عسكرية وفنية داخل المملكة وخارجها .
تأمين السكن له ولعائلته ضمن مشاريع إسكان وزارة الدفاع والطيران .
العلاج المجانى له ولمن يعولهم شرعاً .
إتاحة الفرصة له لاستكمال دراسته المدنية .
أجازة سنوية مع إركابه وعائلته على طائرات الخطوط الجوية السعودية لمكان قضاء الأجازة داخل المملكة .
بعد إكمال الخدمة النظامية فله الخيار فى الاستمرار أو الاستقالة .
يصرف للفرد المخصصات التقاعدية بعد استكمال مدة الخدمة النظامية .
بادر بمراجعة المنطقة العسكرية التى تسكن فيها .. أو
قيادة سلاح المدرعات لمن هم فى المنطقة الوسطى
ولمزيد من المعلومات يرجى الاتصال بالتليفون
رقم ٥٨٢/٤٠٤٢٨٨٢ أو رقم
٣٠٠٩٣ الرياض .
سلاح المدرعات

أوراق متناثرة

الفرشاة .. والخط الصيني

★ يستعمل الخطاط الصيني في الكتابة، «الفرشاة»، بدلا من القلم والريشة والأدوات الحديثة لكتابة الخطوط .. فالفرشاة الصينية قد اخترعت في القرن الخامس قبل الميلاد، وهي تمتاز بالحساسية الشديدة، حيث إنها رقيقة الشعر.

ولا تزال هذه «الفرشاة» تستعمل حتى اليوم، بها تتم عملية الكتابة والتدوين ووضع علامات التوقف .. وبها أيضاً يمارس الفنان الصيني، رسوماته الدقيقة.

والخط الصيني يفرض على كاتبه أن يهتم بأن يضع في مخيلته تصوراً لحجم الرموز .. والفراغات التي بين الخطوط وبعضها، والتي تكوّن في النهاية شكلاً له مضمون جمالي متناسق الإيقاع والبناء .. وذلك لأن الخط الصيني برموزه العديدة، المتنوعة، يجعل من كاتبه دائماً أن يكون مراعياً في يقظة عند الكتابة، وذلك للتمكن من حل الفراغات بين الحروف الأفقية والرأسية .. وسُمك الخط والنقاط وعلامات التوقف.

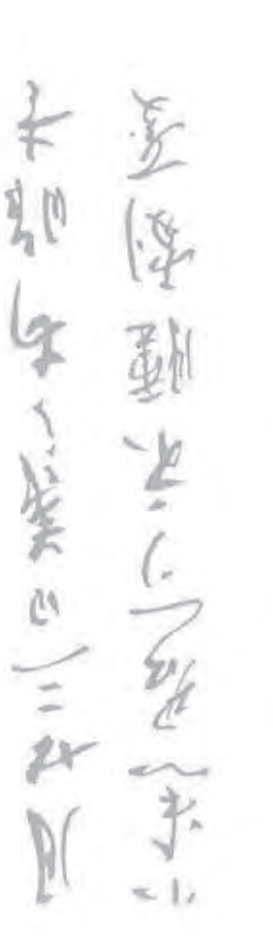
والحروف الصينية تمتاز بأنها طيعة في يد الخطاط الصيني، من حيث اخضاعها للأشكال المربعة والمستطيلة، وفي أعلا، نرى بعض النماذج من الخط الصيني، حيث تظهر رشاقته ودقته وحساسية الخطاط الصيني الذي يعتمد في كتاباته على الفرشاة ★

أوائل

★ أول من وقف على الديار باكياً مستبكياً، هو «امرؤ القيس بن حجر» .. وهو أول من شبه النساء بالظباء .. وأول من شبه الخيل بالعصا .. وأول من شبه الحمار بمقلاة الوليد .. وهو عود يضرب بالقلة يلعب بها الصبي ★

★ أول من خاطب بـ «**أطال الله بقاءك**» هو عمر بن الخطاب ★





أطول □

أطول حرب :

- اسمها «حرب المئة عام».
- نشبت بين إنجلترا وفرنسا.
- كانت بدايتها سنة ١٣٣٨ م.
- انتهت سنة ١٤٥٣ م.
- ظلت مستمرة مئة وخمسة عشر عاماً.

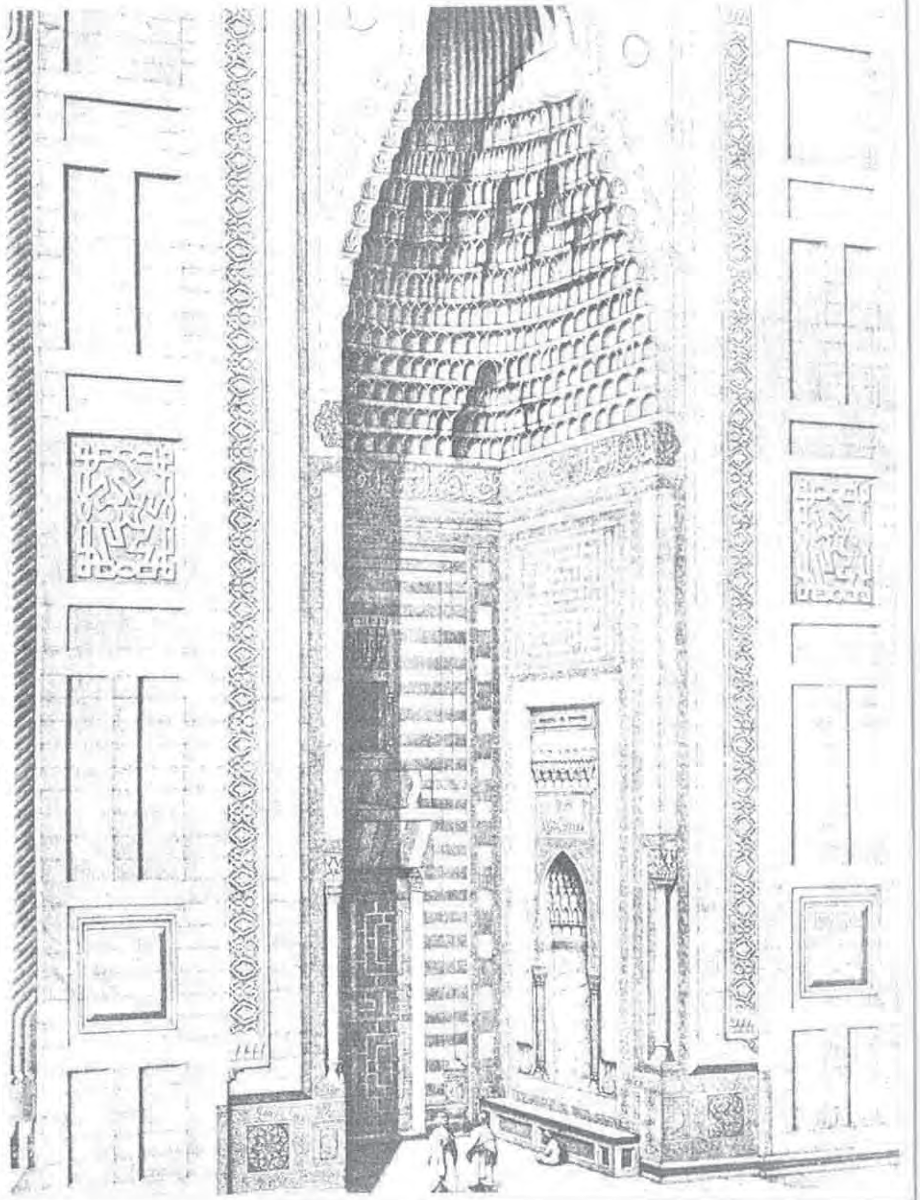
★ ★ ★

أطول حيوان :

- **اسمه** : حوت الروركال.
- **طوله** : (٣٣ متراً ونصف المتر).
- **وزنه** : (١٦٦ طناً).

لوحة

★ لوحة من عمل الفنان الفرنسي «بريس دافين» الذي عاش في مصر في القرن الماضي حيث قام بتسجيل الكثير من آثارها، ومن شدة حبه لمصر وحبه لسكانها وتراثها أطلقوا عليه اسم «إدريس المصري» .. واللوحة لمسجد السلطان حسن بالقاهرة، ويلاحظ تداخل الخط العربي في نسيج العمارة الإسلامية ★



أخبارهم

[اللون الأسود]

★ قال إبراهيم بن المهدي، قال لي المأمون: أنت الخليفة الأسْود؟، قلت: يا أمير المؤمنين، أنت مننت عليّ بالعفو، وقد قال عبدُ بني الحَسْحاس:

أشعار عَبْد بني الحسحاس قمن له
عند الفخار مقامَ الأصل والورقِ
إن كنتُ عبداً فنفسي حُرةٌ كرماً
أو أسْوَدَ الجلد إني أبيض الخلقِ

فقال المأمون: يا عم، خرّجك الهزل من الجد، ثم أنشأ يقول:

ليس يُزري السواد بالرجل الشهـ
ـم ولا بالفتى الأديب الأريب
إن يكن للسواد منك نصيبٌ
فبياض الأخلاق منك نصيبي

ثلاثة !

★ ثلاثة لا تُعرف إلا عند ثلاثة:

١ ــ ذو البأس لا يُعرف إلا عند اللقاء.

٢ ــ ذو الأمانة لا يُعرف إلا عند الأخذ والعطاء.

٣ ــ والإخوان لا يعرفون إلا عند النوائب.

وقالوا: عليكم بثلاث: جالسوا الكبراء، وخالطوا الحكماء، وسائلوا العلماء.

من كتاب «العقد الفريد»
لابن عبد ربه

السطور الأخيرة

●● الرجال أربعة: رجل يدري ويدري أنه يدري، فذلك عالم فسَلُوه، ورجل يدري ولا يدري أنه يدري، فذلك الناسي، فذكّروه .. ورجل لا يدري ويدري أنه لا يدري، فذلك الجاهل فعلموه، ورجل لا يدري ولا يدري أنه لا يدري، فذلك الأحمق فارفضوه.

الخليل بن أحمد

مستويات الإستماع للموسيقى



★ ڤيولنيه ★

بقلم: حسام الدين زكريا

الاستماع للمتع الحسية (١)

قد يفسر لنا اهتمام المؤلفين بعنصر **التوزيع الموسيقي** orchestration ، وهو علم يختص بالتفرقة بين أصوات الآلات حسب ألوانها النغمية ـ لماذا تشكل الخصائص الحسية للصوت Sensuous Qualities عنصراً من أهم العناصر المؤثرة في مقدار متعتنا بالموسيقى . وربما يفسر ذلك لنا أيضاً لماذا لا يقوم أعظم تسجيل موسيقي مقام الأداء الحي للعازف أو الأوركسترا في قاعة الكونسير .

الصدمة الحسية SENSUOUS IMPACT

من المؤكد أن الاستماع للوهلة الأولى لعمل موسيقي غير مألوف يتيح نوعاً من المتعة التلقائية Spontaneous نحصل عليها ببساطة كلما اجتاحتنا موجات الصوت التي توقظ فينا تجاوباً بدنياً وحسياً . وإذا ما أعدنا الاستماع (عن طريق التسجيلات) ؛ سرعان ما تستيقظ فينا أنواع لا حصر لها من **التداعيات** associations وسرعان ما يبدأ الذهن في البحث عن دقائق **البناء الموسيقي** Construction ليتتبع الصيغ المختلفة في أجزاء العمل .



التداعيات ASSOCIATIONS

هي أهم ما في تجربة الاستماع على جميع مستوياتها ، ومما لا شك فيه أنها تتأثر بالعوامل **الاثنوجرافية ، والقومية ، والاجتماعية .** وهو ما يجعلنا نحب نوعاً معيناً من الموسيقى دون سواه . ولنلاحظ جماعة من الوطنيين المغتربين وقد اجتاحتهم نشوة شعورية عارمة لدى سماعهم موسيقى وطنهم الشعبية (بغض النظر عن قيمتها) .



★ بيانو ★

فهنا شكلت « **النوستالجيا** » العامل الحاسم في تذوقهم لتلك الموسيق . وترتبط **التداعيات العاطفية** Sentimental Associations التي تثيرها قطعة موسيقية قد نستمع إليها عرضاً ارتباطاً وثيقاً بالتجارب العاطفية الشخصية ، وهو ما يجعلها تلعب دوراً فعالا في تجاوبنا مع أي موسيق مماثلة في مناسبات أخرى ، حينما تكون التداعيات نتيجة تطابق عرضي بين الموسيق وما حدث لنا . وتلك ظاهرة معروفة عند رواد السينما أو من يشاهدون الأفلام الموغلة في **الرومانتيكية**[٢] . ومن الصعوبة بمكان التخلص من تلك التداعيات عند هذا النوع من المتذوقين كلما استمعوا إلى موسيق لها نفس الطابع الذي واكب تجاربهم الشخصية .

الآلة الموسيقية INSTRUMENT والتداعيات

ترى إلى أي حد يشكل حبنا أو كرهنا لآلة موسيقية معينة أو مجموعة آلات من نفس العائلة[٣] ، عاملاً حاسماً في تفضيل الموسيق ؟ وما هو نوع **الصوت الآدمي** الذي نميل إليه أكثر من غيره[٤] ؟ إن ما يسمى **باللون النغمي** Tone colour لكل آلة موسيقية على حدة ليرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتداعيات الخاصة لكل منا ، وقد نستطيع تسمية الآلة الموسيقية كأوبوا Oboe ، أو **كلارنيت** ، وقد لا نستطيع كما قد لا نتعرف على نوعية الصوت الآدمي ، إلا أن ذلك لا يمنع تيار التداعيات من السريان بشدة .

(والمثال الواضح في ذلك الصدد هو **آلة الساكسوفون** Saxophone التي يرتبط لونها النغمي دائماً بموسيق **الجاز** مما يجعله عضواً نادراً في **الأوركسترا السيمفوني** ومن الصعوبة بمكان أن يحمل معه نوعاً من التداعيات الخاصة به) .

ملمس الصوت SOUND TEXTURE

إن ملمس الصوت نفسه ، وهو يرتطم بأذننا ليمثل مصدراً هاماً من مصادر تجاوبنا العاطفي مع الموسيق ، وكلنا نعرف أننا نتجاوب لنبرات الكلام العادي بين الناس على مستويات متباينة . كما أن الآلات الموسيقية تؤثر فينا بطرق مختلفة اعتماداً على مختلف أنواع المتع الحسية التي تتيحها لنا . وهناك أصوات بشرية تبدو مريحة للأذن وهي تتحدث بغض النظر عما يقوله المتحدث . ويرجع ذلك إلى جاذبية الصوت نفسه . وإذا ما نحينا جانباً محتوى الكلمات أو مفهومها ، واستمتعنا فقط بملمس الصوت عندئذ يقال لنا إننا نستمتع بالخصائص الحسية Sensuous Qualites أو الموسيقية لصوت المتحدث ، وربما ارتفعت قيمة المحتوى الذهني للكلام إذا ما امتلك المتحدث جاذبية حسية في صوته ، « ولا حاجة بنا للخوض في مجال السياسة لنقول إن جمال الصوت وجاذبيته يدعم من وجهة النظر السياسية ، فمن الحقائق المعروفة أن جموع الناخبين تؤسرهم شخصية المرشح دون التمعن في برنامجه ، ومؤهلاته السياسية وكثيراً ما ينصب الاهتمام على طريقته في الحديث وشخصيته الجذابة (والصفات الجسدية وتعبيرات الوجه) » ، وغالباً ما يكون الاقتناع برنة الإخلاص التي تبدو في حديث وَوعود أحد المرشحين ناتجاً عن تأثرنا بطلاوة حديثه ورنين صوته وتلوينه النغمي !!

وهكذا نجد أن قدراً كبيراً من جاذبية الموسيق العاطفية يكون معتمداً على جاذبية الصوت الحسية ، وردود الأفعال المتباينة التي تثيرها مختلف الآلات فينا ومع كلمة المفهوم أو **الشعور العام** Sense بالموسيق يكون للإحساس Sensation وكل ما هو حسي Sensuous أهمية كبيرة في عملية التذوق .

أهمية التوزيع الأوركسترالي

كثيراً ما يصل إلينا **المحتوى الذهني** Intellectual content لأي حديث دون وجود أي عنصر جمالي في صوت المتحدث إذا ما كان المحتوى من الأهمية بحيث يجبرنا على الاستماع إليه بغض النظر على خصائص صوت المتحدث الذي قد يكون منفراً أما في الموسيق فتأتي المتعة أو الاشباع في التجربة السماعية من عنصر الإحساس بالدرجة الأولى . وهذا هو لب **فن الكتابة للأوركسترا** Orchestration بمعنى أن يصيغ المؤلفون أفكارهم وموضوعاتهم **اللحنية** Themes وميلودياتهم في مفهوم موسيقي بحيث تثير أعظم الإحساسات وتبدو في أزهى تلوين نغمي ، ولا تبدو الفكرة الموسيقية جذابة بسبب آلة واحدة ، بل بعنصر التلوين والتعارض بين أصوات الآلات مجتمعة ومن ثم يأتي الاشباع من تراكم الإحساسات بمختلف خصائص تلك الآلات . ولنفرض أننا نكتب عدة جمل مختلفة في قصة قصيرة بألوان عدة من الحبر بحيث تتدرج الألوان من البارد للساخن أزرق ـــ أحمر) ، لكي نقوي من الجاذبية العاطفية للأفكار وهي تتتابع داخل القصة ، إننا ونحن نفصل ذلك نكون قد أضفنا صيغة من صيغ التلوين الأوركسترالي . وربما تكون الفكرة موروثة في الكلمة نفسها إلا أن الإحساس بالألوان وما يصاحبها من تداعيات ذهنية قد يضيف مصدراً عاطفياً جديداً للتوافق مع القصة وهو ما يحدث في الموسيق .

وهناك فرق جوهري بين **المفهوم** Sense **والجاذبية الحسية** Sensation يوضحه المثال التالي :

ربما فكرت في صوت **إصبع طباشير** وهو يحك جدار **سبورة** إنها لفكرة

مزعجة واستدلال غير مرضي لمعنى تلك الكلمات بالطبع والعبارة « فكر في صوت إصبع طباشير وهو يحك جدار سبورة » إذا ما قالها ممثل ما بطريقة محببة اتكأ فيها على مخارج الحروف الساكنة محدثاً نوعاً من **القرقشة** GRISP ، فلاحظ مقدار تجاوبك البدني لدى سماعك حرف **ك** في كلمة فكر ، وحرف **ت** في كلمة صوت ، ثم حرف **الراء** في كلمة طباشير ، وهكذا وكلما زاد تجاوبك كلما أدركت أنك تخوض تجربة موسيقية .

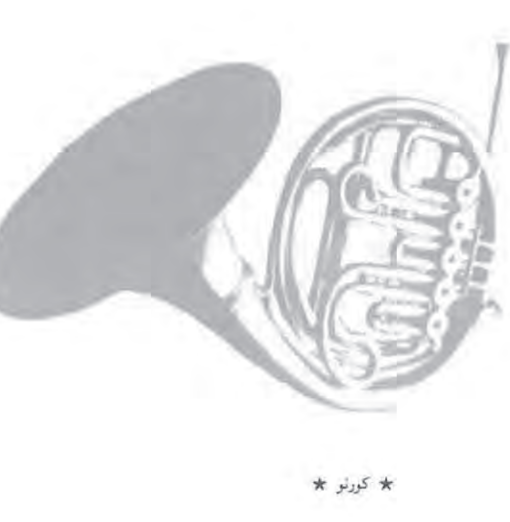
ويزداد الأمر لدينا وضوحاً عندما نرى الأطفال الصغار ، في بداية تعلمهم الكلام ، يتعلقون بكلمة أو جملة يسمعونها ويكررونها بلا انقطاع ، ويجدون في ذلك متعة كبيرة عندما يسمعون صوتهم وإيقاعهم الخاص بهم ، إلى جانب متعة أخرى هي مشاركتهم في عملية إحداث الصوت . كل ذلك بالطبع دون وعي أو مفهوم . إن كل ذلك يشكل جزءاً من مادة الموسيقى نفسها .

وفي الموسيقى يبدو مستحيلاً أن يكون المستمع مفهوماً ما دون تولد إحساس معين لديه أولا ، ولتتصور أي لحن تسمعه ـ وليكن مألوفاً لديك ـ أو حتى تصفره فلاحظ إنك إذا ما غنيته فسيحمل من فوره تجسيداً لخصائص صوتك الحسية ، أما إذا تخيلت اللحن فقط فلن تستطيع ذلك دون تلوينه إلى نغم معين ، وربما تعمدت في خيالك ألا تسمعه وقد أدته **الفيولينا أو الترومبيت** أو حتى **بآلة اليكترونية** . إلا أنك ستجد نفسك وقد تخيلته عن طريق تجسيد نغمي معين ، علاوة على ما هو محفور في ذاكرتك من كل ما سمعته من أصوات وآلات موسيقية طوال حياتك .

والمؤلف الموسيقي لا يستطيع التعبير عن أفكاره الموسيقية إلا من خلال وسيط حسي وقد يستطيع الأدب أن يروي لنا أحداث قصيدة من الشعر الدرامي بالنثر .

أما الموسيقى فليس في استطاعتها ذلك بتاتاً دون تجسيد فالمحتوى الموسيقي نفسه يكمن في التجسيد الحسي ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر فهما اثنان في واحد .

ولكي نفهم كلمة **المحتوى الموسيقي** Musical Content دعنا نفترض أننا بصدد لحن بسيط تؤديه **آلة الفلوت** ، ثم تخيلنا أن **الفيولينا** تؤديه بعد ذلك ، فمما لا شك فيه أن المحتوى الموسيقي يتغير قليلاً على شرط ألا يتغير اللحن نفسه (أي المفهوم الموسيقي) ورغم ذلك سيظل اللحن يحمل معه نفس خصائصه العاطفية وتداعياته الذهنية ، فصوت الفلوت هنا جزء لا يتجزأ من محتوى الموسيقى . ومن المعروف أن هناك أعمالا موسيقية كثيرة تعاد صياغتها لآلات أخرى غير التي كتبت لها أصلاً ، فالسيمفونيات مثلاً تعاد كتابتها **للبيانو** لأغراض التدريس واتاحة الفرصة للهواة الجادين للاستمتاع بها في منازلهم . وتلك الكتابة للبيانو (المختزلة) إنما هي في الواقع عملية استنساخ باللون الأبيض والأسود لرسوم بألوان الزيت ، وفيها تتم المحافظة على الخطوط (الألحان) ويظهر فيها بوضوح مهارة الأداء في **فن الرسم** Draftmanship **(الصيغة)** إلا أن اختزال جميع أصوات الأوركسترا إلى صوت واحد وهو البيانو بما فيه من محتوى عاطفي ، إنما يحرم المستمع من متع حسية وعاطفية لا تتيحها إلا **التلوينات الأوركسترالية** وبالتالي يتغير المحتوى الموسيقي .



★ كورنو ★

ويلاحظ أن من يعزفون تلك النسخ المعدلة للبيانو للسيمفونيات ويتعودون عليها لا يستطيعون إدراك جمال النسخة الأوركسترالية في أذهانهم .

والآن ما هي المتعة التي تتيحها الأصوات الموسيقية نفسها ؟

١ ـ أحاسيس لا يمكن حصرها Myriad Sensations نجدها في نغمات كل آلة موسيقية تماماً مثلما نرتاح للمس صوت شخص وهو يتحدث . ويكفي أن تعدد آلات الأوركسترا لتجد أمامك مستودعاً من المتع الحسية .

٢ ـ متع حسية متعددة الألوان تنبع من طريقة تناول المؤلفين لصوت كل آلة على حدة ثم الآلات مجتمعة وأسلوب المؤلف في إقامة التعارض بين أنواع **الرنين المختلفة** Timbre لآلات الأوركسترا .

وهكذا نجد أنه بينما كان حرف الراء ذو الوقع الخشن في كلمة طباشير مصدراً لمتعة سماعية نجد أن كل **نغمة موسيقية** tone لها وقع محبب يختلف من شخص لآخر .

وعند **موتسارت** نجد أنه يضفي على صوت **النوتة** الواحدة مذاقاً خاصاً رائعاً مما يجعلها مصدراً غنياً من مصادر المتعة في أغلب الأحيان : ففي حركات **الكونشرتو البطيئة** نجده يكتب مقاطع هادئة يؤديها عازف البيانو المنفرد بيد واحدة وهي عبارة عن خط لحني مفرد دون **هارمونية**(٥) ، **تذكر . وروعة تلك اللحظات إنما تتبع بالطبع من جمال اللحن والمصاحبة الأوركسترالية** accompaniment الرقيقة ويزيد من روعتها ذلك التعارض القائم بين رقة توقيع تلك النوتات وبين حيوية واندفاع المقاطع السابقة . ولا شك أن **الضربات الخفيفة الهامسة** Ping للمطارق وهي

تمس الأوتار كل على حدة ، تثير متعة حسية فريدة .

ووسائل ومصادر المتعة في الموسيقى متنوعة ولا حصر لها . فهناك على سبيل المثال متعة مستحبة عند الاستماع إلى اليد اليمنى وهي تسرع على البيانو لتطرق الأوتار في ضربات متساوية محدثة نوعاً من الطنين (**التنميل**) Tingling المستمر . ولا تنبع المتعة هنا من شكل اللحن فقط بل من صوت الرنين الذي يشبه الجرس . وعلى النقيض من ذلك نرى متعة أخرى في الاستماع إلى صوت مختلف تماماً على البيانو ، وعلى سبيل المثال في كونشرتو البيانو والأوركسترا الثاني **لبراهمز** حيث نسمع كتلاً من **التآلفات** chords التي تثير لدينا نوعاً مختلفاً من المتع الحسية وهي هنا من العمق لا يدركها إلا كل متذوق خبير بفن براهمز العويص .

ومن المعروف أن صوت الفيولينا وهي تؤدي سلسلة من النغمات بسرعة كبيرة وكل نوتة يؤديها العازف بضربة قوس منفصلة (**ستكاتو** Staccato) يكون مصدراً من مصادر المتع الحسية ، وتأتي المتعة هنا من صوت احتكاك الأوتار بالقوس (**المقلقل** resind) ، وهو يضفي تأثيراً إيقاعياً يشبه النقرة مما يرفع التوتر العاطفي وعائلة الوتريات في الأوركسترا مليئة بمثل تلك المتع الحسية .

وآلات النفخ الخشبية تتيح بدورها أنواعاً مختلفة من المتع الحسية (**الفلوت . الأوبوا . الكلارنيت . الباصون**) ، وعند تأدية النوتات عن طريق النفخ دفعة دفعة Tongued بدلا من **النفخ المتصل** legato لعدة نوتات في نفس واحد . ولكل من الطريقتين متعته الحسية الخاصة به ، ولك أن تتخيل مقدار التنوع اللانهائي عند الجمع بين الطريقتين .

ومن المعروف أن **مزج** BL end الآلات أو الأصوات يثير أيضاً تأثيراً حسياً يزيد من حدة التوتر العاطفي عند الاستماع وعلى سبيل المثال ثنائي لآلتي **فيولينا وتشيللو** أو صوتي **سوبرانو وتينور** .

المتعة الحسية والتداعيات

SENSUOUS PLEASURE AND ASSOCIATION

إلى أي مدى تشكل التداعيات جزء من المتعة الحسية بالموسيقى وأيها يبدأ أولا ؟ وهل نستطيع اقتفاء آثار تلك التداعيات التي ترقد في أغوار كياننا ؟

أي ذكريات عن تلك الإحساسات القديمة نستشعر دفئاً جديداً باستحضارها وهي ذكريات تثيرها حتماً الموسيقى الرومانتيكية الجياشة العاطفة . ألا يشبه ذلك نفس الأحاسيس الجسدية التي نشعر بها لملمس القطيفة أو الفراء (وكثيراً ما يقال لأداء مجموعة من الآلات الوترية أن لـه ملمس القطيفة) . وهل في استطاعتنا سماع **آلة نفخ هوائية** دون إحساس (وربما بلا وعي) بنوع من التقمص الوجداني empathe (كان تأثير عزف آلة **الايولا**[٦] Aulos على **قدماء الإغريق** معروفاً مع العازف) ، وكلما أدركنا من طبيعة الصوت أن على العازف استخدام نفسه مثلما يستخدمه في الكلام أو الغناء أدركنا أن اللحن كان من الطول بحيث يصعب عليه التحكم في نفسه وكان تعاطفنا الوجداني مع العازف أكبر ، ومن ثم زيادة متعتنا الحسية بالموسيقى .

ثم ما هي ذكريات طفولتنا وبكائنا ونحن أطفال وأي منها توقظه الموسيقى ؟

وما كنه تلك الارتعاشة في أصواتنا وكيف نفسرها في ضوء تفسير أسلوب الارتعاشية Vibrato الذي تستخدمه الآلات الوترية للتعبير عن التوتر العاطفي في المقطع الموسيقي ؟

ونحن بطبيعتنا نميل إلى اعتبار صوت الفيولينا أكثر عاطفية وأكثر قرباً (خصوصية) من صوت الفلوت مثلاً ، لقدرتها على إحداث ذلك **التأثير المرتعش** Vibrato ، أما صوت الفلوت ، فرغم جماله فنحن نعتبره أقل سخونة في جرعته العاطفية .

وإلى أي مدى تثير **أبواق الصيد** hunting horns فينا شعوراً بأننا في الخلاء أو في الأحراش ؟ وحتى بعد أن قدمت تلك الآلات في الأوركسترا السيمفوني (وهي تسمى الآن **الكورنو أو البوق الفرنسي** corno or french horn) ، ما زالت تثير لدينا إحساساً بأننا نواجه الطبيعة بوديانها الخصبة وجبالها وغاباتها ؟

ثم أليس من المحتمل والمؤلف يضع لنا لحناً في **الطبقات العالية للفيولا والتشيللو** high registre أن يكون تجاوبنا العاطفي مع ذلك اللحن نتيجة لمعرفتنا مقدار صعوبة عزف الآلة في تلك الطبقات ؟

وعندما ينص المؤلف أن تؤدي مجموعة الفيولينات مقطعاً ما بطرق القوس فقط ، ألا يوقظ فينا تداعيات تعطي إحساساً بتوقع شيء ما ؟ وأليس هناك **تجاوب بدني** Physical مع تآلف تؤديه مجموعة وترية كبيرة عندما تتجه الأقواس كلها إلى نفس الاتجاه معاً ؟ وحتى لو كنا لم نمسك بآلة وترية في حياتنا .

ثم أليس لدينا من المعرفة بالصوت ما نستطيع معه التفرقة بين نغمة تؤدى بنعومة وأخرى بصوت عال وثالثة وكأنها تبدو عبر مسافة بعيدة بحيث نستطيع التعرف على المغزى العاطفي لكل نغمة على حدة ؟

ولتلخيص ما سبق نستطيع القول بأن الموسيقى تتيح متعتها من مصدرين : إثارة الأحاسيس ، والتداعيات التي تستيقظ فينا فور استقبالنا لموجات الصوت .

وتذوق الموسيقى على الوجه الصحيح بالطبع يتطلب فهماً تفصيلياً يشمل الاستماع الواعي والتيقظ إلا أنه بمجرد تجاوبنا بدنياً مع الموسيقى وشعورنا بالمتعة الحسية أي **جاذبيتها العاطفية** emational appeal يكون في استطاعتنا الدخول إلى عالمها الرحب وتذوق مصادر متعتها الأخرى .

المراجع

- دافيد راندولف this is music
- أرثر جاكوب new dietionary a music
- الموسيقى والحضارة Hngo Leichtentrit
- أوتوكارولي intodncinq music
- ماكس شوين the effcts music

الهوامش

(١) Listening for Sensuous Pleasure

(٢) على شرط ألا يكون ذلك أساساً لنظرية جمالية .

(٣) ينقسم الأوركسترا السيمفوني التقليدي إلى أربع عائلات : الوترية ، النحاسية ، الخشبية ، الإيقاع .

(٤) تنقسم أصوات الرجال إلى ثلاث مناطق صوتية : التينور ـ الباريتون ـ الباص .
وتنقسم أصوات النساء إلى ثلاث مناطق أخرى : السوبرانو ـ الميزوسوبرانو ـ الألتو .

(٥) استمع إلى ثلاثية موتسارت للبيانو رقم ـ ١ ك ٢٤٥ الحركة البطيئة وحاول أن تستمع أيضاً إلى مسائيات nocturnes شوبان الحالمة حينما يؤدي العازف نغمات في ألحان طويلة باليد اليمنى .

(٦) الأيولا Aulos آلة نفخ ذات ريشة مفردة تشبه الأوبوا استخدمها قدماء الإغريق .

لوحة و فنان

خوان ميرو

● ولد في (برشلونة) سنة ١٨٩٣م، وتلقى **علومه التجارية** فيها.

● كره المدرسة فاشتغل **كاتباً تجارياً** لمدة عامين، ثم هجر العمل نهائياً متجهاً إلى الرسم.

● أقام **معرضه الأول** في برشلونة سنة ١٩١٨م.

● سافر إلى **باريس** سنة ١٩١٩م، والتقى بالفنان **بيكاسو**، وتعرف بكثير من الفنانين مثل: **بريتون وماسون وأراغون**.

● شارك في المعرض السيريالي سنة ١٩٢٥م، وقام بتنفيذ ديكور **(روميو وجولييت)** لفرقة الباليه الروسية سنة ١٩٢٦م.

● قام بتنفيذ العديد من **اللوحات الجدارية**، ففي سنة ١٩٣٦م، قام بعمل لوحة جدارية في **الجناح الإسباني في معرض باريس الدولي**.

● له كثير من الأعمال الفنية في لوحات زيتية وملصقات ولوحات يتداخل فيها الرسم مع الملصقات.

● في عام ١٩٤١م، خصص له **متحف الفن الحديث في نيويورك** جناحاً دائماً.

● بدأ في سنة ١٩٤٤م، بتشكيل **(السيراميك)**.

● في عام ١٩٥٨م، دعته **منظمة اليونيسكو** لتزيين قصر اليونيسكو في باريس بلوحتين جداريتين.

● في عام ١٩٦٦م، قام بعمل (سيراميك) جداري لجامعة **(هارفارد)**، وفي عام ١٩٧٠م، قام بعمل (سيراميك) جداري لمطار برشلونة.

● افتتح سنة ١٩٧٥م، **مؤسسة (ميرو) في برشلونة**.

● يعتبر خوان ميرو من أبرز الفنانين السيرياليين، **وتتجلى في أعماله البساطة والوضوح والخيال الفياض**.

● قام الفنان سنة ١٩٢٨م، بزيارة هولندا فتأثر بها ورسم اللوحة المنشورة هنا.

داخل بيت هولندي:

● الحياة الزاخرة بألوانها الصارخة، وحركتها الدائبة بتناقضاتها وصفائها هي المنهل الذي يستمد منه (ميرو) مواضيعه الحية.

● بالرغم من كثرة التباين بين ألوان اللوحة، إلا أنها يبدو عليها الانسجام والتناغم بترديد إيقاعي قوي يفرض على المشاهد تحديد عناصرها بدون أدنى عناء وقل أن تجد هذا إلا من فنان اجتمعت فيه الخبرة **التقنية والإبداع الفني**.

● الصفاء ووضوح اللون وتحديد العناصر بخطوط ومسطحات لونية نعرف بها أسلوب ميرو ـ **الفنان السيريالي** ـ الذي يبحث عن آفاق جديدة **(فوق الواقعية)**.

● هذا هو الأسلوب السيريالي، فيه من طريقة **الرسوم الإعلانية والزخرفية**، وإن كانت معقدة في تركيبها الموضوعي، إلا أن في تكوينها اللوني والشكلي عفوية ظاهرة.

● لوحته هذه هي ـ الصرصار ـ وقد ظهر في الحديقة يرقب المسافر الإنسان الباحث عن استقراره في حياته، كأن الفنان (ميرو) يود بألوانه وحركته المليئة بالحياة في خطوطه وأشكالها أن يقول:

«أيها الإنسان، لقد ملأت هذه الأرض بالحياة، وبصمت عليها بقدميك فلن تكون الأرض إلا بك فلا ترحل» ! !



يدور هذا المقال حول دور الأم في إحداث التغيير الاجتماعي . ولما كان مصطلح التغيير الاجتماعي من المصطلحات التي يختلط موضوعها مع موضوعات أخرى مشابهة بالنسبة لغير المتخصصين ، فقد رأيت في البداية تحديد المقصود بمصطلح التغيير الاجتماعي،ثم الربط بينه وبين دور الأم في إحداث هذا التغيير .

الأمومة .. والتغيير الاجتماعي

بقلم : د . زيدان عبد الباقي

● أولا : التغيير الاجتماعي Social change

التغيير - في ذاته - ظاهرة اجتماعية وطبيعية ، تخضع له كل مظاهر الكون الطبيعية ، وكذلك كل الأحوال الاجتماعية ، ولكن التغيير أكثر وضوحاً في البيئة الاجتماعية عنه في البيئة الطبيعية . فالبيئة الاجتماعية في تغيرها تتميز بالتفاعل الدائم ، ومن ثم بالتغير المستمر . **ويقصد بالبيئة الاجتماعية مختلف النواحي المورفولوجية والفزيولوجية ،** أي كل ما يتصل بالنواحي المادية مثل ابتكارات الإنسان العلمية من الأدوات التي هي وليدة الحاجة الاجتماعية ، وكذلك المخترعات الحديثة من جانب آخر ، وما يتصل بالسنن الاجتماعية ، وما تنطوي عليه من عادات وأعراف وتقاليد وقيم ومعايير اجتماعية ، وما يتصل بها من ثقافة روحية ، تتمثل في الفلسفات والعلوم والفنون والآثار ، وكذلك الأديان والآداب من جانب آخر[1] .

هذا ، وهناك مقومات محددة للتغيير الاجتماعي يمكن - فيما يلي - تناولها - بإيجاز - لربط دور الأمومة بكل مقوم من هذه المقومات .

(أ) التغيير في القيم الاجتماعية : Change in Social values

يقصد بالقيم الاجتماعية هنا « مجموعة من الاتجاهات العقلية التي تكون فيما بينها نسقاً System شبه مقنن Standardized يستخدمه الإنسان في قياس وتقدير المواقف الاجتماعية » والقيم الاجتماعية بمقتضى هذا التعريف تتطور مع الأيام إلى وحدات معيارية في الضمير الاجتماعي لدى الإنسان . وأثناء هذا التطور والنمو تأخذ صفة الثبات النسبي ، ومن هنا تصبح القيم الاجتماعية ركناً أساسياً في تكوين **العمليات الاجتماعية** Social process وتحديد أشكالها (إيجابية أو سلبية) ، ذلك أن القيمة هي التي تنتج السلوك (**التفاعل الاجتماعي** Social interaction) هو الذي يؤدي إلى تكوين شبكة من العلاقات الاجتماعية ، وهذه الأخيرة تؤثر في تكوين القيم الاجتماعية وتطويرها .

ومن جهة أخرى فإن القيم الاجتماعية باعتبارها الأساس الثاني في تكوين العمليات الاجتماعية ، فإنها هي التي تمثل المراكز النشطة في النسق الاجتماعي النفسي لكل فرد . وهذا النسق هو الذي يستقبل الأحداث المادية بصورها المختلفة ، ثم يقوم بعملية إنتاج السلوك الذي يقود بدوره إلى تكوين العمليات الاجتماعية في مختلف الجماعات . ومن ثم فإن تلك القيم - نتيجة لذلك - هي التي توجه سلوك الفرد في حياته اليومية . هذا ومن المعروف أن القيمة الاجتماعية - في أبسط صورها - تنشأ وتتكون في مواقف المفاضلة والاختيار ، حيث يتحتم على الفرد إختيار أحد حلين بقدر



ما تسمح به استعداداته وامكاناته . وكلما ازدادت خبرة الإنسان بمواقف المفاضلة ، زاد رصيده من القيم الاجتماعية التي تصقلها الأيام يوماً بعد يوم ، إلى أن تتحول إلى نسق يستطيع عن طريقه الحكم على الأشياء والأحداث[٢] .

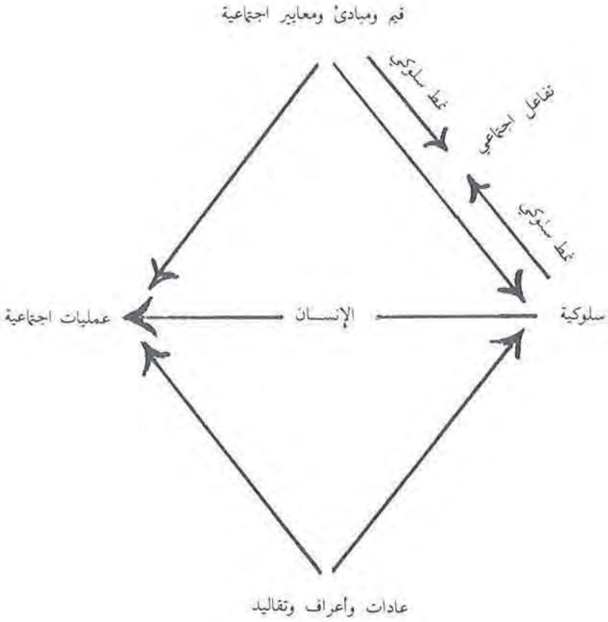
وهذه القيم هي التي تؤثر بشكل أو بآخر في مضمون **الأدوار الاجتماعية** Social Roles- والتفاعلات الاجتماعية الدينية والأخلاقية والسياسية ، وهذه الأخيرة هي التي تحدد اتجاه التغيير في القيم الاجتماعية .

ولما كانت كل خطوات التغيير الاجتماعي ، تتبع خطوات التغيير في مجال القيم الدينية والأخلاقية والسياسية ، فإنه من هذا المنطلق جاءت أهمية التغيير في المجال القيمي على رأس كل مقومات التغيير الاجتماعي ،

فإنه من هذا المنطلق جاءت أهمية الاستفادة من الأبحاث الاجتماعية الميدانية . تلك الأبحاث التي أكدت أن « **الأم** » هي التي تغرس مختلف القيم الاجتماعية في نفوس أطفالها ، وبالتالي فإن الأم إذا غرست في نفوس أطفالها قيماً اجتماعية إيجابية ، فمن المؤكد أن أبناءها سيكونون إيجابيين ، ويصبح المجتمع كله من المنتجين . وعلى ذلك فإذا كانت الأنماط السلوكية التي تصادفهم في المجتمع ، ترجع إلى قيم اجتماعية إيجابية أيضاً ، فإن السلوك الجمعي يصبح إيجابياً ، والشكل التالي يوضح ذلك .

شكل رقم (١)

يبين أثر القيم الاجتماعية في العمليات الاجتماعية



ومن هذا الرسم يلاحظ عند التقاء نمط سلوكي لإنسان بنمط سلوكي لآخر ، يحدث بينهما تفاعل اجتماعي يكون له نفس صفات القيم الاجتماعية التي دفعت كلاهما إلى هذا النمط السلوكي ، وبذلك تكون صفات نتيجة التفاعل . بمعنى أن القيم الاجتماعية التي تقف خلف النمط السلوكي الأول والثاني إيجابية ، فإن التفاعل الاجتماعي سيكون إيجابياً ، وكذلك النتيجة . أما إذا كانت القيم الاجتماعية خلف النمو السلوكي الأول إيجابية وخلف الثاني سلبية ، فإن نتيجة التفاعل الاجتماعي ستكون إيجابية/سلبية . . . أما إذا كانت القيم الاجتماعية خلف كل النمط السلوكي الأول والثاني سلبية ، فإن التفاعل الاجتماعي سيكون سلبياً وكذلك النتيجة .

(ب) : التغيير في النظام Institutional change

ينطوي التغيير في النظام على كل تغير يحدث في بناء محدد مثل التغيير في البناء الأسري أو البناء الاقتصادي ، وكذلك في الأدوار ، ومن أمثلة ذلك التغيير في نظام **تعدد الزوجات** أو الأزواج إلى نظام وحدانية الزوج والزوجة . . . كل هذه أمثلة للتغيير في النظم في المجتمع على أوسع نطاق[٣] .

ولا ريب أن أهمية التغيير في الدورة أو في النظام تساوي أهمية التغيير في القيم الاجتماعية فقد يكون التغيير عبارة عن انتقال كلي أو تحول جذري من شكل إلى آخر ، أي أن يكون ـ على سبيل المثال ـ من الدكتاتورية إلى نظام الحكم البرلماني أو القائم على « الشورى » في مجتمع معين ، بمعنى اختفاء النظام الأول كلية ، وحلول النظام الجديد محله . ومثل هذا التغيير له أهميته ، بحيث يمكن أن يؤثر في بناء المجتمع ككل . وكذلك ترجع أهميته إلى انتشاره شيئاً فشيئاً ، إلى أن يعم المجتمع بأسره . وهكذا الحال

في تغير شكل نظام الزواج من التعدد إلى الوحدانية ، حيث لم يتغير فجأة ، ولم يستمر بصفة دائمة . وإنما ظهر لأول مرة في بعض العائلات ثم راح ينتشر على التدريج إلى أن أصبح نظاماً سائداً . وهذا يدل على تغير في الاتجاهات والقيم الاجتماعية لهؤلاء الذين أخذوا بهذا الشكل المتغير . ومن ثم فإن المجتمع الذي يتعرض لمثل هذا النوع من التغيير ، من الضروري أن يمر بعدة تغيرات تقابل في كثير من الأحيان بالنفور أو الاعتراض أو بهما معاً ، غير أن الأمور المعترض عليها ما تلبث أن تسود . وبالتالي تتاح الفرصة لهذا الجديد غير المألوف ، لكي يصبح جزء من نظم المجتمع المألوفة[٤] .

لقد كان النظام الأسري في مصر يقضي بأن تبقى الأم في المنزل لتربية أبنائها وتوفير الراحة لزوجها ، غير أن التغيير في النظام التعليمي بالسماح للمرأة بالتعلم انعكس على النظام الأسري باخراج المرأة من البيت لتكاتف الرجل في العمل وتشاركه في تشييد أركان الحضارة الحديثة . ومن هنا حرم الجيل الجديد ـ في المدن على الأقل ـ من رعاية الأمومة ، فضلاً عن قيام الأم بواجباتها في العمل شأنها شأن الرجل ، وقيامها في المنزل بكل متطلباته ، الأمر الذي جعل الأم الحديثة في موقف لا يمكنها من التوفيق بين مسؤولياتها المنزلية ومسؤولياتها في العمل .

ولكي يكون دور الأم في التغيير الاجتماعي فعالا ، يجب على الدولة أن تبحث عن حل يتيح للأطفال (الجيل الجديد) أن يحصلوا على حقهم من التربية القيمية الاجتماعية .

(ج) التغيير في الأشخاص :

ينعكس أثر التغييرين السابقين ، أي التغيير في القيم والتغيير في النظام ، ينعكسان على الأفراد ، بحيث يؤديان إلى إيجاد نوع جديد من التغيير في السمات الاجتماعية للأشخاص ، تمكنهم من القيام بأدوار معينة تختلف في درجتها عن أدوارهم السابقة في النسق الاجتماعي . ومما تجدر الإشارة إليه أن التغييرات التي تنعكس على الأشخاص لا يستطيعون الفكاك منها ، باعتبارها أمراً حتمياً نتيجة لوجودهم في هذا المجتمع ، مثلها ـ في ذلك ـ مثل التغييرات التي تتمثل في تقدم السن وفي الشيخوخة والهرم ، وفي الانتقال إلى رحمة الله . هذا ويلاحظ أن تلك التغييرات تختلف من وقت إلى آخر ، لكنها في نفس الوقت تشير إلى أنه من الأهمية بمكان أن ندرك أهمية هؤلاء الأشخاص الذين يشغلون مراكز اجتماعية معينة تكون ذات تأثير في حياة المجتمع .

بيد أن حتمية التغيير في الأشخاص لا تتحقق بدون حدوث تغيير جذري في النظام الاجتماعي ذاته ، بصرف النظر عن اتساع التغيير وشموله ، طالما كان تغييراً بنائياً . ومن هنا فإن التغيير في الأشخاص يكون وظيفياً ـ لا ـ بنائياً ، وإن كان التغيير البنائي في النظام الاجتماعي هو السبب في التغيير الوظيفي في أدوار الأفراد أو الجماعات[٥] .

(د) التغيير في قدرات أو اتجاهات الأشخاص[٦] :

من الميسور أن نستخلص من الدراسات السابقة أن التغييرات التي تحدث في القيم الاجتماعية وفي النظام الاجتماعي والتي تنعكس على الأشخاص . . . يترتب عليها تغييراً في قدرات واستعدادات واتجاهات وأدوار الأشخاص ، مما ينعكس مرة أخرى على مراكز الأشخاص في المجتمع . ولعل هذا التغيير يمثل ذروة التغيير في النسق الاجتماعي . وترجع أهمية هذا النوع من التغيير إلى أن الأشخاص الذين يكون انعكاس التغييرات السابقة عليهم أسرع من غيرهم ـ بحكم المراكز الاجتماعية التي يشغلونها في المجتمع ، أو باعتبارهم جماعة الصفوة في المجتمع ، فإن سلوكياتها تنعكس على جميع أفراد المجتمع ، بل وعلى البيئة الاجتماعية بأسرها[٧] .

ثانياً : دور الأم في التغيير الاجتماعي

من العرض السابق لموضوع التغيير الاجتماعي يمكننا الوقوف على **مكونات الشخصية** والدوافع والقيم الاجتماعية التي تجعل الإنسان يسلك سلوك **الخير** أو سلوك **الشر** ، ويتأكد لنا أن النسق القيمي أو ما يسمى **بالضمير الاجتماعي** له المكانة الأولى في هذا المجال . . . إذا عرفنا ذلك فإن هذا يدعونا للتساؤل . . . من أين يحصل الإنسان على نسقه القيمي؟ والإجابة هي : من الأسرة . وممن بالذات من أفراد الأسرة؟ والإجابة : من الأم .

ومن هنا قال الشاعر **حافظ إبراهيم** :

الأم مدرسة إذا أعددتها
أعددت شعباً طيب الإعراق

وكذلك قال « **سيمور الحكيم** » عن أهمية دور المرأة كأم :

« إن تربية الطفل يجب أن تبدأ قبل ولادته بعشرين عاماً . . . بتربية أمه » .

وإذا كانت الأم مدرسة ، حق كفله لها الدين في قوله **صلى الله عليه وسلم** « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » ومن هنا فإن التعليم بالنسبة للأنثى ضرورة وليس ترفاً . وإذا كان الذي سيوفر لها العلم هو الرجل . ولكي يكون الرجل معلماً ـ أيضاً ـ فإنه ينبغي أن يكون متعلماً ، ومن ثم فإنه يمكن القول إن طرفي الأسرة قد أصبحا مؤهلين لأداء وظيفة الأبوة والأمومة بالأسلوب التربوي السليم .

الأم وتنشئة الجيل الجديد

من المعروف (عرفاً) أن من شب على شيء شاب عليه ، وقد تأكد هذا (علماً) . والمجتمع المصري في الوقت الحالي يشكو من **التسيُّب** واللامبالاة والأنانية وما إلى ذلك . وبالتالي فإن التغيير الاجتماعي المنشود ـ طبقاً لمقدمة هذا المقال ـ هو التغير في سلوك أفراد المجتمع . ولكن « **العرف** » يؤكد أن من شب على شيء شاب عليه ، بمعنى أن الذين شبوا على التسيب واللامبالاة والأنانية والبعد عن الدين ، وممارسة بعض أنماط السلوك اللاأخلاقية وما إلى ذلك . . . مثل هؤلاء يستحيل تغيير



سلوكهم ، وإن كان يمكن ترشيده « بعض الشيء » وذلك عن طريق الأم والزوجة والأخت حيث تستطيع الأم أن توجه أولادها وبناتها وتستطيع الزوجة أن تطلب إلى زوجها أن يكون مأكلها ومشربها ومسكنها من حلال . وأن هذا « **الحلال** » يتطلب الإخلاص في العمل والمعاملة بصرف النظر عن سلوك الآخرين هذا هو كل ما يمكن بالنسبة للجيل الحالي ، وربما لكثير من الجيل الذي في سن الطفولة حالياً .

وعلى ذلك فإن القول بإعادة بناء الإنسان قول خاطئ ، لأن إعادة بناء الإنسان تقتضي هدم هذا الإنسان ، ثم إعادة بنائه ، وهذا مستحيل . أما القول الذي يأخذ به علم الاجتماع هو « **ترميم** » سلوك الإنسان ، أو بتعبير علمي « **ترشيد سلوك الإنسان** » ومن هنا نرفض العمل على إعادة بناء الإنسان المعاصر ، ونوافق على القول بوضع الأسس الاجتماعية والنفسية والتربوية لبناء الجيل الجديد (الأطفال حديثي الولادة) على أسس دينية وتربوية ونفسية واجتماعية سليمة .

أي أننا إذا أردنا جيلاً مغايراً اجتماعياً ، فإن الأنظار يجب أن تتجه إلى الأمهات . ذلك **أن الأم هي وسيلة التواصل بين الأجيال ، وهي التي تنقل إلى الجيل الجديد اللغة التي يتواصل بها مع الناس ، كما تنقل إليه القيم والمبادئ والمعايير والعادات والأعراف والتقاليد وآداب السلوك وأسس المعاملات وما إلى ذلك .**

هذا ومن المعروف (عرفاً) أن كل إناء ينضح بما فيه ، وأن الشيء من معدنه لا يستغرب ، ومن هنا فإن الأم ، وهي تقوم بوظيفتها التواصلية(٨) هذه لن تنقل إلى طفلها إلا ما تملكه هي ، فإذا كانت تملك قيماً اجتماعية إيجابية ، وكذلك عادات وأعراف وتقاليد إيجابية ، وإذا كانت أنماط سلوكها ومعاملاتها إيجابية فسوف تنقل كل هذه العناصر الاجتماعية بصورتها الإيجابية إلى طفلها ، وبالتالي ينشأ الطفل إيجابياً . . . أما إذا كانت الأم تملك هذه العناصر الاجتماعية بصورتها السلبية فإن طفلها ينشأ سلبياً في كل شيء .

والنتيجة أن الطفل الذي تتم تنشئته على قيم اجتماعية إيجابية مثل : الأمانة ، الإخلاص ، الصدق ، المحبة ، الوفاء ، الإيثار ، التسامح وما إلى ذلك من القيم الاجتماعية الإيجابية ، فإنه سوف يشب ويشيب عليها . . . أما الطفل الآخر الذي ينشأ على قيم اجتماعية سلبية ، مثل : الخيانة ، الكذب ، حب الذات ، الفسق ، الخداع ، اللاتسامح ، اللاوفاء وما إلى ذلك من القيم الاجتماعية السلبية فإنه سوف يشب ويشيب عليها . وليس معنى ذلك أن دور الأم وحده هو الذي يؤدي إلى هذه النتيجة ، وإنما لا بد من أن تجد المساعدة في ذلك من الأب ومن الأسرة ومن الجيران ومن

المدرسة ومن المجتمع ، ومن أجهزة الإعلام . . . فإن سار كل هؤلاء على أسس إيجابية ، فإننا يمكن أن نتوقع جيلاً جديداً يتميز بالإيجابية ، وبهذه الإيجابية يتحقق النجاح كله . ومن هذا يتضح لنا أننا إذا أردنا تعبيراً اجتماعياً شاملاً ، فإنه لن يتاح لنا إلا في جيل جديد من جانب وبواسطة الأمهات ومساعديها من جانب آخر ، وهذا هو دور القيم الاجتماعية في إحداث التغيير الاجتماعي . . . أو هذا هو التغيير في الإنسان بواسطة الإنسان ، فماذا عن التغيير الاجتماعي في النظم الاجتماعية وفي الطبيعة بواسطة الإنسان ؟

إن الأم تستطيع المساهمة في إحداث تغيير اجتماعي واقعي ، إذا بذلت جهداً في المجالات التالية :

(أ) في المجال الاقتصادي :

إن الأم سواء كانت عاملة أو ربة بيت ، هي التي تتولى توفير متطلبات الأسرة من مأكل ومشرب وملبس وما إلى ذلك . وبالتالي فإنها إذا رشدت مجال الإنفاق هذه بحيث نستطيع توفير ٢٥٪ من هذا الانفاق ، فإن هذه النسبة ـ مع غيرها واقتداء بها ـ إذا استثمرت استثماراً اقتصادياً سليماً ، فإنها تساعد الدولة على إنشاء الكثير من المشروعات الإنتاجية وتوفير الخدمات الضرورية من جانب ، كما إنها توفر على الدولة ما تنفقه من عملات صعبة في شراء المواد الاستهلاكية ، وتلك فائدة أخرى تعود على المجتمع ككل ، كما عادت على الأم وأسرتها من قبل . وبهذا الوفر يمكن شراء أدوات إنشائية تستخدم في الإنتاج . . . وهذا مثال عن التغيير في النظم الاجتماعية .

(ب) التغيير في المجال الشخصي :

من المعروف في علم النفس أن الإنسان يتكون من نوعين من التنظيمات النفسية ، **أولهما** التنظيم الإدراكي المعرفي ووظيفته الأولى هي خدمة دوافع الكائن الحي ورسم وسائل إشباعها أو تحقيقها على اعتبار أن الأسلوب الذي يشبع به الكائن الحي دوافعه الأولى يعتمد إلى حد بعيد على رقي نشاطه العقلي . . **وثانيهما :** التنظيم الوجداني النزوعي أو الانفعالي الذي يتصل بدوافع السلوك البشري . أما وظيفة التنظيم الوجداني النزوعي أو الانفعالي (أو المزاجي) فهي تزويد الكائن الحي بغايات السلوك ودوافعه .

وبجوار هذين التنظيمين هناك تنظيم عام للشخصية . وسلامة هذا التنظيم العام تعتمد على أسلوب التكيف مع العالم الخارجي [٩] . ومن ثم فإن شخصية الإنسان تتكون من أفكاره وميوله واتجاهاته ومهنته ، ودوره في المجتمع في ضوء التنظيمات السالفة الذكر . ومن جماع هذه العناصر والتنظيمات تتكون الشخصية الإنسانية . وفي الفقرة السابقة عرضنا لدور الأم في غرس كل هذه العناصر في شخصية الطفل . وعليها وعلى المجتمع بعد ذلك تولي هذا الغرس بالرعاية والعناية والتوجيه والإرشاد حتى يؤتي ثماره .

(جـ) في مجال الاتجاهات :

لقد أكدت الدراسات الاجتماعية والنفسية الميدانية ، أن الفرد وهو يتصرف في مختلف المواقف يحاول التوفيق بين مختلف أفكاره ومشاعره ، بالإضافة إلى أنه يسترشد في سلوكه بقيمه الاجتماعية وهو يستجيب للتفاعل مع الأفراد الآخرين ، تلك الأفكار والمشاعر والقيم والخصائص ـ مع مرور الزمن ـ تصبح ـ بالتكرار ـ أمراً منظماً ، يتخذ شكل اتجاهات محددة حيال بعض الأمور والموضوعات . ومن ثم فإنه في كل حالة يتعرض فيها الفرد لمواجهة مع مثل هذا الموضوع أو (الشخص) فإنه يستعين بما تكوّن لديه من اتجاهات محددة ، أن يختار نمط السلوك الملائم . . . وعلى هذا فإنه كلما تراكمت تلك الاتجاهات في التنظيم الوجداني المزاجي للفرد ، ازداد استرشاده بها واعتماده عليها . . . والأم إذا تمكنت من تثبيت كل هذه العوامل الشخصية بصورة إيجابية في ذات الطفل ، فإن تصرفاته وأنماط سلوكه تصبح نمطية وروتينية ومتكررة ولا تحتاج لتفكير سابق .

وهكذا يتأكد لنا أهمية دور الأم من خلال الدراسات المنهجية ، حيث تقوم الأم بغرس القيم الاجتماعية والمبادئ والمعايير والعادات والأعراف والتقاليد وآداب السلوك وقواعد المعاملات وما إليها في ذات الطفل ، ثم تساهم مع المجتمع في تنمية ذات الطفل بعد أن يصبح صبياً ، ثم شاباً ، ثم رجلاً . . . من مختلف المجالات الاقتصادية والشخصية ، وكذلك القدرات والاستعدادات . . . وهي من جهة أخرى كزوجة تستطيع الاتجاه بزوجها الوجهة التي تتفق مع الأهداف القومية .

وأخيراً هناك « إضافة » ضرورية هنا ، وهي انني اعتبرت « التغيير الاجتماعي » هو ما يحدث في مجال السلوك . . . بينما غالبية علماء الاجتماع يعتبرون إنشاء المدارس والمستشفيات والمصانع والطرق وشق الترع والقنوات . . . هو التغيير الاجتماعي . . . بينما هذه المؤسسات الاجتماعية من وجهة نظري مجرد وسائل تستخدم في التغيير الاجتماعي .

ومن هنا كانت وجهة نظري أن التغيير الاجتماعي هو الذي يحدث في الإنسان وليس في إنشاء المدارس وغيرها من المؤسسات الاجتماعية .

المراجع والمصادر

١ ـ الدكتور زيدان عبد الباقي : علم الاجتماع الحضري والمدن المصرية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٧٤م ، صفحة ٥٥ .

٢ ـ الدكتور زيدان عبد الباقي : علم الاجتماع الريفي والقرى المصرية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٤م ، صفحة ٩٩ ، ١٠٠ .

3 – Tobson, H.T., *Sociology, A Systematic Introduction*. Routledge & Kegan paul Ltd. London, 1961 pp. 625–627.

4 – *Ibid.*, p. 698.

5 – Change in abilities or attitudes of personel.

6 – Tobson, H.T., *op. cit.*, p. 632.

٧ ـ الدكتور زيدان عبد الباقي : وسائل وأساليب الاتصال في المجالات الاجتماعية والتربوية والإدارية والإعلامية . القاهرة ١٩٧٦م .

٨ ـ الدكتور زيدان عبد الباقي : علم الاجتماع المهني ، القاهرة ١٩٧٨م ، مكتبة دار النهضة العربية ، صفحة ٦٤ .

٩ ـ الدكتور زيدان عبد الباقي : علم النفس الاجتماعي في المجالات الإعلامية ، مكتبة غريب ، القاهرة ١٩٧٩م .



بيتي

شعر: إلياس قنصل

بيتي وكم بيتٍ يماثله بما ... فيه من الأحجارِ والأخشابِ
لكنه في خاطري ذخرٌ إذا ... ثمّنته لم ينحصرْ بحسابِ
هو متحفٌ للذكرياتِ أروده ... خلواً من الحُرّاسِ والحُجّابِ
آوي إليه إن ألَمَّ بيَ الأسى ... وتجهّمتْ بالنائباتِ شعابي
إن أبتعدْ عنه فليس يلذُّ لي ... ما أنتقي من مَأكلٍ وشرابِ
ويهزني طَربٌ إليه حافلٌ ... وتشوّق ينساب في أعصابي
ومتى رجعتُ شعرت أني مُغْرَمٌ ... يلقى الحبيبة بعدَ طول غيابِ
آثارهُ تاريخُ عهدٍ فائتٍ ... كان الرواءُ به وكان شبابي
هي من حياتي فترة موصولة ... الأوْها بالرغد والأحبابِ
لو أغمضوا عَيْنيَّ شمْتُ مكانها ... فكأنها في مهجتي وصوابي

* * *

بيتي وإن يكُ من جمادٍ كلهُ ... شخصيةٌ بمظاهر ولُبابِ
إن رمتُ متّعني بخلوةِ ناسكٍ ... هانت لديه عظائمُ الآرابِ
أو رمتُ أصبح ندوةً فكريةً ... قامت دعائمها على الآدابِ
ما همّه إلا رضاي وراحتي ... وجلاء ما أعنى به وثوابي
وأراه يَبْسَمُ حين أفتحُ بابَه ... مستبشراً متهللاً بإيابي

* * *

قالوا غدا ملكي وهذي حجة ... مرفوقة بشهادة وكتابِ
وبحثتُ غيرَ مقيدٍ بضلالة ... فوجدتُ أنَّ القولَ محضُ كذابِ
أنا ملكه وهو الذي في أمره ... ما شاءَ من نهيٍ ومن إيجابِ

فأنا أُجدّدُ بالدهان بهاءَه ... وأنا أنكّبه عن الأوشابِ
وأنا أرممه إذا ما هُدّدتْ ... جدرانُه وسُقُوفُه بخرابِ
وإذا بَدَتْ فيه الصدوعُ رأبْتُها ... بعنايةٍ وحَجَبْتُها بخضابِ

* * *

بيتي وليس فخاره ما فيه من ... لَبِنٍ وما يحويه من أبوابِ
هو مَن يشاركني مدى العمر الذي ... أقضيه بين رفاهة وعذابِ
هو من يحطّ تعاستي عن كاهلي ... ويعيد لي بسماتِ ماضٍ خابِ
ويردّ ما سلبتْه مني ضجةٌ ... عاثت بظفرٍ في الفؤادِ ونابِ
ما فيه زاوية خَلَتْ من لفتةٍ ... متّتْ إليَّ بأوثق الأسبابِ
هذي الرفوف وكم سألتُ ضيوفَها ... فإذا طرائفهم أجلّ جوابِ
هذا السرير وكم رآني ساهراً ... متقلباً في قَبْضَةِ الأوصابِ
هذي الدواة وكم ظننتُ بناتِها ... درراً ولم يكُ ثَمَّ غير ترابِ
إني لتجمعني إليه إلفةٌ ... أسْمى من التقدير والإعْجابِ

* * *

ما دام هذا البيت يعرض رفدَه ... مستقبلاً إيايَ بالترحابِ
ويهشّ لي ما فيه من فرشٍ ومن ... كتب ومن أصصٍ ومن أنصابِ
فكوارثُ الأيام عندي نوبة ... وتزول رغمَ دويّها الصخّابِ

* * *

بيتي فضيلته نباهةُ مدركٍ ... ما في العدول عَن الندى من عابِ
هو في مساحتِهِ الضئيلةِ ضيقٌ ... لكنه ما ضاقَ عن أصْحابي


أزيلي خشونة يـديكِ باستعمال أتريكس
غسل الأطباق ،
تنظيف الخضار ، زراعة الأزهار
والاعتناء بها ، أو مسح الأحذية ، هذه جميعها
تجعل أجمل الأيدي وأطرها خشنة متشققة .
تحتاج الأيدي التي تضنيها الأعمال المنزلية إلى
أتريكس المزدوج الفعاليّة .
يحمي السّيليكون الموجود في أتريكس
يديكِ وكأنه قفّاز خفي
يُبعد عنهما الأذى .
الزيوت المغذية للبشرة تتسرّب
إلى أعماق الجلد وتحفظ
يديكِ ناعمتين ونديتين .
double action
atrix
hand-care cream
protects and beautifies
كريم اليدين
أتريكس
المزدوج الفعاليّة
كريم أتريكس
للعناية باليدين
يحميها ويجمّلها .

الطفل والمسرح

بقلم : عبد التواب يوسف

بمناسبة عام الطفل

المسرح مجمع فنون ، تلتحم عضوياً ، ومنطقة تلتقي عندها اشعاعات إبداع وابتكار ، لتشكل نقطة ضوء باهر ، أشرق على الإنسانية منذ عهد المسرحية المصرية القديمة (ايزيس وأوزوريس) ومنذ عصر ملحمة سومر البابلية « قلقمش » إلى أن تلقفه اليونان لينمو على أيديهم ويزدهر .



الطفل والمسرح

ويتضمن المسرح العمل الأدبي الروائي في حوار درامي ، وإخراج هذا العمل الصامت على الورق لينبض بالحياة ، وتمثيله وتقمص شخصياته ، وأداء أدواره تقليداً لنماذج من البشر تستحق أن تشاهد كما أن فيه **الحركة** من خلال الحوار ومن خلال الممثلين ، وقد تكون هذه الحركات متوقعة وربما تتطور إلى حركة على أنغام الموسيقى وهذه تقودنا إلى **الغناء والإنشاد** الفردي والجماعي ، وكل ذلك يخدم العمل ويعمقه ويزيد في أبعاده الإنسانية . وتلعب **الإضاءة والأنوار** دورها ، وتتلون كرموز وإشارات تشكل إضافة هامة . . ويساهم **الديكور** ، والفن التشكيلي والتصوير والرسم في بناء المناظر بشكل يجسد جمالها ويكشف للعيون البصيرة . . أما الملابس والأزياء فتكشف في عصرها ، وتوضح شخصية صاحبها وترسم بعض معالمها .

كل هذه الفنون تلتقي فوق هذه الخشبة ، لتقدم مضموناً قد يعالج الصراع الداخلي في نفس الإنسان كفرد أو محاولته التكيف مع المجتمع الذي هو منه ، أو صراعه أو انسجامه مع قوى الكون الذي يعيش ويتحرك في محيطه . . سواء كانت هذه القوى طبيعية أو بشرية .

والمسرح ـ **فوق هذا** ـ عمل اجتماعي لا فردي ، إذ لا يتحقق له الوجود إلا بالجمهور ويرى ويسمع وينفعل ، ثم هو نزهة يخرج فيها صاحبها عن مألوف الحياة العادية ، كمتفرج .

وعلى الرغم من اقتناعنا بكل هذا ، إلا أن مسرحنا العربي يواجه أزمة كبيرة لعلها تكمن في أن الأجيال التي تشاهده اليوم لم تتدرب في طفولتها على تذوق الدراما وعلى كشف روعتها ، لذلك لا تحفل كثيراً بالأعمال التي تقدم . . وقد تكون هناك أساليب عديدة أخرى ، إلا أننا يجب أن نقف عند هذه النقطة وقفة طويلة ، وأن نبذل جهوداً كبيراً من أجل الطفولة ومسارحها التي يجب أن تصل إلى أعماق قرانا العربية ، ويكفي أن نقول إنه قبل الحرب العالمية الثانية ، كان لدى **روسيا** ١١٢ مسرحاً للأطفال قدم في عام واحد ٣٠ ألف حفلة ، وشهد عروضها عشرة ملايين مشاهد ، فضلاً عن ١١١ مسرحاً للعرائس ، في حين كان عدد المسارح كلها ٩٢٦ مسرحاً ، أي إن ربعها كان للأطفال ، وهي نسبة تتفق مع عدد الأطفال ، إذ هم يمثلون هذه النسبة إلى عدد السكان في المتوسط . . أما في **الولايات المتحدة** فليس هناك مدينة إلا وللمجلس البلدي فيها مسرح خاص للأطفال ، فضلاً عن المسارح الأهلية ومسارح المحترفين ، **وقد عقد منذ ربع قرن مؤتمر قومي لمسارح الأطفال أسفر عن منظمة مركزية تنسق وتخطط لمسارح الأطفال التي نمت من ذلك الحين وانتشرت . . ومع هذا النشاط الكبير نشطت حركة الكتابة لهذه المسارح ، وإعداد المخرجين والعاملين فيها ، وتجهيز المسرح ، على أن يكون له مورد مالي ثابت ومجلس إدارة يتحمل أعباء العمل .**

وقد يطول بنا الحديث عن مسارح الأطفال في خارج الوطن العربي ، ولكننا نريد أن يقتصر عما يلائم بيئتنا ، ويصلح لها ، لذلك سنقسم دراستنا إلى شعب أربع : **مسرح المدرسة ، مسرح التعليم ، مسرح الأطفال ، مسرح العرائس .**

مسرح المدرسة

استطاع المسرح أن يتسلل إلى أبنية المدرسة ، ليزامل حجرات الدراسة ، بل لقد نجح في دخول الفصول ذاتها ـ كوسيلة تعليمية ، وخارجها أصبح وسيلة ثقافية تربوية . . ويعتقد المعلمون بدور المسرح ، وإن تصورت قلة منهم أنه مضيعة للوقت ، والحقيقة أن فناء المدرسة الابتدائية قد تحول تلقائياً إلى مسرح رائع يختلط فيه الممثل والمتفرج والمخرج ، وتمتزج فيه الحركة والصوت والموسيقى ، فإن نشاط الأطفال ولعبهم في هذا السن المبكر ما هو إلا « **تمثيل** » ، هذا يتصور نفسه قطاراً ، وذلك يقلد معلمه وهكذا . وكثيرون منهم يتجمعون إلى ألعاب شعبية درامية ، يمثلون فيها في ألعابهم قصصاً تدور حول الذئب والغنم ، والثعلب والدجاج ، والدبة التي وقعت في البئر ، وهم بذلك يمتعون أنفسهم ، ويكسبون الثقة في قدرتهم على إثبات الذات ، وعلى لفت الأنظار ، ويتدربون على أداء الحركات ونطق العبارات ، الأمر الذي يمكنهم من التكيف مع الحياة ، ويفتح أعينهم وآذانهم إلى أشياء جديدة عديدة ، ثم هم يتبادلون الخبرات في شتى المجالات ، ويجربون خيالياً أو واقعياً مواقف الحياة المختلفة ، مستفيدين من ميراثهم الكبير عن الجدود فيما يختص بالأدب الشعبي ، فضلاً عن اندماجهم مع الحيوانات والجمادات متصورين إياها بشراً يتعاملون معهم ، مما يثري خيالهم ويشبع وجدانهم . . وهم فوق كل ذلك ينفسون عن انفعالاتهم واتجاهاتهم ومخاوفهم باللعب والتمثيل ، وإذا ما كبح جماح هذه التعبيرات ظهرت في شبابهم في شكل نزعات غريبة ، يحاولون التعويض بها عن حرمانهم من رغباتهم العارمة في التمثيل واللعب في طفولتهم . وكثيرون يفسرون تصرفات (**الهيبيز**) و (**الخنافس**) وغيرها من النزعات والمذاهب القريبة على أنها كبت حرية حدث خلال الطفولة فانفجر في سن الشباب ، ولو أن هؤلاء تمكنوا من التنفيس عن انفعالاتهم لتحقق لهم النضج ولباعدوا ما بينهم وما بين هذه النزعات والاتجاهات التي يحاولون أن يضفوا عليها ثوب الفلسفة ، وأن يلبسوها مسرح الفكر !!

وحرمان الأطفال من فرصة اشباع خيالهم التمثيلي في الوقت المناسب يؤدي إلى فقدان القدرة على التفرقة بين

الحقيقة والخيال ، وبين الواقع والفن ، وقد يحاول بعضهم تقليد الخيال في واقع الحياة مما قد ينجم عنه عواقب وخيمة . وكثيراً ما يسمع عن حوادث مؤسفة لأطفال يعيدون تمثيل أدوار (طرزان) أو (سوبرمان) أو (فرافيرو) ، لأنهم يخلطون بين ما يجري على الشاشة وبين ما يجري في الحياة .

وقد يضيق البعض برغبة الأطفال في تمثيل المعارك ، والحقيقة أن النزعات العنيفة من عناصر الحياة الضرورية ، وتسربها خلال « **التمثيل** » و (**اللعب**) أسلوب تربوي يفضل تحولها إلى الواقع على شرط أن تكون لدى المعلم القدرة على ضبط الموقف ، تجنباً للعنف الحقيقي .

وخلال هذا التمثيل واللعب ـ لا فارق كبير بينهما في السن المبكرة ـ نستطيع أن نحكم على الأطفال ، فنعرف المجدين والمثابرين من الأنانيين ومحبي الظهور ، ونفرق بين المتعاونين وبين الفرديين . . بل إن هنالك فرصة لعلاج ذوي الميول غير السوية ، وغير القادرين على التعامل مع الآخرين ، والذين يشعرون بالخجل الشديد بين زملائهم .

إن التمثيل ـ في هذه السن المبكرة ـ نشاط ضروري ، له قيمته الاجتماعية والأخلاقية ، كما أنه أسلوب تربوي هام ، ووسيلة تعليمية رائعة .

وليس هناك طفل لا يتوق إلى التمثيل ، ويظهر الولع به منذ الصغر . . وهذه الرغبة في التمثيل هي أساس لعب الأطفال ، وإنهم ليكشفون فيها عن قوة الملاحظة وسعة الخيال وقدرة على الصدق في التعبير يحسدهم عليها الممثلون الكبار .

وإذا أتيح لك يوماً الاشتراك مع بعض الأطفال في لعبهم ، وهو أمر ليس باليسير بالنسبة للكبار ، أذهلك مدى ما يحظى به الطفل من قوة المخيلة ، غير أن الطفل إذا ما لاحظ أن أحد الكبار يراقبه يتوقف عن اللعب ، بل قد يثور أو يبكي . ومهما يكن من اتقان الأطفال لفن التمثيل إلا أنهم لا يدركون في بادىء الأمر موضوع توزيع الأدوار ، كلهم يمثلون كل الشخصيات ، وهم يحبون العمل في مجموعات ، لا كفصل دراسي ، كما أنهم خلال استغراقهم في أدوارهم قلما يهتمون بمواجهة المتفرجين ، بل كثيراً ما يتحتم على الجمهور أن يغير موقعه لكي يشاهد التمثيل . **ومن المهم أن ندرك أنه في السن المبكرة لا حاجة بنا إلى الكلام أو الالقاء بل تكفي الحركة والأداء ، إذ إن الفائدة التي نجنيها من وضوح النطق والتدريب على الالقاء يقابلها فقد التلقائية والسلامة ، ونحن في مسيس الحاجة إليها ، بل إن مدرسة الارتجال في المسرح قد أصبحت بالنسبة للأطفال أمر بالغ الحيوية ، فالروايات المكتوبة تضع الأطفال في قوالب جامدة وتجعلهم يرددون عبارات محفوظة ، كالببغاوات ، في حين تدريبهم على الإبداع والابتكار وتدريبهم على التعبير التلقائي إذا ما تركنا لهم الحرية في اختيار كلمات الحوار التي تناسبهم بعد أن نحدد لكل منهم دوره وموقفه من العمل الروائي أو القصة التمثيلية أو المشهد الدرامي . . كأن نقول لهم :**

— هيا بنا نمثل يوماً من حياة فلاح . . أو مدرس . . أو . . .

وقد تجد طفلاً يقلد والده أو معلمه ، ودأب البعض على تعنيف الأطفال على هذا ، غير أن الواجب يحتم علينا تشجيعهم ، واستقبال الأمر من جانبنا على صورته الحقيقية ، فليست فيه سخرية من الكبار ، ولا هو هزل كله ، بل يجب أن نضعه في مكانه الصحيح .

إن الخيال ضرورة للطفل ، وأغلب المخترعات الإنسانية كان أساسها الخيال الروائي كما جاء في روايات جول فيرن وويلز وسلجاري . . وعقل الطفل الصغير أشبه بالبالون والخيال هو الهواء الذي يمتلىء به ، ويكبر ، ويتسع بعد ذلك للعلم والمعرفة ولسنا مع القائلين :

— لا تبنوا قصوراً في الهواء . وذلك أن القصور لا تبنى إلا في الهواء ، بعد أن نجد لها أرضاً من الواقع تحفر فيها الأساسيات لتحتمل الأدوار العالية ، التي تبدأ خيالا في رأس المهندس . . **والتمثيل وسيلة لاشباع الخيال .**

والأطفال بعد وقت قصير يستطيعون إدراك الفارق بين التمثيل كتعليم والتمثيل كفن . . ويأتي هذا الادراك رويداً رويداً ، كما أنهم يبدأون في إدراك المكان وأهميته ، ويتعرفون إلى « الميزانسين » أي وضع الأثاث والأشخاص في أنسب مكان .

ونحن نبدأ مع الصغار بالحركات الايقاعية ، ثم بعمل مسرحيات من القصص ، ونقترب قليلاً من المسرحية المدونة ، وأداء الأدوار التمثيلية ، مستخدمين الشعر والأناشيد الشعبية ، إلى جانب ارتجال عبارات الحوار .

ولكي يقوم في المدرسة مسرح ، لسنا في حاجة إلى الكثير . . بل إن إخلاء الفصل من المقاعد ، أو ضمها بعضها إلى بعض ، قد يمنحنا مكاناً كافياً داخل حجرات الدراسة ، وفيها نكشف النجوم الذين نستعين بهم في الأعمال الروائية التي قد تقدم بعودة دورية . . ولكننا في الواقع في مسيس الحاجة إلى المعلم المقتنع بالمسرح والفن ، والمدرب على هذا العمل ، والذي يستطيع أن يقوم بدور قائد الفرقة الموسيقية حين ينسق ما بين العازفين ، ليجعل بينهم « **هارموني** » يعزف العمل الفني على خير وجه . . كما أننا في حاجة إلى النصوص البسيطة ، وليس من الضروري أن تكون معدة إعداداً مسرحياً ، بل يمكن أن تكون مجرد قصص وروايات من اليسير تمييز شخصياتها ، ومن السهل أداء أدوارهم ، والتعبير عن مواقفهم ، ويجدر بنا أن نعرف الطفل بالديكور . . ثم المكياج . . والملابس . . وغير ذلك من الأمور الضرورية في مجال المسرح . . كما يحسن بنا الاستعانة ببعض الأدوات . . ويمكننا في توزيع الأدوار أن نعهد لبعض من يعتريهم الخجل بأدوار بسيطة ، كأن يقف كشجرة وتعلو يداه كأنها الفروع ويتحرك مع الهواء ، وذلك يشجعه على أدوار تالية .

ويجب أن يكون واضحاً من البداية أن التمثيل يجب ألا يكون مادة قائمة بذاتها ، بل لا بد وأن يلتحم عضوياً بالأعمال المقدمة سواء أكانت فنية أو تعليمية .

ولا يفوتنا أن نذكر أن الاهتمام بالايقاع والموسيقى ، والأغاني

والأناشيد أمر له ضرورته ، فتربية أذن الطفل من أهم أهداف المسرح الذي يجب أن يقوم بدوره في لفت نظر الطفل إلى الأنغام الموقعة ، والموسيقى المصاحبة للعمل الدرامي .

مسرح التعليم

وإذا كان المسرح يستطيع أن يقوم بدور تعليمي ، إلا أنه في الواقع ثقافة في حد ذاته ، إذ هو يفتح عيون الأطفال على هذا الفن ، ويوجه أنظارهم إلى الأدب المسرحي ، ليدركوا نجومه الحقيقيين : شكسبير وإبسن وشو والحكيم وكاتب ياسين وجورج شحادة ، دون أن يقلقنا أن يبدأ الأطفال في التعلق بأسماء نجوم المسرح من الممثلين ، وفي فرنسا يقومون بتدريس **موليير وراسين وكورني** للأطفال عن طريق أداء مسرحياتهم ، وذلك يغرس في نفوسهم في سن مبكرة روح اللغة ويزرع فيهم حب الفضائل الكبرى . وهناك مسارح مدرسية تتسع لنحو ألفين من المشاهدين . . وتشاهد صفوف الأطفال ومعهم المدرسون يتجمعون لكي يشاهدوا « **المسرح الكلاسيكي الجامعي** » لطلبة مدارس السين كل يوم مدارس حي معين أو لطائفة معينة من الطلبة وقد بلغت عروضهم في أسبوع ١٥٤٥ حفلة شاهدها أكثر من ١,١٧٢,٥٠٠ طالب وهو ليس مسرحاً ، بل فصل جماعي . والهدف من هذه العروض وضع جميع المتقدمين لامتحانات المرحلة الأولى أمام الأعمال الرائعة التي سيمتحنون فيها وأصبحت بذلك لا لعباً وتسلية بل مادة دراسية .

وتجري في مصر تجربة « **مسرحية المناهج** » وهي محاولة لاستخدام المسرح كوسيلة تعليمية ، ويتم تحويل بعض المناهج والمواد المقررة إلى أعمال مسرحية بسيطة تمثل غالباً داخل حجرات الدراسة والأطفال يؤدون الأدوار التمثيلية في هذه المسرحيات ، فترسخ في أذهانهم كممثلين وكمتفرجين ، **والتجربة تحتاج إلى حفظ التوازن في كل عمل بين الفن والتعليم ، وغلبة عنصر على آخر قد يتسبب في عدم نجاح العمل** ، فضلاً عن أننا لن نستطيع مهما بذلنا أن نقدم كل المواد الدراسية في صور مسرحيات ، إن هي إلا نماذج وعينات ، فالأصل في الدراسة هو الكتاب ، أما المسرح هنا فهو وسيلة معينة على الفهم



والدرس ، والوقت والجهد في مجال المسرح فوق القدرات المحدودة للمعلم والمدرسة ، كما أنه من التعسف وضع الكثير من المواد الدراسية في القوالب المسرحية .

ويختلف المسرح المدرسي التعليمي الذي أتيحت لي فرصة زيارة إحدى فرقه في انجلترا وهي فرقة (**يرسبيرت**) في جرينتش بلندن ، التابعة لشركة (**المسرح والتعليم**) ويقدمون أعمالا في المدارس وفي المسرح يراها التلاميذ لقاء ما تدفعه المدرسة ثمناً للعرض . وهم يتلقون إعانة من مجلس الفنون ، ومن وزارة التربية . . ويبذلون جهوداً كبيرة لاقناع المجلس والوزارة والمدرسة بأنهم (**معلمون فنانون**) ، وترسل الفرقة إلى المدرسة مشروعاً يشرحه المدرسون داخل حجرات الدراسة .

وكان مشروع عام ١٩٧٠ م ، تحويل المدرسة إلى « **مدينة** » والتلاميذ سكانها ، كل منهم له عمله وحرفته . . وكل منهم يرسم لوحة العمل الذي اختاره ، هذا رجل شرطة وهذا طبيب وهذا . . الخ . وهم يحاولون تغطية كل المهن التي توجد في مدينة ما . . ويدخل الممثلون المدرسة ، وفي مقدمتهم بطل الفريق ، وهو مدرس وممثل ومغن وموسيقي ، وهو يمثل دور المغني الشعبي فيحمل الجيتار ، ويدخل في حوار مع التلاميذ ، أي أهالي البلدة ، يسألهم ويسألونه ، وهو يوجه دفة الحديث نحو موضوع معين ، قد يكون « **الفضاء** » أو « **النهر** » أو « **المسرح** » . . وخلال ذلك يفتعل الممثلون حريقاً ليروا كيف يتصرف الطفل الذي اختار لنفسه دور جندي المطافىء ، وكيف يتصرف الطبيب ورجل الاسعاف في مثل هذه الظروف ، ثم يتحول أهل البلدة - أي التلاميذ - إلى جنود إذ يتقدم عدد من الطلاب على هيئة جيش من الغزاة يريدون احتلال المدينة ، ويدافع عنها أصحابها ، ويختار فريق التمثيل أربعين من الطلاب الممتازين الذين أحسنوا أداء أدوارهم ، ليشتركوا في العمل المسرحي الذي يقدم في المساء على خشبة المسرح ويشهده كل أطفال المدرسة . وهذا العمل يدور



حول موضوع مدرسي في منهج التلاميذ .

وكانت روايات سنة ١٩٧٠ م ، تدور حول « **الفضاء** » و« **نهر التيمس** » و« **المسرح الإغريقي** » . وهناك برنامج للصغار بعنوان « **سفينة نوح** » وهذه البرامج يرويها المعلم الممثل ، الذي أصبح أليفاً للأطفال .. وتتخللها مقاطع تمثيلية وغنائية وجمهور الأطفال يقاطعها يسأل والمدرس يجيب وقد يضطر إلى تغيير النص والاعتماد على التلقائية . وملابسهم أثناء التمثيل عادية ، وقد يرتدون ملابس تاريخية ، أو ملابس ذات ألوان غريبة ، وربما قاموا بالتمثيل وعلى رؤوسهم أقنعة .

مسرح الأطفال

انتشرت مسارح الأطفال في روسيا وأميريكا قبل الحرب العالمية الثانية ، واحتفل قبل سنتين بمرور عشرين عاماً على مسارح الأطفال في ألمانيا الشرقية وانجلترا ، وأنشىء أول مسرح عربي للأطفال في مصر سنة ١٩٦٤ م .

والمقصود بمسرح الأطفال ذلك المسرح البشري الذي يقوم على الاحتراف من أجل الأطفال والناشئة فحسب ، والذي حدد وظيفته الاجتماعية بأنها مساهمة عن طريق العمل الفني في التربية وبناء الأجيال الصاعدة . ولهذا المسرح **أهداف أخلاقية عالية** تسير جنباً إلى جنب مع المتعة الفنية إذ يجب أن يسلي جمهوره ويقدم له تجارب ممتعة على أن يكون في هذه التسلية واضح الغرض والهدف قوي السرد ، بالغاً في الجد ، عميق الحكمة ، حافلاً بالبهجة ، ويجب أن تكون المسرحية عوناً للطفل على تلمس أفكاره وسط عالمه الخاص وبيئته الذاتية . أما المغزى فيجب أن يكون ممتزجاً تماماً بالمتعة الفائقة للمسرح ويطل الهدف من حين لآخر في يسر وسهولة . إن المتفرج الصغير رغم أنه لم يكون بعد موقفاً محدداً من ظواهر بيئته إلا أنه يعرفها معرفة جيدة ، وحتى إذا كانت تعوزه الرؤية ، فإنه يدرك التفاصيل . ومن ثم لو تخلف المسرح عن الحياة الفعلية التي يعرفها الطفل فسرعان ما يتكشف له زيف الموضوع ، لذلك يجب أن يسعى المسرح دائماً إلى كل ما هو جديد في المادة والمضمون والشكل .

إن مسرح الأطفال في الواقع مسرح لاكتشاف الشجاعة والتجربة لذا يجب أن يكون المبدأ الرئيسي للعاملين فيه أن يدركوا كنة الحياة جيداً ويعايشوا عصرهم بكل متطلباته ولا بد من التخلص من أثقال التقاليد واكتساب شخصية متميزة لكي يؤدي رسالته .

والهدف من مسرح الأطفال في جوهره تعليمي إلا أن العنصر التعليمي يجب أن يندمج في العنصر الفني مستفيدين من الفهم العميق لنفسية الأطفال دون أن يثقل عليهم بعروض مباشرة لا تضيف إلى مفهوم الطفل جديداً للذين يبحثون عن مثل عليا ليس في بيئتهم فحسب ولكن على خشبة المسرح أيضاً ، وأن عملاً فنياً يلتحم فيه الشكل بالمضمون لكفيل بترك أثر لا يمحى وقيمة تربوية عظيمة .

وقد بلغ عدد مسارح الأطفال في روسيا قبل الحرب العالمية الثانية ١١٢ مسرحاً ، وبلغ عدد الحفلات التي قدمتها مسارح برلين الشرقية في عام ١٩٦٩ م ، ٤٢٣ حفلة شاهدها ربع مليون طفل تقريباً .

ومسرح الأطفال في أميريكا تابع لمجالس المدن فكل مجلس مدينة ينشىء فرقة تعمل خصيصاً من أجل الطفل على مسرح المجلس .. أما في روسيا فيديره مجلس إدارة خاص تابع لمجلس الفنون وقد تم في السنوات الأخيرة إنشاء ما يسمى « **الجمعية الدولية لمسارح الأطفال والناشئة** » وتضم ٢٢ دولة وتنظم مهرجانات سنوية لمسارح الأطفال وتصدر مجلة في كل من باريس وبراغ .. **ومسرح الأطفال جهاز مسرحي كامل تنطبق عليه كل الوسائل الفنية والجمالية لمسارح الكبار .**

ويقوم هذا الجهاز المسرحي المعد إعداداً تربوياً وفنياً باختيار النصوص الصالحة للعرض ، وهناك شكوى دائمة من قلة النصوص الجيد فإن فن كتابة الدراما للأطفال عمره لا يتجاوز ربع القرن .

والكاتب المبدع صاحب الموهبة ، الذي يكتب لمسرح الأطفال يجب أن تكون له روح المخرج ، وأن يلم بحرفية التأليف المسرحي ، بحيث يكتب ما يلائم جمهور المتفرجين من المسرحيات القصيرة التي تحتاج إليها الأندية والمدارس ومراكز الشباب ، كما أن الخبرة في إخراج المسرحيات تنجي الكاتب من البدء من نقطة العنصر وتجنبه الأخطاء .

ويجب أن يفهم الكاتب جيداً الأطفال ويحبهم ويحترمهم ، ويعيش معهم حياة حميمة ، لا أن يقف مشاهداً ، للأطفال ، فارضاً سيادته ووصايته عليهم .. ولا يكفي للكاتب أن يعرف مجموعة من الأطفال ممثلين في الجيران أو تلاميذ مدرسة أو أبناء حي معين ، بل على الكاتب أن يتفهم جيداً جمهور المتفرجين من الأطفال ، وأن يعرف ما يثير اهتمامهم وما يشدهم إلى العمل الدرامي ، وما يضحكهم أو يثير مشاعر العطف أو

الحب في قلوبهم ، وعليه ألا يعتمد على ذاكرته في اكتشاف آثار الأعمال الفنية بل يسجل خواطره ويبوبها ويخرج بالإحصاءات والنتائج القابلة للمناقشة والتعديل مع التجارب التالية :

على الكاتب المسرحي أن يفهم أن أدب الأطفال كل لا يتجزأ . وأنه مطالب بدراسته جملة ، وليس الوقوف على المسرح وحده . . إن **أساطير بيدبا وأيسوب ، وأشعار الأطفال لشوقي والرصافي والهراوي ، وكتب قدماء المصريين والحثيين ، وألف ليلة وليلة وذات الهمة وأبو زيد الهلالي ومغامرات صعاليك العرب وحكايات كامل كيلاني وسعيد العريان وغير ذلك أكثر ضرورة للكاتب المسرحي من قراءة المسرحيات .**

وليس معنى هذا الاهتمام أن نقف عند هذا ، بل لا بد من أن نتخطى مراحلها إلى مسرحيات عصرية حديثة مؤلفة أو روايات عصرية بمسرحية تعالج مشكلات اجتماعية تهم الأطفال .

ويمكن الاعتماد على التراث الإنساني بجانب المحاولات الدائبة لايجاد المؤلف العربي الذي تتناسب أفكاره وكتاباته مع ظروف الجيل الناشىء كما أنه لا بد وأن تكون هناك محاولات دائبة لاستحداث شكل عربي جديد للنص وأسلوبه .

على أن هذه الكوادر العاملة في حقل مسرح الأطفال يجب تشجيعها مادياً وأدبياً ولا بد أن تتاح لها الفرصة لمشاهدة البلدان الأخرى .

والنص إذا تسلمه مخرج مبدع فنان يتفهمه يستطيع أن يجعل الحياة تدب فيه ، وفي مقدوره أن يملأه بالحركة والاثارة وأن يجعله غنياً بالعواطف والمواقف التي تشد الطفل فتبلور له قيمة معينة وهو بذلك يقوم بإضافة جديدة إلى النص الجامد على الورق حين يقدمه حياً عن طريق الاختيار الجيد للممثلين وتحريكهم ببراعة وسط ديكور معبر وملابس مناسبة مع الاستفادة من الإضاءة لابراز الزوايا المختلفة في النص على أن يصاحب كل ذلك الموسيقى التي تعبر عن المواقف وتلتحم بالعمل التحاماً عضوياً إذا ما صاحبها الغناء .

على أن هذا لا يحول بيننا وبين أن يؤدي الأطفال البارعون في التمثيل دورهم على المسرح ، ولكن لا بد من أن نرعى باهتمام شديد هؤلاء الأطفال فنتابع أعمالهم في المدرسة وسلوكهم خارج وداخل المسرح ولا بد أن يقابل أي انحراف من جانبهم بشدة وحزم وأن نكون يقظين في دفع المكافآت العينية والمادية ويجب دائماً أن يتبادل الطفل دوره مع زميل له أو عدة زملاء حتى لا نشغله في جميع العروض ولا بد أن تحاط التدريبات بالرعاية العملية والتربوية اللازمة حتى يتسنى له أن يتلق المبادىء الفنية في إطار بسيط .

أما بالنسبة للممثل الأكبر سناً فيجب أن يدرك أنه يمثل لجمهور من الصغار فينطق كلماته في وضوح ويغنينا عن مخارج الألفاظ ويتحرك الحركة الطبيعية الخالية من التناقض كما يجب ألا تكون له لازمة شخصية يمكن للأطفال تقليدها بعد مشاهدة العرض .

ومهمة المخرج في اختيار الممثل صعبة إذ يجب أن يحسن اختيار أفضل العناصر وأن تكون شخصيات العمل المسرحي قريبة من الطفل شكلاً ومضموناً كما أنه يجب ألا يبالغ في اظهار الشر ولا داعي لأن يظهر الشرير قبيحاً في شكله ، فيجب أن يعرف الطفل أن الدنيا فيها الشر وفيها الخير وأن الخير ينتصر على الشر دائماً فضلاً عن أن الشر ليس مرتبطاً باستمرار بالمظهر الخارجي .

ولا يجب على الطفل الممثل تقليد المخرج تقليداً أعمى في أدائه بل يجب أن يعطي الدور شيئاً من ذاته وتعبيراً خاصاً به يستطيع عن طريقه أن يؤثر في جمهور المشاهدين .

أما فيما يختص بالديكور المسرحي للأطفال فيجب أن يدخل في تكوينه الخط الفني البسيط بمعنى أن يكون غنياً في التعبير مع بساطة التكوين .

وقد أتيحت لي فرصة مشاهدة مسرحية عن ساحر يسرق نهراً ، وقد ظهر النهر على خشبة المسرح على هيئة ورقة زرقاء طويلة ، أقيم من فوقها جسر ، وكان اللون ضرورياً في اجتياز النهر فلا يجتازونه إلا من خلال الجسر البسيط ، على أن يكون الديكور مثيراً للخيال كأن يظهر على المسرح كهف **علي بابا** أو **بيت التنين** أو **الغابة** ، غير أن اللون يلعب دوراً هاماً في التأثير على الطفل المشاهد فيجب أن تكون الألوان زاهية أو لصورتها الأصلية ويمكن استخدام (اكسسوارات) في غير أحجامها الطبيعية كأن يظهر مقص ضخم الحجم أو ملعقة العملاق ، وقد شاهدت على المسرح أبريق شاي تحدث آثاره اهتماماً كبيراً بين المشاهدين .

كذلك يمكن استخدام الخدع لتحريك الأشياء وانطاق الجماد ، الأمر الذي يثير خيال الطفل ويشد انتباهه على ألا نفرط في هذا حتى لا يأتي برد فعل عكسي أو رد هذا إلى تبرير معين .

أما بالنسبة **للملابس** فيجب دراسة شكلها التاريخي دراسة متناهية مع تميزها حتى لا تختلط الأنماط المختلفة ويجب أن يكون الممثل يقظاً فلا يلبس ساعة يد مثلاً وهو يمثل عصر المماليك أو عصر بغداد الذهبي ولا تخلو الملابس أحياناً من المبالغة أو الرمز .

ويمكن الاستفادة أيضاً من لبس الأقنعة التي تعبر عن حيوان معين أو إنسان خرافي .

ويجب أيضاً أن يؤخذ في الاعتبار التوازن اللوني بين الملابس .

أما **الاضاءة** فعلى المخرج أن يفيد منها أي إفادة وحبذا لو استخدم كشافات ذات ألوان مختلفة تعبر عن المواقف بدقة فمثلاً يستخدم النور

الأحمر في المواقف العنيفة والأخضر في المواقف الآمنة أو مناطق مزدوجة والأصفر في الشمس أو العراء والأزرق في المياه وضوء القمر . . الخ .

على أن كل هذه العناصر ، التمثيل الديكور الملابس الاضاءة ، لا بد وأن يتم التنسيق بينها في توافق شامل يتيح فرصة للموسيقى كي تلعب دورها بالتعاون مع الحركات الايقاعية .

وبذلك ننتج عملاً يفيد المشاهدين الذين يجب ألا يكون دورهم هو التلقي فحسب بل حبذا لو شاركوا في العمل بالغناء والانشاد . ويختلط الممثل بالمشاهد وتقوم بعض المسارح بعد العرض بفتح أبواب الكواليس لجمهور الأطفال ويتجولوا بينها لمشاهدة ومقابلة الممثلين ورؤية غرف الملابس والماكياج لكي يعبروا للممثلين عن رأيهم فيما شاهدوا من أدوار .

كما أن بعض المسارح تعقد ندوات للأطفال عقب انتهاء العرض المسرحي لمناقشة العمل . وكثيراً ما يبدي الأطفال آراء صائبة تفيد القائمين على المسرح .

مسرح العرائس

لا يكتمل الحديث عن مسارح الأطفال إلا إذا طرقنا موضوع « **مسرح العرائس** » ، وقد لعبت « **الدمى** » منذ وقت بعيد أدواراً اجتماعية لها شأنها وقوة تأثيرها قبل أن تظهر على المسرح وما زلنا نجد بعضها منحدراً من أعماق الزمن الضارب في المجهول ، متمثلاً في بقايا المجتمعات البدائية المعاصرة والمنعزلة عن الآفاق الحديثة ومجال تياراتها .

وتحدرت الدمى إلينا منذ عهد مصر القديمة . والدمى الفرعونية المحفوظة في **اللوفر** في باريس : توحي مفاصلها وطريقتها في القبض على العصا بأن مسرح العرائس يرجع إلى **حضارة مصر القديمة** ، إذ كان لصغار المصريين ألعابهم الفصلية المتحركة ، من الحيوانات والبشر .

أما **العرب** فمن المعروف أنهم استخدموا **خيال الظل والعرائس** منذ وقت بعيد ، وقيل إن **صلاح الدين الأيوبي** استفتى القاضي الفاضل في هذا الفن : **أهو حلال أم حرام** . . وعن طريق الحروب المسماة بالصليبية انتقل استخدام العرائس إلى أوروبا ، وقيل إن البداية كانت عن طريق الاستفادة من العروس في عرض الأزياء ، وقد أدى التنقيب عن الآثار القديمة في **اليونان وإيطاليا** إلى اكتشاف دمى لها مفاصل تتحرك ، وقد ربطت رؤوسها بحبال تعلق منها .

وبدأت مسارح العرائس تزدهر في **أوروبا** في القرن السابع عشر وقد كانت صناعة العرائس والبراعة والاتقان في إنتاجها على الافادة منها في المسرح ، واشتهرت مدينة **سونتبرج** بألمانيا بإنتاج عرائس خشبية جميلة ، وبديعة ، أما **باريس** فقد عرفت بصناعة دمى تتكلم وتحرك عيونها وصار إنتاج هذه الدمى صناعة هامة وحيوية ، وأخذت طريقها إلى خشبة المسرح لتلقى الاهتمام الكبير الذي فاق في بعض الأحيان الإقبال على المسرح البشري .

وقدمت مسارح العرائس الكثير من الكلاسيكيات الرائعة مثل أعمال **شكسبير وموليير** ، وتطور ذلك الفن حتى أصبح له متخصصون في مجالاته المختلفة ، وبالذات في مجال التأليف ، واشتهر بعض الكتاب باتقان الكتابة للعرائس ، كما اشتهر فنانونا بالقدرة على إخراج هذه الأعمال بشكل ساحر ، واهتم علماء النفس بالدمى ، وهناك دراسات عميقة لكثيرين في هذا المجال وبالذات **ماريا موتنسوري وفروبيل** ، فقد كتبا الكثير عن تأثير هذه الدمى على التربية العقلية والحسية والاجتماعية للأطفال .

ومسرح العرائس ليس خاصاً بالأطفال فحسب ، بل إن الكبار يحتفون به ، ويهتمون بمشاهدة عروضه ، وتستهويهم هذه العروض ، وبعضها لا يصلح للصغار ، وقد أدى **ابرازوف** الكثير من العروض العرائسية في جبهة القتال أثناء الحرب العالمية الثانية ، وقد شهدت للمسرح التشكيلي تجربة ناجحة ، لمشهد حواري يدور بين رجل وعروسه ، حول « **الحب** » والحوار عميق ، والحركة ليست بطيئة ، والأحداث التي تجري لها دلالات دقيقة تحتاج إلى متابعة يقظة .

والسؤال الذي قد يلوح لنا .

— لماذا نلجأ للدمى والعرائس في تقديم المسرحيات للأطفال ؟

الدمية رفيقة للطفل منذ سن مبكرة ، وصلته بها قوية ، كما أن الطفل يتعامل معها إنسانياً ، وقد روى **توفيق الحكيم** في كتابه « **فن الأدب** » تجربة لطفل صغير دخل يصرخ لأمه ، ويستدعيها لانقاذ خالته من يد شرطي ، وعندما خرجت الأم لنجدة شقيقتها اكتشفت أن الطفل رأى المشهد كله في عرض لمسرح الاراجوز ، ولم يستطع التفرقة بين « **العريس** » وبين خالته . . والطفل أيضاً يتقبل من الدمية الكثير ، مما لا يتقبله من « **البشر** » فضلاً عن استمتاعه الكبير بما يجري أمامه من حركات تؤديها الدمى ، وكلمات تجري على ألسنتها ، وأغنيات تنبعث منها . . كما أنه يعجب بشكلها ، وملابسها والديكور البسيط الذي يصاحب أداءها لأدوارها .

أما عن قدرة الدمية على اضحاك الأطفال فهي قدرة لا حدود لها خاصة إذا كانت تمثل حيواناً قريباً لنفسه كالقرد ، والتمثيل الصامت لها يسحر الطفل بدرجة فائقة ، وبالذات في مجال المحاكاة التهكمية والتقليد . والواقع أن الطفل يحيا مع العرائس في خيالات رائعة ساحرة ، تجعل لمسرح العرائس التفوق في كثير من الأحيان على المسرح البشري ، وقد استخدم هذا المسرح كوسيلة تعليمية وترفيهية وتثقيفية في كثير من المدارس ، ودخلت العرائس حجرات الدراسة ، في أعمال درامية تعاون في شرح الدروس وتدرب الصغار على صناعة العرائس وتحريكها . وهي أيضاً أسلوب علاجي لكثير من مشكلات الأطفال ، وطريقة للتعرف على الحالة النفسية للصغار والكشف عما يعانونه .

ومسرح العرائس يستخدم ألواناً ثلاثة من الدمى ، تحتاج منا إلى التعريف بها ، وبإمكاناتها حتى يمكن الافادة منها :

- **أولا :** مسرح العرائس ذات الخيوط (الماريونيت) .
- **ثانياً :** مسرح العرائس القفازية .
- **ثالثاً :** مسرح خيال الظل .

ولنتحدث عن كل منها بالتفصيل :

أولا : مسرح العرائس ذات الخيوط (الماريونيت)

إن مسرح العرائس ذات الخيوط هو أكثر مسارح العرائس إمكانيات وأوسع مجالا في التعبير ، فهو يستفيد من العروس وحركتها ، والديكور والموسيقى والقصة الدرامية ، والعروس قد تكون خشبية أو من القماش أو من الورق المضغوط ، وهي تصنع بشكل يكفل لها الحركة الواسعة ، وتكثر مفاصلها ، ويصبح من السهل عليها أن تحرك كافة أجزائها وبالذات أطرافها ، وهي زاهية الألوان ، لها ملابس كاريكاتورية التصميم ، وتنسق ألوان الملابس والعروس مع الديكور . ولاعب العرائس هو بطل مسرحنا ، لأنه قدير على أن يفيد من طاقتها على الحركة ، بل إن **البعض يرى أن مسرح العرائس يبدأ من حيث ينتهي المسرح البشري** ، أي إن قدرة العروس تفوق القدرة العادية الطبيعية لمثل الإنسان وتتقدم عليه كما أن الدمى ليست قاصرة على البشر ، بل هناك دمى حيوانية وأخرى للطيور ، وللأشياء كلها مربوطة بالخيوط التي تحرك كل أجزائها ، على أن تكون هذه الدمى كبيرة الحجم إذا ما حركت على خشبة مسارح كبيرة حتى يتمكن الأطفال من مشاهدتها ، ويجب ألا نهتم بموضوع « **النسب** » في صناعة العرائس ، فقد يكون هناك فأر أضخم من الفيل ، ومقاييس إنتاج العرائس ليست هندسية ولا هي مقاييس عادية .

ومسارح العرائس ذات الخيوط لا بد لها من ديكور تلعب العرائس من خلاله ، ومناظر مسطحة أو مجسمة تعطي تأثيراً ، لا جمالياً فحسب ، بل تكون موجبة بالمكان أو الزمان لتيسير الإخراج ، كما أن الإضاءة تلعب هنا دوراً حيوياً ، إذ كثيراً ما تفسد الظلال بعض الأعمال ، كما أن من الممكن الافادة من الإضاءة الملونة التي تبعث أجواء معينة على أداء العمل الدرامي .

ثانياً : مسرح العرائس القفازية

هذا المسرح يعتمد كما هو واضح من اسمه على عرائس تلبس في اليد كالقفاز ، وهي بسيطة وتحريكها أسهل ويستطيع الأطفال التدرب على صناعتها وتحريكها ، وإن كان المحترفون يحركونها ببراعة شديدة ويتمكنون من ايجاد جو رائع يحيا فيه المشاهدون ويندمجون مع ما يرونه أمامهم ،



وأبسط أشكال هذا المسرح هو المعروف باسم « **القراقوز** » ، فيختفي اللاعب وراء ستارة لا تكشف إلا الدمية ذاتها ، واللاعب يستطيع أن يحرك أكثر من دمية ، كما أنه يؤدي أكثر من دور ، وفي مقدوره أن يغير من صوته ، ويمكنه من أن يقدم مشاهد مضحكة ، بأصوات كاريكاتورية ، ويستخدم هذا اللون من العرائس في الفصول الدراسية ، لأنه لا يحتاج إلى الكثير من الأدوات والمعدات والمناظر ، قد تصاحبه الموسيقى ، وقد تكون هناك بعض الديكورات أو اللوحات المرسومة التي توحي بالمكان أو الزمان ، ولكنه في غالب الأمر يستطيع أداء دوره بأبسط الأدوار ، ويمكن الافادة منه في تبسيط بعض الدروس ، ومن بين المناهج الدراسية التي أمكن تحويلها إلى مسرح بعض دروس العلوم التي تتحول فيها « **الجزرة** » و« **الطماطم** » إلى عرائس تتحدث وتتحرك وتلعب وتغني خاصة إذا اشترك في العرض أكثر من لاعب ، وهناك مسارح متنقلة من



هذا النوع ، توضع في حقيبة يد صغيرة ، وتحتوي على ما يناسب غرفة صغيرة تكفي لثلاثة من اللاعبين مع مجموعة ضخمة من العرائس .
ومسرح العرائس القفازية لا يحتاج غالباً إلى اضاءة خاصة ، وإذا ما عمل هذا المسرح ليلاً فإن الاضاءة يجب أن تكون أفقية وفي مستوى العروس حتى لا يكون لها ظل يحجب رؤيتها كما يعزل دون مشاهدة تعبيراتها المختلفة والحركات التي تؤديها . وقد نجحت بعض البلاد في تحريك شفاه هذه العرائس بل وعيونها ، بل قد يستطيع الأطفال رؤية الدموع فيها ، فضلاً عن الحركات الأخرى لليدين والرأس والوسط . ويمكن البعض من تحريك أجزاء في الوجه فتبدو العروس مبتسمة أو حزينة .

والمسارح القفازية ممتعة بالنسبة للأطفال صغار السن ، كما أنها صالحة للعرض على شاشة التليفزيون ، وهي قليلة التكلفة إذا قيست بغيرها من الأعمال المسرحية ، وقد استطاعت إيطاليا أن توجد للأطفال فأراً بطلاً ، اكتسح **ميكي ماوس ، الكارتون** . . والفأر الإيطالي عروساً اسمها **(توبوجيجو)** لقيت إقبالا منقطع النظير . كما أن التليفزيون البريطاني يعرض مشاهد ساحرة لفتاة أمريكية ، تستطيع عن طريق عروس - هي حمل صغير - أن تناقش قضايا عديدة . . والفتاة لها مقدرة الكلام من بطنها لذلك يجري الحوار طبيعياً بين العروس والفتاة ، التي تستطيع أن تستخدم عروساً ثانية بيدها الأخرى ، ويصبح لدينا ثلاث شخصيات : تتعامل مع بعضها وتتحرك وتتكلم في عمل درامي جذاب .

ثالثاً : خيال الظل

هذا المسرح هو أقدم أشكال مسرح العرائس ، ويختلف عن الماريونيت والقفاز في أن عرائسه غالباً مسطحة ، **من الكارتون أو الجلد أو البلاستيك** ، على أن تكون شفافة ومفصلية ، يسهل تحريكها من خلف ستار تسلط عليه الأضواء الملونة من الخلف ، ويجلس الأطفال لكي يشهدوا ظلال هذه العرائس وخيالاتها ، وتنقلهم إلى أجواء ساحرة . وهذا النوع من المسرح يصلح للأساطير والحكايات الخيالية ، وقد تقدم تقدماً كبيراً في السنوات الأخيرة ، وأسماه البعض « **مسرح** » خيال الظل الصيني ، وبدايته كانت ولا شك « **صندوق الدنيا** » الذي تتحرك شاشته وتتابع صوره ثابتة مرسومة ، وتطور هذا الفن لتتحرك الشخوص أفقياً أو رأسياً على الشاشة الموضوعة أمام الجماهير ، وكل معدات هذا المسرح سهلة الحمل والنقل ، كما أنه يحتاج إلى موسيقى تصاحب العمل الروائي الذي لا يستغرق وقتاً طويلاً .

مسرح العرائس العربي

وقد بدأت تجارب مسرح العرائس في وطننا العربي منذ وقت بعيد واستولى اللاعبون على انتباه الشارع خلال عصور طويلة ، ولكن المسرح الرسمي للعرائس بدأ في مصر عام ١٩٥٨ م ، حين زارت القاهرة فرقتان للعرائس : واحدة من **رومانيا** والأخرى من **تشيكوسلوفاكيا** ، وتدرب بعض أصحاب المواهب على يد خبيرتين من التشيك على فن تصميم العرائس وتحريكها وإخراج برامجها ، وبدأ العرض الأول برواية بعنوان « **الشاطر حسن** » ، ومنذ ذلك الحين والمسرح يقدم عروضه ، ومن أنجحها (الليلة الكبيرة) و (حمار شهاب الدين) ، وعرائس الفرقة تصمم بشكل يمكنها من تحريك عينيها ويديها ورجليها ، وقد قدمت الفرقة بعض المسرحيات المدرسية مثل **(صحصح لما ينجح)** ، ثم أنشأ المسرح فرقة جديدة باسم **(المسرح الأسود)** قدم برنامجاً بعنوان مدينة الأحلام واعتمد البرامج على الفن التشكيلي كأداة أساسية في التعبير المسرحي .

هذا وقد دخلت العرائس مدارسنا كوسيلة تعليمية ، كما أن التليفزيون العربي يقدم بعض البرامج عن طريق العرائس في برامج الأطفال .

صفحة مفقودة

صفحة مفقودة

العربية ، يتجلى المجهود المبذول في سبيل إبراز الشخصية التونسية العربية الإسلامية ، من خلال نسبة التزايد ، فقد تزايدت الكتب الأجنبية بنسبة ٣٠٪ ، في حين بلغ تزايد الكتب العربية منذ ذلك الوقت نسبة ١٣٠٠٪ » .

المخطوطات .. وأهميتها

وعن المخطوطات بالدار ، وكيفية تجميعها ، وأبرز المخطوطات الموجودة بالدار قال :

لم يكن رصيد المخطوطات هنا يتجاوز غداة الاستقلال الـ ٤٥٠٠ مخطوط . وعلى إثر القرار الرئاسي الصادر في سبتمبر (أيلول) ١٩٦٧ م ، والقاضي بتجميع المخطوطات الموجودة في المساجد والزوايا ، تجمع بدار الكتب الوطنية قرابة ٢٥٠٠٠ مخطوط ، أقدمها مجموعة **المكتبة العتيقة بالقيروان** التي تضم حوالي ٢٣٠٠ مؤلف من **مصاحف قرآنية** مخطوطة على الرق الأبيض الناصع ، أو الرق الأزرق الكبير الحجم الذي انفردت به القيروان عن بقية دور المخطوطات في العالم كله ، وأكثرها كتب بماء الذهب الخالص ، وهي تمثل بنصاعتها وجمال تهذيبها ودقة خطها قمة ما وصل إليه الإعتناء بالعلوم الإسلامية . ومن أشهر العناوين بها :

- أجزاء من تفسير ابن سلام المتوفي سنة ٢٠٠ هـ ، وهو يعد من أقدم التفاسير .
- واضحة ابن حبيب .
- أسدية ابن الفرات .
- جامع ابن وهب .
- مرويات أبي العرب التميمي وعلي بن أحمد الوراق .
- سماعات الحارث بن مروان .

وللحفاظ على هذه الثروة العظيمة تم تجهيز قسم المخطوطات بجهاز مكيف للهواء ، وآخر لمراقبة درجة الرطوبة ، كما تم تعقيم جميع محتويات مخزن المخطوطات ، هذا إلى جانب ورشة الترميم والتسفير التي تسهر على تعهد مختلف المخطوطات بكل أوجه الصيانة .

إن المخطوط بصفة عامة أنفس من الكتاب المطبوع ولكن ذلك ليس في جميع الحالات ، فقد يتوفر لدينا أحياناً من نفس المخطوط ١٥٠ نسخة ، فلا يكون المخطوط سوى نسخة عمل لا غير .

هل في إمكاننا الآن أن نقيم هذه المخطوطات ونصنفها إلى نفيس وغير نفيس؟ لم يقع البدء في هذا العمل بعد إلا بالنسبة للقليل فقط ، لأنه عمل صعب المنال . بل إن التعريف الموجز فحسب يتطلب منا مجهوداً كبيراً نتوقع أنه سيستغرق مدة ثلاث عشرة سنة . وهو عمل لم نشرع فيه إلا منذ سنة ١٩٧٦ م . فقد شرعت المؤسسة منذ هذه السنة في الفهرسة الشاملة لجميع المخطوطات ، وقد صدر إلى الآن من هذا الفهرس العام ، الأجزاء الأربعة الأولى مشتملة على ٤٠٠٠ عنوان ، بمعدل ألف عنوان للجزء الواحد ، بالإضافة إلى الفهارس الخاصة الفرعية التي صدر منها فهرس المكتبة العبدلية ، وفهرس الأحمدية ، وفهرس مخطوطات المرحوم حسن حسني عبد الوهاب .

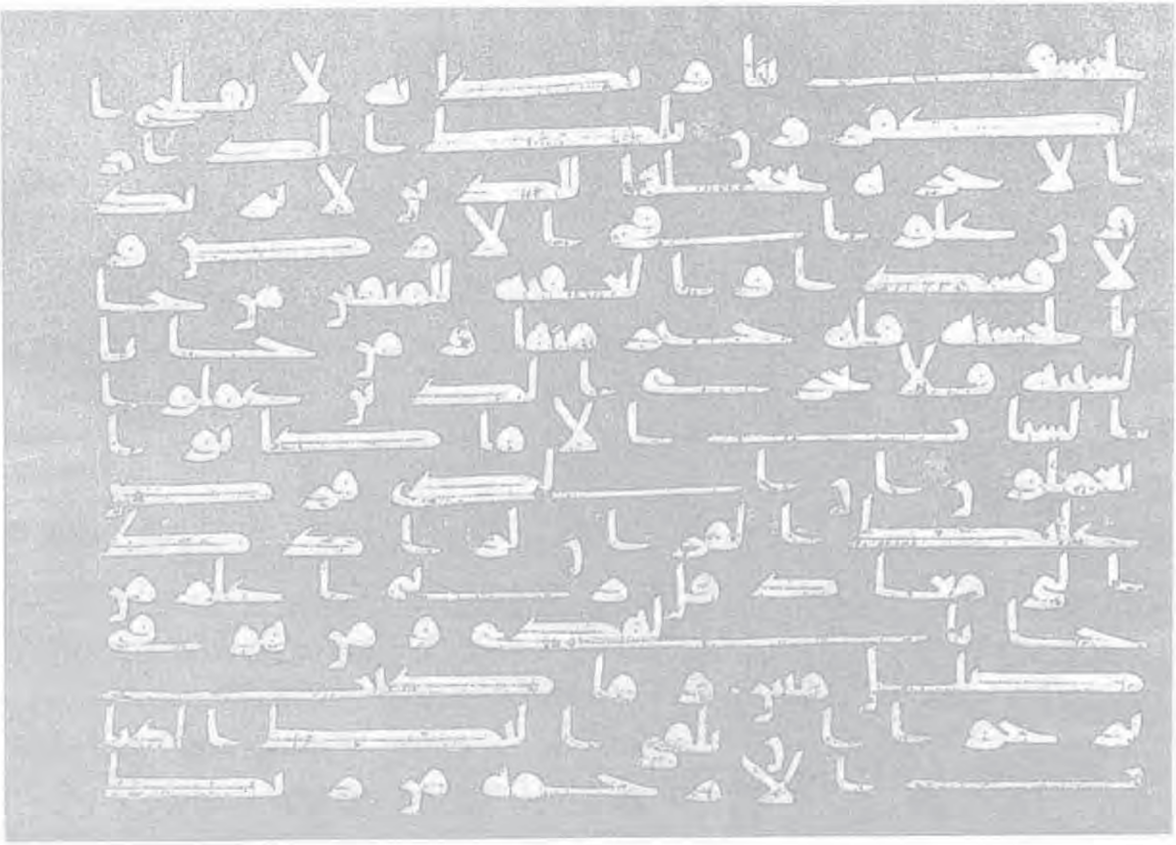
إن طاقتنا اليوم لا تحتمل أكثر من تقديم ألف عنوان كل ستة أشهر ، ولكن إلى جانب هذه الغربلة الضرورية الأولى ، بدأنا ننتقل بصيانة المخطوطات إلى مرحلة التصوير على الأشرطة (الفيلماج) ، ولكن هذا العمل ما زال في خطواته الأولى ، إذ ليس من الضروري تصوير جميع المخطوطات حتى غير النفيس منها ، وما دامت مرحلة الفرز الحقيقية والسليمة لم تقع بعد ، فإننا نختارها على أساس طلب القراء والباحثين ، القريب منهم والبعيد ، فكل ما يطلب منا مخطوطاً نصوره ونحتفظ بنسخة مصورة منه ، على أن عملية التصوير هذه يومية بالنسبة لنا .

ومن الملاحظ أننا نعطي الأولوية للمخطوط التونسي ، كشهادة على تاريخ هذه البلاد ، وهذه المخطوطات التي نعطيها الأولوية في التصوير مثلاً ، صارت بحكم قيمتها التاريخية أو الأدبية .. مراجع قومية عربية ، ومن ذلك المدونة ، والأسدية ، وتفسير ابن سلام ، وإحدى نسخ مقدمة ابن خلدون ... ونحن نملك الكثير من هذه الوثائق ، بسبب تلك العادة التي ما زالت موجودة عند أهل هذا البلد ، وهي عادة « الكنانيش » التي يجمع فيها التونسي مقتطفات من مطالعاته أو يثبت بها خواطره وتأملاته ، وقيمة هذه الكنانيش تتفاوت من شخصية إلى أخرى ومن كنش إلى آخر ، وليس كل ما فيها يتطلب المحافظة عليه .. ولكن ذلك لا يمنعني من لفت الهمم إليها ، لأننا سنجد فيها بلا شك آراء تونسية ، إما صريحة أو بالاستنتاج .

إن عالم المخطوطات ما زال عندنا بكراً ، فنحن لم نستطع التعريف بكل عنوان موجود في المجاميع وهي كثيرة ، وإنما نعرف بعنوانه الأول فقط ، في حين

عز الدين فلُّوز
مدير دار الكتب التونسية

- من مواليد مدينة تونس (العاصمة) عام ١٩٣٢ م .
- ليسانس أدب فرنسي - جامعة باريس .
- حصل على شهادات في التاريخ واللغة العربية ، والفلسفة .
- كما درس في معهد الدراسات السياسية بباريس ، والمدرسة الوطنية للادارة في باريس أيضاً .
- تولى عدة مناصب إدارية ، وتربوية .
- يعمل حالياً مديراً لدار الكتب الوطنية التونسية .
- له نشاطات علمية ، ومن مؤلفاته كتابان عن الحج صدرا باللغتين العربية والفرنسية .



★ صفحة من مخطوط بدار الكتب الوطنية التونسية ★

أن المجموع الواحد قد يحتوي على عدة عناوين تختلف في مواضيعها أو في كتابها أو في الاثنين معاً . وعندما تمت فهرسة الألف الأولى ، وكشفنا عن عناوين المجاميع الثانوية عثرنا على ١٠٠٠ عنوان تحت الألف المعروفة ، ويدخل ذلك في هذه العملية الأولى ، عملية الغربلة والتعرف المحدود .

علاقة الدار بغيرها

وعن أوجه التعاون القائمة بين دار الكتب الوطنية وغيرها من مؤسسات التوثيق الموجودة داخل البلاد وخارجها تحدث السيد فلوز :

« لا تنفك دار الكتب الوطنية تعمل على ربط الصلة بمؤسسات التعليم العالي والبحث العلمي ، ومراكز التوثيق بالبلاد من مكتبات عمومية ، ومكتبات مؤسسات إدارية وغيرها ، قصد التعرف على حاجياتها وتزويدها بالمعلومات حول ما تحويه رصد الدار من وثائق تهمها ، وفي هذا الإطار أعددنا بعض الفهارس المجمعة التي تعرف بجملة الوثائق الموجودة في البلاد في بعض حقول المعرفة كالفهرس المجمع للدوريات الفلاحية والفهرس المجمع لدوريات العلوم الطبيعية .

ثم إننا ننتهج سياسة تبادل قومي للوثائق عن طريق المكتبات العمومية ، بحيث يمكن للمكتبات الجهوية الحصول على نسخ من الوثائق التي تهمها والمودعة بدار الكتب الوطنية لمساعدتها على تكوين نواة مركز توثيق خاص بالجهة ، ونحن نعمل إلى جانب ذلك على انتهاج سياسة تبادل دولي قصد استيعاب الوثائق الخاصة بتونس أو الصالحة للباحثين التونسيين ، وبالمقابل نعمل على تلبية الطلبات الصادرة عن مؤسسات التوثيق العربية أو العالمية وعن الباحثين العرب والأجانب .

ومن جهة أخرى ، تسهر دار الكتب الوطنية على تطبيق مقررات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، المتعلقة بتوحيد التقسيمات في مجال العمل الببليوغرافي ، وخاصة منه التصنيف والفهرسة . وتضطلع دار الكتب الوطنية بدور التنسيق بين وحدات شبكات التوثيق بتونس لحثها على تبني هذه الطريقة السليمة الموحدة والعمل بها » .

مشاكل الدار

لكل مشروع مشاكله ، وعن المشاكل والعقبات التي تتعرض لها الدار يجيب مدير الدار قائلاً :

« لعل هذا الاستفسار يحوصل مختلف الأسئلة السابقة . لأن المشاكل التي واجهناها ونواجهها تتعلق دون شك بما سبق التعرض إليه . إن الهدف الذي لا يمكن لدار الكتب الوطنية أن تحيد عنه هو تجميع الإنتاج الفكري التونسي والتعريف به تعريفاً وافياً عن طريق ما يسمى بعبارة شاملة « الببليوغرافيا

القومية » ، وأن تعرف هذه المؤسسة القومية بجملة ما صدر من عناوين في التراب القطري هي صيغة دنيا . وإذا أردنا أن يكون هذا التعريف دقيقاً نوعاً ما ، فلا بد أن يوصف هذا الإنتاج حسب التقسيم المتفق عليه الآن ، وقد سبقت الإشارة إليه ، أي حسب ما يسمى « بالتصنيف العشري الدولي » ، ويسمى كذلك ، لأنه مثل عقود الأعداد ، إذ يشتمل على عشرة أصناف كبرى ، يتفرع كل صنف منها إلى عشرة فروع يتجزأ كل منها إلى عشرة أجزاء ، إلى غير ذلك . . . لقد توسعت في الحديث عن ذلك رغم أنها وظيفة دنيا ، لأنه لو لم تتوفر لدى دار الكتب الوطنية الإمكانات البشرية ذات الكفاءة الجيدة والإمكانات المادية للتجميع والنشر ، لاستعصت هذه الوظيفة . وهذا ما كان يقاسيه أسلافنا فعلاً ، مما جعل دار الكتب الوطنية لا تقوم بهذه الوظيفة الدنيا منذ الاستقلال إلى سنة ١٩٤٧م .

فعندما تسلمنا مقاليد هذه المسؤولية ، رأينا من واجبنا أن نسُن أولا سنة البيليوغرافيا القومية فأعددنا وأصدرنا ببليوغرافية سنة ١٩٤٧م ، لكننا أضفنا إلى ذلك ببليوغرافيا جامعة شاملة لجميع ما صدر بالبلاد منذ الاستقلال إلى السنة المذكورة ، وذلك في جزء من (١٩٥٦م - ١٩٥٨م) و(١٩٦٩م - ١٩٧٣م) . وكانت اصداراتنا لسنتي ٧٥ و١٩٧٦م ، سنوية ، أما ابتداء من سنة ١٩٧٧م ، فأردنا أن نسرع في تعريف القراء والباحثين بالمطبوعات الجديدة ، وذلك من واجبنا ، كل ثلاثة أشهر . وهذا يقتضي أن تتوفر لدى المؤسسة ، بدرجة أولى ، إمكانات تجميع هذا الرصيد . ولهذا التجميع قانون يشرعه ، هو قانون الإيداع . ولم يكن يوجد هذا القانون بالمعنى الصحيح قبل سنة ١٩٧٥م ، حيث حصلنا على قانون لهذه الوظيفة ، يقتضي أن يودع كل ناشر أو طابع لكتاب أو دورية أربع نسخ منها مجاناً بدار الكتب الوطنية . وهو قانون مشفوع يتعرض كل من لا يقوم بواجبه في هذا المجال ، إلى عقوبات ، وليس ذلك اقتصاداً ، بل إن الغاية منه قبل كل شيء ، التعريف الآلي السريع بكل ما يصدر . . وقد بدأ الناشرون والطابعون أنفسهم يهتدون إلى أن من مصلحتهم إيداع نسخ من منشوراتهم لما في ذلك من تعريف بها عن طريق النشرات الببليوغرافية . إلا أن ذلك ما زال في نطاق محدود وما زلنا نواجه صعوبات في إقناع جملة الناشرين والطابعين بمدنا بالعدد المطلوب من النسخ في الوقت المناسب ؛ كما أن ذلك لا يكفي ، فنحن ما زلنا نفتقر أيضاً إلى الإطار الكفء القادر على تتبع هفوات المودعين أنفسهم ، حتى يطبق القانون على الوجه الأكمل .

وقد أشرنا إلى أننا في المرحلة البسيطة جداً ، أي مرحلة التعريف بالعنوان فقط ، ولو انتقلنا إلى تجريد الدوريات التونسية مثلاً ، وهو عمل هام ، لكان ذلك صعب المنال ، إذ يتطلب أضعاف العدد الحالي من المفهرسين بأربع مرات .

ومن ناحية أخرى ، نلاحظ أن من المشاكل الهامة القائمة الآن هي عدم التعارف الحقيقي بين المؤسسات داخلياً وخارجياً . فكثير من المؤسسات يجهل إمكاناته ، وهذا الجهل ناتج عن طريقة العمل التي تنتهجها ، فهي لا تصدر مثل هذه البيليوغرافيات المعرفة التي هي سبيل التعارف السليم . وعلى سلم الوطن العربي هناك مجهود يبذل في توحيد طرق الفهرسة وتتبعها ، كما أشرنا سابقاً ، وقد أقيم أخيراً في تونس مؤتمر فني أكثر منه تشاوري ، ورشحت تونس لهذا المؤتمر نظراً للدور الرائد الذي تقوم به في هذا المجال ، وتونس هنا بمثابة همزة الوصل بين العالم العربي وهذه التقنيات الجديدة التي تتماشى ومقتضيات العصر المتميزة بانفجار إعلامي كبير ، وبالتالي ، بظهور عدد مهول للكتب . . ومن هذه التقنيات عملية التصنيف العشري التي أصبحت لا بد منها ، وبذلك يتم تبادل الفهارس والعمل بها . . . على أن إيجاد الإطار الكفء يبقى هو المشكلة الأساسية ، فلا بد من وجود عدد كبير من الموظفين والأخصائيين ، ومهما تكن الإمكانات الآلية ، فإن الإمكانات البشرية والفكرية لا بد منها .

ومن المجهودات المبذولة على مستوى العالم العربي ، أن تونس دعيت سنة ١٩٧٧م ، إلى تقديم قانون إيداع صالح لجميع البلدان العربية ، وقد تم إنجاز نموذجه وستقع مناقشة لهذا النص في مؤتمر الرياض في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٩م .

* * *

عند هذه النقطة انتهى حوارنا مع السيد عز الدين قلوز ، مدير دار الكتب الوطنية التونسية ، الذي سلطنا من خلاله الأضواء على هذه الدار التي تضطلع بدور هام يتطلب تضافر الجهود العربية والإسلامية من أجل ابراز الوجه الحضاري الفكري والعلمي لأمتنا ، وتخليداً لجهود علمائنا ومفكرينا الذين أسهموا بعطاءاتهم الحضارية في مختلف حقب التاريخ .

إنها دعوة مفتوحة لكل المؤسسات والدور العربية المهتمة بشؤون تراثنا للتعاون المثمر الذي يدعمه الصدق والإخلاص في العمل . . والله الموفق .

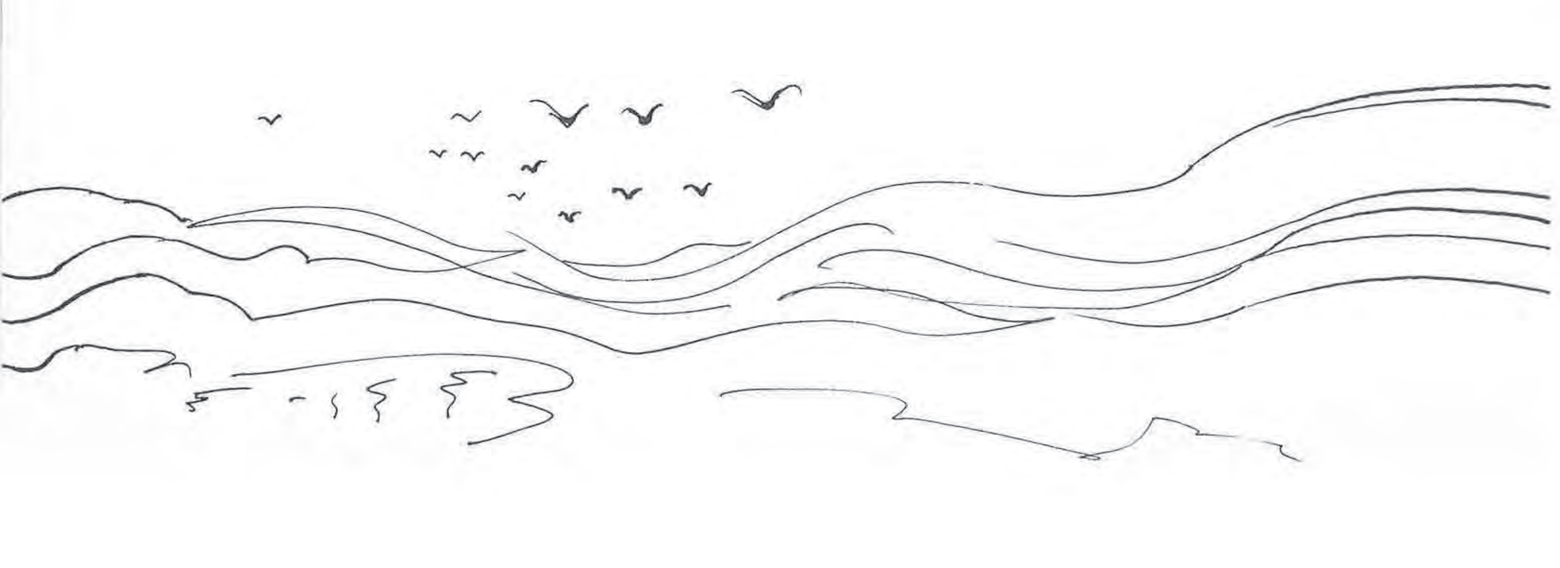




الهوى الشاكي

شعر : عثمان بن سيار

أطلت فيك ترانيم الهوى الشاكي يا روضة ما عرفت الشدوَ لولاك !
جمّعت لي من فنون الزهر أنفذها عطراً وقلت : حذار وخز أشواكي !
من لي بأن أتقي شوك الغرام وقد نصبت في لحظك الفتاك أشراكي !
وتعلمين بأني هائمٌ أبداً بالسحر تسكبه في القلب عيناك !
وما أبالي جراحاً منك أيسرُها عندي هيامٌ دؤوبٌ جارحٌ باك !
ما دُمت لي رغم شحط الدار ذاكرة هانت لعمري تباريح الهوى الشاكي !



قصة قصيرة

بقلم: محمد علي قدس

زمن الحزن الباقي



في الوقت الذي دخل فيه إلى جوف (**الأوتوبيس**) ، كانت الأفكار تتزاحم في رأسه كتزاحم الناس في هذه **الحافلة** المكتظة بالركاب . بحث عن مكان يجلس فيه ، كل الأنظار اتجهت إليه ! وجد فراغاً في نهاية (الأوتوبيس) . . ! انصرفت الأنظار عنه بعد أن أخذ مكانه الذي كان بالكاد يتسع له ـ وهو على ما هو عليه من نحول ـ ، أخذ بدوره يتفحص الركاب بنظرات متلجلجة لا استقرار فيها . داخله مضطرب ، وصدره يتمزق ، مشرط نطاسي هرم ينكأ له جراحه ، وهو لا يزال يمارس فراسته في وجوه الناس .

الأنفس هنا . . تعكر صفو الجو ، أحدهم تجشأ تجلسة ، رائحة الثوم في بطنه تفضح همجيته ، الرائحة خرجت لتزكم الأنوف ، تصدع البعض لتلك الرائحة ، وتقلصت الوجوه وانكمشت مشمئزة ، ووجوه أخرى انصرفت بالتفكير في أشياء أخرى ! ، الجو في داخل (الاوتوبيس) أشبه بجو القبور ، رائحة العرق المتفصد من الأجسام . . زادت الجو سوء وكراهية ! لم يكن المكان الذي جلس فيه بالقدر الذي يسعه ، جلس وجسمه محشور ، وكتفيه مشنوقين . كآبة معتمة تظلل قسمات وجهه الفاقع السمرة . . ، حبات الشعر النابت في وجهه ، زادت من تقلص عضلات وجهه المكتئب . الإحساس بالضيق يكاد يقتله ، أحاسيسه المضطربة لا تصرفه عن تفرس الوجوه باحتراف .

كانت نظراته أقل حدة من نظرات ذلك الشاب الأسمر ، الذي تبهره أضواء المدينة ، وهو يشاهدها لأول مرة ـ على ما يبدو ـ لقد جحظت عيناه حينا وقعتا على جسد امرأة أجنبية سافرة كانت تمشي على الرصيف ، ابتلع المسكين ريقه ، ورفع (**كوفية**) رأسه الحليق ، ما لبث أن هرش رأسه بحسرة ظاهرة .

الفرق بينه وبين ذلك البدائي الظامئ ، أنه لا يحترف القنص بالعيون ، ولا يتعاطى النظرات العطشة ! . . فهو يمعن النظر للتأمل والهروب ، أما ذلك الشاب المتعطش ، فهو يُشبع بالنظر مما يشتهي .

رفع يده واعتصر أنفه ، كم يود لو يجدعه ، إنه ضيق مكشوف ، ليته يفعل ليستحي ذلك الشقي ويكف عن إصدار تلك الروائح الكريهة (!) رائحة الثوم زكمت أنفه ، تباً لذلك الشقي القذر ولروائحه النتنة ، الزحام كفيل بخنق الناس ، وهذه الروائح سوف تصدع رؤوسهم . . !



.. ايه يا زمن الحزن .. يا زمن الجفاف !

كان يود لو يصرخ ملء رئتيه ، لو تنفجر أحشاؤه بصرخة أم ثكلى ، ليخفف من ضغط الحزن والاكتئاب في نفسه .. ، **حينما تكون اللحظات حُبلى بأوجاع وخيالات مضنية ، وذكريات مؤلمة متداعية ، فإن اللحظة التي يأتي فيها المخاض تكون الأقسى والأعظم دائماً .**

الصرخة تفجر في نفسه متاهات الأحزان ، والألم يوقظ في نفسه الشجن ! ما أقسى أن يكون لزمن حزنه بقية ! ولحظة المخاض التي ينتظر ، هي لحظة الصدق التي سيواجهها ، اللحظة التي يُسدل فيها الستار على قصة حزن قديم متجدد ، وجرح ينزف في داخله بغزارة .

.. ايه يا زمن الحزن .. يا زمن النزف !

ما أقسى أن يكون لزمن الحزن بقية ! صراع في داخله يحتدم . عيونه تحدق في كل الوجوه بلا تمييز ! سبحان خالقها ، ومن صنع لها أقدارها ، وجه تراه منبسطاً ، وآخر منقبضاً ، وابتسامة عريضة وأخرى باهتة .. هذا هو ما يميز الوجوه .

أحس بغثيان شديد تقلصت له أمعاؤه ، الرائحة تفوح من جديد ، تناثر العرق حبات صغيرة على جبينه ، أيكون ذنبه أبشع من ذنب ذلك الذي يصدر رائحة الثوم العفن من بطنه ، ولا يرعوي ؟ ! .

الشاب البدائي الظامئ .. لا زال يتصيد بنظراته النهمة كل الأجساد هنا ، الأوتوبيس توقف عند (بوتيك) لأزياء النساء ، كان أشبه بالاكول الذي وقعت عيناه على قصعة مليئة بالأرز واللحم !

لوزة حلقه تصعد وتهبط بارتجاف ، مسح العرق المتفصد من جبينه براحة يده ، قلبه يضطرب في خوف ! إذا كان هو قادر على كتم الصرخة في صدره ! فإنه يعجز عن إخراس دقات قلبه المتتابعة ، لا زالت الأفكار تخامر ذهنه الشعث . الجرح في داخله يتفتق من حين لآخر ، اللحظة القاسية تتداعى أحداثها في مخيلته لحظة بلحظة ! .



.. ايه يا زمن الحزن .. يا زمن العطش !
(ومن الظمأ ما قتل !) ..

راودت ذهنه تلك العبارة وبدون إرادة منه اتجه ببصره نحو الشاب الظامئ الذي يزرع عيونه على طول الطريق . مر (الأوتوبيس) بحائط شبه متهدم ، عبارات سخيفة كتبت عليه بلا أدنى حياء ، والقاذورات تلطخ أسفله ـ انفرجت

شفتيه عن ابتسامة باهتة ـ وهؤلاء العابثون ، ألا يحق عقابهم ؟ أما من قانون يجرمهم ، ويحملهم وزر ما اقترفوه من ذنب .. شوهوا به واجهات المدينة ! ؟ . . ـ حتى وإن كانوا أطفالا صغاراً ، أليس من الواجب تأديبهم وتعليمهم الآداب العامة ؟ .

تمخض أحدهم وبصق في أرض الحافلة بعد سعال طويل ، فاشمأزت نفسه . توقف الأوتوبيس في المرة القادمة ، وكان أول المترجلين عنه . لقد أحس بطعم الحياة .. حينما خرج إلى الهواء الطلق ، كان عليه أن يسير على قدميه بقية المشوار ! لا بأس فالمسافة من «**ميدان البيعة**» إلى أول «**شارع الملك عبد العزيز**» ليست بعيدة ، حتى وان كانت شمس ذلك اليوم ملتهبة الأوار ، إلا أنها أرحم بكثير من استنشاق الهواء الفاسد .. الذي كان يفوح داخل ذلك القبر السيّار !! .

بعد أن خرج من (الأوتوبيس) ، أخذ يعفر تراب الأرض بقدميه ، لا يدري كيف انقضت مسافة الطريق ، أحس كأن الدنيا غير الدنيا ، وهو غير ذلك الإنسان الذي عرف ، لقد غيرته المحنة . إحساس بالضيق تارة يساوره ، وآخر غريب يخامره ويعجز عن تفسيره ـ الدنيا بكل همومها وغمومها تنكفىء على أنفاسه ـ إنه إحساس يزداد تأثره به كلما اقترب من الهدف الذي يود الوصول إليه . بارقة أمل متوهج تلمع في عينيه الذابلتين ، في لحظات الحساب القديم ، تستيقظ الأحزان في النفوس وتتكاثر فيها يرقات الهموم كما يتكاثر السمك ! لقد استفاق ضميره متأخراً ، بعد أن تولد الحزن في نفسه ، وبعد أن كبر الجرح الممض في داخله . الندم يسوقه إلى نهاية المطاف بكل إصرار ! .. حزنه بالزمن الباقي يؤلمه بعنف .

.. ايه يا زمن الحزن ! .. يا زمن الندم !

صوت السيارة التي مرت بالقرب منه مسرعة ، كاد سائقها الأرعن يدهمه ، لقد أيقظ ذلك الصوت في نفسه لحظة مؤلمة تفتق لها جرحه ، وازداد بها حزنه .. صوت مكابح السيارة ، نواح مفجوع ، وصوت في ألم يصرخ .. يصرخ ! يخترق أذنه .. فيحزن .. ويألم ! .

وتمنى لو أن تلك السيارة قد دهمته ليستريح . لكن الموت في تلك اللحظة لا ينقذه من الموقف الذي هو فيه ، إنه لا يريد الموت قبل أن يقف لحظة الصدق .. فيبوح بالسر المدفون في صدره ! .

وألقى برأسه المثقل بهمومه .. لتصطدم ذقنه بصدره الهش ! والألم يوخز قلبه الذي استيقظ !! مرّغ بالوحل وقاذورات الطريق نظراته المنكسرة ، وجسمه كعود من القصب .. رنحته ريح البحر التي هبت من الغرب .. ، لحظات الحزن تصفع وجهه بوحشية . رفع رأسه إلى بناء شامخ لم يكتمل ، وجال ببصره فيه ، زاغت نظراته وتشتتت ، ثم ألقى بها على الأرض في حزن وأسى شديد .

.. ايه يا زمن الحزن ! .. يا زمن الجرح !

وقف أمام الضابط المناوب !! الرعدة قد غادرت جسده ، رأسه لا يزال مطأطأ ، رفعه بوجه شاحب ، وقد بدا وكأنه الحزن قد شيّب فوديه الأغبرين ، وحبات الشعر في وجهه .. طالت أكثر وأكثر ! .. التقت نظراته المهيضة بنظرات الضابط الصارمة ، وكأنه يسأل نفسه في حزن .. (ترى ألزمن الحزن بقية .. ؟ !) .

وقبل أن يتفوه الضابط بكلمة ، كان فمه قد تحرك ، بعد أن بلل شفتيه الجافتين ..

.. (أنا من تبحثون عنه يا سيدي ؟) .

قصة قصيرة

تأليف : تاماس بـاراني
ترجمة : عدنان الداعوق

مشيد المدينة

يا صديقي العزيز كم هو جميل أن أراك . وكم هو رائع أن نلتقي . ربما تستطيع أن تساعدني . اصغ إليّ . أنت تعلم على الأقل ، بقدر ما أنا أعلم ، أن تصميم عمل وفقاً لموضوع ما ، لم يعد مستحباً في عصرنا هذا وفي بقعتنا من الأرض . منذ « **مايول** » كرهنا المثال الأدبي كمضمون للنحت . ولسنين عديدة تبنينا التكوين الحر للأشكال ، التمازج المتحرر للعناصر الفضائية المستقلة ، مع ابعاد أية فكرة أدبية أو أخرى ترمز إلى قصة .

والآن ، تمالك نفسك . لأول مرة في حياتي أريد أن أنحت تمثالا له موضوعه .. نعم . وليس فقط أي موضوع ، **صراحة أريد أن أنجز عملاً فنياً ضخماً يصلح لأن يحتل وسط إحدى ساحاتنا الرئيسية** ، وهذا ما أود أن أستشيرك فيه لأني في الوقت الحاضر لا أعرف كيف أبداً .

في الواقع ، لي صديق ، كان رفيقاً عزيزاً لي في أيام الصبا الماضية وزميلاً لي في الصف لبعض الوقت ، وأنت تعرف كيف يكون الأصدقاء من هذا النوع ، لو صادفت أحدهم بعد مرور سنين ترى أنكما تتقابلان وتتحادثان بنفس الطريقة التي كنتما تألفانها منذ عشر سنين أو حتى عشرات السنين ، هذا بالطبع لو كنتما صديقين حقيقيين . حسناً التقيت بهذا الرجل منذ مدة وجيزة ، وكنا قد تركنا **المدرسة** منذ خمسة وعشرين عاماً .. تصور كم من الثرثرة دارت بيننا ، لا أقول إننا لم نلتق ثلاث أو أربع مرات في مدى العشرين سنة تقريباً الماضية ، ولو كان ذلك ، ففي ظروف كهذه يتدفق الكلام من الإنسان ولا يغضب . هنأني على جوائزي ومعرضي وهنأته لأني كنت أقرأ اسمه من وقت لآخر . إنه مسافر لمحاضرة هنا ومؤتمر هناك ، لقد أصبح شخصية مرموقة ، وبعد أن انتهينا من الإطراء كل واحد منا على الآخر سألته :

« **ماذا عن عائلتك ؟** »

حدق بي قائلاً : **أي واحدة ؟**

فقلت وأنا أبتسم : ما الخبر . **كم عائلة لك ..؟**

أجابني بدون أن يرف له جفن : « أربع . أنظر فقط إليّ » .

وعندما أشار إلى نفسه أمعنت النظر فيه وتفحصته بدقة : **سترة حقيرة . قيص قطني رخيص . ربطة عنق مغضنة** . لم ادرك ذلك في بادئ الأمر لأن الأناقة في فتنا هي بالثياب الرثة وذلك تمشياً مع العادة المتبعة ، وعن تساهل مع الذات ، ولا أعرف لماذا أيضاً ولكن في السبل الأخرى للحياة .

سألته : « **كيف تسير الأمور معك ؟** كنت أظن أنك تجني ربحاً وافراً » .

قال : « **نعم بكل تأكيد ولم أتوقف يوماً في مدى عشرين سنة .... ولكني تزوجت أربع مرات وماذا في الأمر لا توجد نفقة في أيامنا هذه . ولا توجد فقط بيوت . أنت تعرف ما نوع هذه البيوت** » .

تنهد وأخذ يشرح لي الأمر : « تزوجت لأول مرة منذ ثمانية عشر عاماً وطبعاً سكنت مع زوجتي بالإيجار ولكن لم تكن هذه حياة .. فبدأنا نحن الاثنين بالتقتير على أنفسنا والتوفير من أجل استملاك بيت . واكتمل المبلغ لدينا بعد أربع سنين ، بالحرف الواحد قطعنا الطعام عن أفواهنا وأخيراً عندما أصبح بامكاننا شراء الشقة والانتقال إليها كنت قد تعرفت على زوجتي الثانية فودّعت الأولى وذهبت بضمير مرتاح لأنها أبقت الشقة معها كتعويض كامل أو مكافأة ، وتم الطلاق بيننا على هذا الأساس وهذه الشروط ، وتزوجت من « **كلارا** » ، ومرة ثانية سكنت مع زوجتي بالإيجار لمدة أربع سنين جديدة .

مرة ثانية كان من نصيبنا الحرمان النبيل في سبيل الغاية المقدسة .. في سبيل البيت وعندما تجمع لدينا المبلغ وتحققت لنا أخيراً أمنيتنا بامتلاك شقة ، كنت قد تعرفت « **بأليس** » لخراب بيتي وتم الطلاق بيني وبين زوجتي



المجهول

وبقيت الشقة معها .. ففي هذه المرة كنا قد رزقنا بابنة وأردت أن أكون شهماً ، وجدت نفسي من جديد أسكن بالإيجار وبالإضافة إلى ذلك في « **أوجست** » والتزمنا مرة أخرى بالحرمان العظيم . لا نمتع أنفسنا بمشاهدة فيلم واحد أو مسرحية واحدة ، ولا نتناول فنجاناً من القهوة ولا نشتري ثياباً جديدة .. ولا نعاشر الأصدقاء ولا شيء فكل قرش ضروري لعشنا الصغير .. ماذا أقول لك .. كانت هذه أيضاً أياماً مثقلة بالحرمان ، ولم أكن في الخامسة والعشرين من عمري ، في هذه المرة جمعنا المبلغ في ثلاث سنوات ، لقد كانت « أليس » تعمل وتأتي هي أيضاً بربح وافر .

وجاء اليوم السعيد للانتقال إلى الشقة الجديدة ، واليوم الأسعد لفرشها ، وعندما بدأنا نسترد أنفاسنا ، أحببت زوجتي الحالية ولم تمانع « أليس » بالطلاق شرط أن تكون الشقة من نصيبها .... واستولت هي عليها .. فكل شيء يهون في سبيل الفوز « **بأستر** » .. هذه المخلوقة الرائعة يا صديقي العزيز .. علماً بأنها تعودت على الحياة الرغدة وكانت مدللة في صغرها ، فهي تتعشى الآن بعض شرائح اللحم المعلب في وكر قذر يسمى غرفة بالإيجار بدون أن تتفوه بكلمة عتاب واحدة .. على مر السنين جمعنا معاً مبلغاً لشراء شقة ، والآن أسعى لإيجاد أية مساعدة تمكننا من استعمال هذا الأمر قليلاً ، ربما تعرف أحداً في **البنك الأهلي** ؟ لا ؟ خسارة لا أزال بحاجة إلى مائة ألف فلورين آخرين ولكن تجمع الآن لدينا مائتان وخمسون ألفاً ، وبهذا المبلغ يمكننا أن نباشر بشراء شيء بعدها لن يبقى إلا الأثاث وأخيراً سأكون على ما يرام ، إنني في الثالثة والأربعين من العمر ، وأظن أنني سأمتلك كل ما أشتهي في الخامسة أو السادسة والأربعين ..

انتصب حينئذ ووضع يده في جيبه لأخذ بعض النقود ، لكنه لم يخرج إلا ورقة من فئة المائة فلورين وسألني بخجل ألا تدعوني إلى فنجان من القهوة يا صديقي القديم هذا هو المبلغ الذي أحمله فقط ولا أريد أن أصرف منه شيئاً فإذا فككته .. أنا في طريقي إلى المصرف أتفهم ؟

هززت برأسي وشد كل منا على يد الآخر بدون كلام وابتعد . إنسان متعب منحن ، رداءه مثير للشفقة ، لقد عاش في غرف مستأجرة لمدة عشرين سنة ولكنه أوجد أربعة بيوت وبروح عاشقة . ومن يدري كم من بيت سيكون له . !

يا صديقي العزيز .. منذ ذلك الوقت وأنا أفكر في موضوع هذا التمثال أريده ضخماً لإنسان ضعيف البنية هزيل الكتفين خائر الصدر .. وعلى القاعدة ستكتب بحروف ذهبية لامعة هذه الكلمات :

(إلى مشيد المدينة المجهول .. الأجيال القادمة ستعترف بالجميل لا محالة .)

قصة قصيرة
بقلم : فاروق منيب



الكئيب والزهرة !

في الحديقة الصغيرة كنت وحدي . أزهار الربيع تتفتح حولي . اللون الأخضر يملأ عيني ، لكن الوساوس تجتاح قلبي . أحاول أن أطرد الأحزان من صدري . في مكمني أفرش ظلي . فجأة هلّ عليّ طيفه . بادرني بالتحية . غاب وعيي لحظة . تماسكت أمامه . استجمعت شجاعتي المفقودة . لم أعد أخاف منه . طالما صاحبني سنوات . ابتسمت رغم المرارة التي أحملها تجاهه . أكرهه ... أكرهه . رجوته مستعطفاً أن نشرب الشاي معاً ، مدّ إصبعه يسألني :

ـ هل أنت سعيد ؟!.

قلت وابتسامتي تزداد اتساعاً :

● يعني . !

قال : **ـ انظر هذه شجرة التفاح تبشر بمحصول جيد هذا العام . أليس كذلك ؟! .**

تعجبت من كلماته ، لكني أردفت :

● الحمد لله ... الحمد لله .

قطف زهرة وفركها بين أصابعه .

غضبت . لم تهنْ عليّ الزهرة . تعبت في ريها . كنت أتأملها يوماً بعد يوم . أراقب نضجها دائماً . خطف فرحي مني . هز شجرة التفاح ، فتساقطت الزهرات الجديدات . دعوت الله أن يكف نشاطه المدمر . قمت لأعمل له الشاي .

هو يعرف طريقتي في إرضائه . فرَّ متضايقاً . لا يحبني ودوداً وطيباً وكريماً . يريد أن ينفث سمومه في بدني مباشرة . طالما أجلت ضربته القاضية أكثر من مرة . طاشت سهامه تجاهي ، لكنه يسكن في داخلي لحظة وراء لحظة . حملت أكواب الشاي بين يديَّ . رفض أن يتناول مني نصيبه . رشفت رشفة . كان الطعم في فمي علقماً . همست في سري ... دعني أشرب



قطرات الشاي بسلام . لم أستطع أن أتبين ملامحه . كان كتلة هائمة مجسدة تخيفني في وجودها أو عدم وجودها ، في الليل أو النهار ، ساعات الفرح أو الحزن ، عندما أودع ابني في الصباح إلى المدرسة ، أو عندما أستقبله في الساعة الرابعة مساء وهو عائد منها يشتاق إلى رؤيتي ، عندما أمسك كتاباً لأقرؤه . لف حياتي كلها بعباءة سوداء قاتمة . أسدل عليّ ستاراً من الخوف والرعب المقيت . أفتح نافذتي لأشم بعض النسمات ، فأراه يندفع في أنفي وصدري مهتاجاً .

في هذه اللحظة يريد أن يتكلم معي . سمعت صوته لأول مرة ، فإذا به خليط من العدم واللاجدوى . صوت ليس كمثله صوت ، لا أستطيع وصفه أبداً . تعودت على أصوات البشر . كل واحد منها له طعم ولون ورائحة .

أعرف ما تريد هذه الأصوات مني . لي الحرية أن أستجيب لها أو أرفض . إلا صوته الفاتر الغامض المسموم . يملأ أذني فناء ولا شيئاً . تطلعت إلى ورقات الزهرة الذبيحة . تمنيت ألا يمتد تخريبه إلى حديقتي الصغيرة بعد ذلك . أراد أن يجس نبضي فقال :

- هل تعجبك هذه الحياة ؟! .

قلت :

● أموت فيها ! .

قهقه في الفراغ . لا أدري ما الذي أضحكه . سخر قائلاً :

- ولماذا تموت فيها وأنا موجود معك . أنا تحت أمرك .

غامت الدنيا في عيني . كان البكاء لا يفيد معه . جربته طويلاً معه . شعرت بأني قشة في مهب الريح . أردت أن أرفع ذراعي في وجهه محتجاً ، لكني لم أستطع . برد فنجان الشاي

أمامي . كانت السحب محملة بالغيوم . تمنيت أن تمطر كثيفاً حتى أكفر عن ذنوبي . أردت أن أنسحب دون اعتراض ، فأوقفني بلكمة خفيفة قائلاً :

ـ إلى أين ؟! .

قلت :

● أريد أن أتنفس هواء نقياً !

قال :

ـ ألا تعجبك هذه الحديقة ؟ .

قلت :

● تعجبني جداً . . . ولكن ! .

نزلت بعض قطرات من السماء فبللت روحي المتعبة . همست . . . إني لا أنساك ، فلماذا تصر أن تكون معي في هذه اللحظة . . . دعني أشم زهور الربيع المتفتحة . . . ألا يكفيك ثلاثة أيام في الأسبوع تصاحبني وأنا راض ؟! . . . روضتني في السنوات الأخيرة أثناء هذه الصحبة الخطرة . . . لست مستعداً لاستقبالك الآن . . . أبذل في سبيل البعد عنك دمي ودموعي . . . أشحذ ذهني حتى أتفادى حلولك المفاجئ . . . أغرب عن وجهي في هذه اللحظة أرجوك . . . دعني لزهوري ! . . سوف أقاوم إلى آخر قطرة من دمي . . . لست وحدي . كل البشر يحاولون أن يهربوا منك دائماً . أبرق بعينيه الناريتين تجاهي . عاود ضحكته الكئيبة . أحسست أن الأرض تميد بي . تكاثفت قطرات المطر . ومن الأفق الشرقي أبرقت السماء . أرعدت دون جدوى . لاحظ خوفي فقال :

ـ لا تبتئس . . . جئت للاطمئنان عليك !

تعجبت من منطقه الغريب . زيارته تفزعني . مرة واحدة تكفي . ضربة قاضية منه تحيلني إلى رماد ، يأكلني الدود بعدها . أحال جلسة الضحى الحلوة إلى نكد أزلي . تمنيت أن أطلق ساقي للريح . ألبس ملابسي . أحمل أوراقي وكتبي إلى مكان آخر لا ينازعني فيه ، لكني عدت وتراجعت ، فهو يلبد بيني وبين طيات أي كتاب أفتحه ، يسيل على محيا أفراحي ، يطفو خلال كلمات الأصدقاء وودهم . . . يكمن في السر والعلن . . . يبين بين حنايا الصدر وفي أصابعي . . . يفصح عن نفسه تحت جلدي وفي عظامي . . . أين أهرب منه ، هذا الصديق اللدود ؟! . لا أعرف . . . لا أعرف ! .

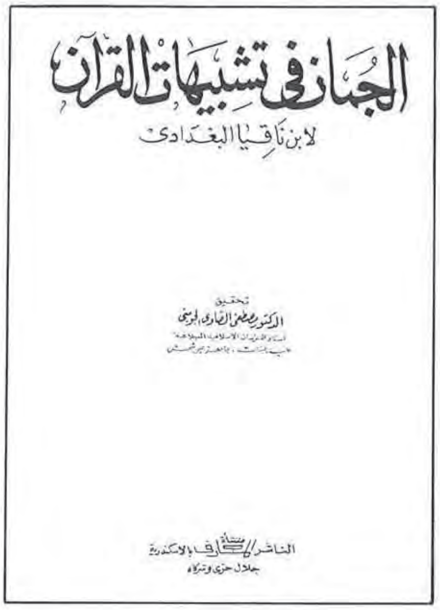


من كتب التراث

الجمان في تشبيهات القرآن

لابن ناقيا البغدادي (٤١٠ ـ ٤٨٥ هـ)

تحقيق : د . مصطفى الصاوي الجويني ● عرض وتلخيص د . منير سلطان



لم يصل إلينا كتاب في تشبيهات القرآن سوى ما كتب ابن ناقيا ، وقد ذكر صاحب (كشف الظنون) أن أبا سعد نصر بن يعقوب الدينوري له « روائع التوجيهات في بدائع التشبيهات » وأن ابن ظافر له « كتاب التشبيهات » وكذلك فعل أبو إسحاق إبراهيم بن الأنباري ، وأبو عامر ابن أحمد الطرطوشي وغيرهم ، ولكنها دراسات دارت حول التشبيه في الشعر وتأتي تشبيهات القرآن في ثناياها عرضاً ، ومن هنا تأتي أهمية دراسة كتاب « الجمان في تشبيهات القرآن » لابن ناقيا ، الذي ابتدأ فيه بذكر تشبيهات سورة البقرة حتى تشبيهات سورة الفيل .

ابن ناقيا

هو أبو القاسم عبد الله بن مهر بن الحسين بن ناقيا ، **بغدادي المولد** ، والوفاة (٤١٠ ــ ٤٨٥ هـ) ، **نبطي الأصل** ، وقد نشأ في فترة **الحكم البويهي** لبغداد ، وما إن يتولى **السلاجقة** الأمر حتى يدفع به أدبه وشعره واجادته للخط إلى أن يتقدم عندهم ، فيصير من خاصة السلطان ملكشاه السلجوقي ، ويؤلف له كتاب « **الجمان** » . واتصال ابن ناقيا بملكشاه يرجح ميله إلى أهل السنّة ، بالرغم من رمي القدماء ابن ناقيا بضعف ديانته وميله إلى المجانة ، ولكنهم يجمعون على أنه كان ذا بسطة في العربية ، وبخاصة في الشعر الذي نظمه ورواه ونقده ، مع علم **بالفارسية والسريانية** ، ودراية **بالفلسفة والطبيعة والرياضة والفقه والحديث وأيضاً الموسيقى والغناء** .

ابن ناقيا من علماء القرن الخامس ، وكتابه « الجمان » إضافة إلى ما قدمه علماء القرون الأربعة الأولى للبلاغة العربية والنقد الأدبي .

مخطوطة « الجمان »

في مكتبة « **الأسكوريال** » مخطوطة للكتاب برقم « ١٣٧٦ خ ، عربية »



وصورتها في **معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية** برقم «٣٢ بلاغة»، وعكف على نشرها **الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي** ببغداد سنة ١٩٦٨م، وفي نفس السنة ظهرت نشرة الفاضلين **عدنان محمد زرزور ومحمد رضوان الداية** بالكويت، واحتوت النشرتان على خلط موزع بين ضبط أو تقديم، أو تأخير أو حذف أو زيادة أو نقصان، وبعد ست سنوات ظفرت المكتبة العربية بتحقيق جديد لمخطوطة «الجمان» قام به الأستاذ **الدكتور مصطفى الصاوي الجويني** عالج فيه ما في النشرتين من خلط، وصدر التحقيق عن **منشأة المعارف بالإسكندرية** سنة ١٩٧٤م.

دراسة التشبيهات القرآنية قبل ابن ناقيا

اختلفت دراسة فن التشبيه بين العلماء لاختلاف مناهجهم، فدرسه اللغويون والأدباء والمفسرون والمتكلمون والبلاغيون لمقاصد متنوعة انتهت بهم نتائج متعددة ولكنها في النهاية برهنت على أن التشبيه من أهم ركائز الإعجاز الفني للقرآن الكريم.

ومن اللغويين **أبو عبيدة معمر بن المثنى**، وقد سأل سائل عن قول الله عز وجل: ﴿ **طلعها كأنه رؤوس الشياطين** ﴾، وإنما يقع الوعد والايعاد بما عرف مثله وهذا لم يُعرف، والذي استوقف السائل في التشبيه القرآني أن المشبه به في الآية غير محسوس، ومن ثم يفطن أبو عبيدة إلى أن الجهل بمذاهب العرب في التعبير باب من الشر ينفتح على تحريف المعنى، فصنف كتابه «**مجاز القرآن**» مُلحاً فيه على مقابلة التشبيه القرآني بالتشبيه العربي قبل الإسلام ليدلل على أن التشبيه القرآني يجري على سنن الطريقة العربية في صياغتها.

ومن الأدباء **ابن أبي عون** صاحب «**التشبيهات المشرقية**» وجمع فيه طائفة كبيرة من تشبيهات الشعراء ورتبه بحسب الموضوعات، ولم يفته أن يستهل كتابه بالحديث عن التشبيهات القرآنية ويجعلها كالمقدمة، وقد ميز فيها بين نوعين من التشبيهات، **تشبيه الأشخاص وتشبيه الأفعال**، ومثل للنوع الأول بتشبيهه تعالى القمر بالعرجون، والثاني بتشبيهه أعمال الكفار بالسراب، واقتصر على هذا القدر للانتقال إلى موضوعاته الشعرية.

واتخذ المتكلمون فن التشبيه القرآني محور دفاع عن القرآن ضد هجوم أعداء الدين المغرضين، فقد عادوا إلى آية ﴿ **طلعها كأنه رؤوس الشياطين** ﴾ يطعنون بها القرآن ونظمه وتشبيهاته وبعدها عن الأفهام، فبين الجاحظ المعتزلي أن التشبيه برؤوس الشياطين ينبع من مصدر أصيل لدى الإنسان العربي، وهو نفسيته التي رسخ فيها أن الشيطان صورة قبيحة مفزعة، ومن هذا المصدر استقى القرآن تشبيهه جرياً على الإلف العربي، ألم يجعلوا قبح الشيطان مثلاً؟! ويسموا الجميل شيطاناً على جهة التطير له؟، وفي أثناء جدل الجاحظ وحجاجه عن القرآن مؤكداً عربية أسلوبه معتمداً على الشاهد من التراث كان يضحي بتحليل عناصر الصورة، ولا يقف أمام التشبيه الوقفة الأدبية المناسبة.

أما **الرماني المعتزلي** فقد تمهل قليلاً عند عناصر التشبيه، وذكر في كتابه «**النكت في إعجاز القرآن**» تعريفاً للتشبيه وتحديداً لوجوهه ضارباً الأمثلة من القرآن الكريم ومن التراث الشعري، لأنه رآه سمة من سمات الإعجاز القرآني، خالطاً الأدب بالفلسفة حريصاً على التقسيمات وتثبيت المصطلحات.

وحين عرض **الباقلاني الأشعري** للتشبيه في القرآن، رفض عَدَّهُ وجهاً من وجوهه، وصنف كتابه «**إعجاز القرآن**» ليؤكد أن القرآن نسيج وَحْدِه وفَرْدَ نوعه وأنه لا يدانيه في إعجاز نصٌّ من النصوص البشرية بما فيها من بيان، ومن ثم أخذ الباقلاني يوازن بين القرآن وبين النص الأدبي ليبين سَقَطَ الثاني وعلوَّ الأول، واضطره المنهج أن يغالي في الحطِّ من قيمة النص الأدبي حتى لا يتعلق المغرضون بالموازنة ليصلوا إلى التسوية ثم إلى تفضيل الأدب على القرآن، والفرق شاسع.

ويعالج **الطبري** المفسر أسلوب التشبيه في القرآن محاولاً بيان ما يتضمنه التشبيه من معنى يُستخرج بالدلالة اللغوية القريبة، فهدفه أن يوضح المعنى بكشف غامضه واظهار ملتبسه دون انشغال بجانب الجمال، وقد حرص على عرض الروايات المختلفة في فهم التشبيه ثم يرجح من بينها الرأي الذي يتفق والنسق المعنوي للآيات القرآنية معتمداً في درسه على معطيات التراث وهدي تأمله.

ومن البلاغيين **أبو هلال العسكري** صاحب «**الصناعتين**» الذي ربط درس إعجاز القرآن بإيمان المؤمن، فلا إيمان لمن لم يفهم إعجاز الكتاب الذي به يكافأ وعليه يحاسب، وقد تلقف تحليل الرماني لفن التشبيه القرآني وأثبته في الصناعتين في باب التشبيهات.

وجاء **ابن ناقيا** وقد أحاط علماً بما وصل إليه اللغويون والمفسرون والأدباء والمتكلمون ووضع كتابه «الجمان» فيه شيء كثير من السابقين، وفيه أيضاً المنهج الواضح القائم على الفهم والذوق والإقناع.

خطة ابن ناقيا في كتابه

بعد أن يفسر الآية ذات التشبيه، يعرض أبياتاً للشعراء في معناها، مكتفياً بالعرض على طريقة الموازنة، شأنه في ذلك شأن ابن المعتز من قبله والباقلاني، ولكنه يتجنب ما اندفع إليه الباقلاني من الحط من قيمة النص الأدبي، ويُرجَع هذا إلى كونه شاعراً يقارن بين صورتين في فن بلاغي واحد.

ولا يحذو حذو الرماني في تقسيماته لفن التشبيه وولعه بوضع الحد والتعريف معتمداً على فهم النص القرآني مُثْنِياً بعرض الأشعار الموافقة للمعنى ليصل إلى أن النص القرآني قمة لا تُلحق في مجال الروعة الأدبية والإعجاز القرآني.

ويبتعد عن الروايات التي حفل بها الطبري، والجدل الكلامي الذي أفرغ فيه الجاحظ جهداً، ولم يجعل النص الأدبي غاية كما فعل ابن أبي عون، إنما تخير أزهى نصوص الأدب العربي، من العصر الجاهلي حتى عصره في القرن الخامس، فأتاح لبعض أن تبقى في كتابه بعدما ضاع كثير منها ولم تذكر حتى في دواوين أصحابها.

تشبيهات سورة البقرة في كتاب «الجمان»

برز منهج ابن ناقيا واضحاً في هذه السورة، وتوفر لها ظهور شخصيته فيها، ولأنها فاتحة كتابه تميزت بالطول مستوعبة نشاطه الابتكاري قبل أن يفتر في ثنايا الكتاب مع استمرار الجهد، وليس هذا شأن ابن ناقيا وحده.

حرص ابن ناقيا على تصدير كتابه بمقدمة قصيرة جداً، تكونت من التحميد في سطرين ثم الغرض من الكتاب وهو أن «التشبيهات نوع مستحسن من أنواع البلاغة وقد ورد منه في كتاب الله تعالى ما نحن ذاكروه في هذا الكتاب وذاهبون إلى ايضاح معانيه والتنبيه على مكان الفضيلة فيه»(١).

ثم يعرف التشبيه وأدواته وأنه ربما استغنى عن الأدوات بالمصدر نحو، «خرج خروج القرح، وطلع طلوع النجم، ومرق مروق السهم»، ويقول: «ولا يكثر مثل هذا في التنزيل وإنما عامة التشبيهات هناك مقرونة بالأدوات، ونسأل الله

العصمة من الزلل والسلامة في القول والعمل ، سورة البقرة . . . » [٢] .

وهكذا وبلا اطالة قدم للكتاب وبيّن الغرض منه وعرّف بالتشبيه ثم حدد مواطن التشبيه في السورة وهي :

١ ــ قوله تعالى : ﴿ **ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة** ﴾ آية ٧٤ .

٢ ــ قوله تعالى : ﴿ **مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون** ﴾ آية ١٧ .

٣ ــ قوله تعالى : ﴿ **أو كصيّب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين ، يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا** ﴾ الآيتان ١٩ و ٢٠ .

ويكاد يتركز جهده على بيان التشبيه في الآية الأولى وهي رقم (٧٤) من سورة البقرة ، فيشرح معنى « **قست** » [٣] أي غَلُظت ويبست وعَسَتْ ومع القلب ذهاب اللين منه ، والرحمة والخشوع ، ومعنى قوله : ﴿ **من بعد ذلك** ﴾ أي من بعد إحياء الميت لكم بعضو من أعضاء البقرة ، وهذه آية عظيمة كان يجب على من شاهدها أن يلين قلبه ويخضع ، والخطاب « بذلك » ههنا للجماعة . . . ويجوز في قوله فهي كالحجارة ، اسكان الهاء ، لأن الفاء مع « هي » جعلت الكلمة بمنزلة « فخذ » ومن قرأ « أشدُّ قسوة » بالرفع ، رفع باضمار « هي » كأنه قال « أو هي أشدُّ قسوة » ومن قرأ بالنصب « أشدَّ قسوة » كأنه قصد « أو كأشدِّ قسوة » جاراً إياها بالفتح نيابة عن الكسر لأنها على وزن أفعل .

وإنما شبه الله عز وجل قلوبهم في القسوة بالحجارة ، لأن الحجارة هي غاية في المثل ، وبيّنَ أن جهنم من ضراوتها تأكل الحجارة فما بالنا بالناس وهم الأضعف ، وبيّن جل اسمه كيف كانت قلوبهم أشد قسوة من الحجارة ، فقال : ﴿ **وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء** ﴾ يعني العيون التي لا تكوّن أنهاراً .

و « أو » في قوله : « أو أشد قسوة » بمعنى الإباحة لا للشك ، كما تقول : جَالِسْ الحسن أو ابن سيرين ، والمعنى هما أهل للمجالسة فإن جالست أحدهما فأنت مصيب وإن جالستهما معاً فأنت مصيب ، ومعنى الآية : إن قلوب هؤلاء إن شبهتم قسوتها بالحجارة فأنتم مصيبون ، أو بما هو أشد فأنتم مصيبون .

مسألة كلامية [٤]

فسَّر المغرضون قوله تعالى في سورة البقرة : ﴿ **وإن منها لما يهبط من خشية الله** ﴾ نحو الجبل الذي تجلى الله له حين كلّم موسى عليه السلام ، وقالوا : وأين قدرة الله هنا ؟ فالحجارة من طبيعتها أن تسقط بعامل الجذب إلى الأرض وكذلك ما حدث للجبل فهو في سقوط مستمر وحجارته في هبوط دائم ، ويرد عليهم ابن ناقيا ، بأن الهبوط مجعول في الحجارة وهذا هبوط عام وليس مقصوداً ، إنما القصد إلى ذلك الهبوط الذي حدث في فترة محددة لغرض معين ، واستغرق زمناً معلوماً دليلاً على الخشوع وعلامة على قدرته جل وعلا ، ومن هذا قوله تعالى : ﴿ **لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله** ﴾ .

في القراءات [٥]

في قوله تعالى : ﴿ **يكاد البرق يخطف أبصارهم** ﴾ يقال : خَطَفَ يخْطَفُ ، وللقراء فيه لغات ، يروى عن الحسن بكسر الخاء والطاء « يَخِطِفُ » وعن غيره بفتح الياء والخاء وكسر الطاء « يَخَطِفُ » ويروى أيضاً بكسر الياء والخاء والطاء « يِخِطِفُ » ويروى بوجه آخر ، وهو اسكان الخاء والطاء « يخْطْفُ » وهذا غير سائغ لامتناع الساكنين من الاجتماع .

ومعنى خطف أو اختطف : أخذ بسرعة ، وقوله تعالى : ﴿ **كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا** ﴾ يقال : أضاء يضيء وضاء يضوء ، ويقال : أظلم وظلم ، وأظلم المختار .

الدراسة الفنية [٦]

اختارت الآية « الحجارة » كي تكون مرادفة للقلوب الغليظة جرياً على السنن العربي ، قال **عمر بن ملقط الطائي :**

من مبلغ عمراً بأن المرء لم يخلق صباره
وحوادث الأيام لا يبقى لها إلا الحجاره

والصبارة : الحجارة الملس .

وقال الآخر :

ما أطيب العيش لو أن الفتى حجر
تنبو الحوادث عنه غير مكلوم

وقال **الفرزدق :**

أما العدو فإنا لا نلين له
حتى يلين لضرس الماضغ الحجر

وتلك الحجارة الصلدة الجافية ضعيفة أمام النار ، نار جهنم التي تجعلها وقوداً ومعها الكافرون ، ﴿ **وقودها الناس والحجارة** ﴾ ومن هذا الباب قول **عقبة الأسدي :**

معاوي إننا بشر فاسجح
فلسنا بالجبال ولا الحديد
أكلتم أرضنا فجزرتموها
فهل من قائم أو من حصيد

والجزر الأكل السريع فلا يُبقي على المائدة شيئاً .

ومثله قول **أبي ذؤيب الهذلي ، وذي الرمة ، والأعشى ، والعذري ، الذي يقول :**

ولو أن ما بي بالحصا فُلق الحصا
وبالريح لم يسمع لهن هبوب

وهذا البيت ليس في ديوان جميل .

وقد أكثر المحدثون في تغزلهم من تشبيه قلب المحبوب بالحجر ، كقول **سلم بن عمر بن عطاء :**

يلين من لا أريد رقته
وقلب من أشتهيه كالحجر

وكما قال أبو نواس وابن أبي أمية وغيرهم .

ومثلما جاء القرآن الكريم عربياً في صياغته ، وجد المحدثون فيه نبعاً يحتذى في تصوير أفكارهم ، وبرز هذا في قوله تعالى : ﴿ **وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء** ﴾ ، فالتقى بعض المحدثين هذه الصورة وذكر الشباب وبكاءه عليه قائلاً :

فلا تلحيا أن فاض دمع لفقده
فقل له بحر من الدمع يثمد

ولا تعجبا للجلد يبكي فربما
تفطر عن عين من الماء جلمد

وثمد الماء : تجمع في الحوض .

وقيل أيضاً :

يا شبيه البدر في الـ
ـحسن وفي بعد المنال
جد فقد يتفجر الـ
ـصخر بالماء الزلال

ولكن ، يقول ابن ناقيا : « ومعنى التنزيل أتم وأعم وأوفى وأعلا ، بقوله تعالى : ﴿ وإن منها لما يهبط من خشية الله ﴾ ، نحو الجبل الذي تجلى له حين كلّم موسى عليه السلام .

وقلد شاعر قوله تعالى : ﴿ كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ﴾ .

فقال :

بليل بهيم كلما قلت غورت
كواكبه عادت فما تتزيل
به الركب ، إما أومض البرق يمموا
وإن لم يلح ، فالقوم بالسير جهل

ويقول ابن ناقيا :

« وبين هذا ولفظ التنزيل من التفاوت ما هو ظاهر ظهوراً شديداً لا يخفى على ذي لب إذا أسهمها نظره وعاطاها تأمله » .

ويسير ابن ناقيا على هذا المنهج ، شارحاً عارضاً مقارناً مبيناً فضل الصياغة الربانية على الصياغة البشرية ، ويُنهي حديثه في السورة قائلاً : « وقد ورد في القرآن الكريم **لفظ التشبيه بغير تشبيه** ، كقوله تعالى في هذه السورة : ﴿ أو كالذي مر على قرية ﴾ ، وإنما هذا معطوف على معنى الكلام الأول في قوله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه ﴾ ، ﴿ أو كالذي مر على قرية ﴾ ، وموضع الكاف نصب بـ « ترى » فهذا ونحوه لم نقصد ذكره في هذا الكتاب »[7] .

مآخذ على ابن ناقيا

تخلل هذا الجهد الخصب هنات تمنيت أن يبرأ منها درس ابن ناقيا لفن التشبيه في القرآن ومنها :

● **أولا :** أنه لم يلتزم بدرس كل التشبيهات التي وردت في القرآن ، إنما اقتصر على بعضها في السورة الواحدة ، وعلى سبع وثلاثين سورة من المصحف كله ، تاركاً سبعاً وسبعين ، ولا عليه أن يتعرض لكل تشبيه ، إنما لنا أن نعرف من المقدمة أن « الجمان » دراسة في **بعض تشبيهات القرآن** وليست فيها كلها .

● **ثانياً :** اتبع ابن ناقيا طريقة المعارض كما فعل ابن المعتز من قبل وتبعه الآخرون كأبي هلال العسكري دون أن يتعرض بالتحليل لما استند إليه من شواهد بالإضافة إلى أن كثيراً منها مبثوث في المصادر النقدية فلا فضل له فيه سوى النقل الأمين .

● **ثالثا :** خرج علينا بفكرة جديدة عن السرقة ، وهي السرقة القرآنية : فالذي بليل بهيم كلما قُلت غوَّرتْ .

قد نظر إلى هذا المعنى في قوله تعالى : ﴿ **كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا** ﴾ .

وكأنه عاد إلى جُبّة الباقلاني متدثراً بها ، والباقلاني هنا أوضح من ابن ناقيا لأنه من بدء كتابه « إعجاز القرآن » أعلن أنه سيسقط الصنعة البشرية من الموازنة بالصنعة الإلهية ، أما أن يؤمن ابن ناقيا بروعة الفن الشعري وحين يعرضه على النسق القرآني يهجم عليه متهماً إياه بالسرقة ، فهذا خلط في المنهج .

● **رابعاً :** بعد أن يشيد ابن ناقيا لجلال آيات الله تعالى وإعجازها يعود فيسلبها حقها في الروعة مُرجعاً إعجازها إلى الصرفة قائلاً : « فكانت القرائح مصروفة عن معارضته والخواطر مفحمة عن مضاهاته ، والألفة مكفوفة عن النطق بمثله » ، إذن فإعجازه في الصرف والمنع والقهر لا في الروعة والفن والجمال ، وفكرة الصرفة التي نادى بها المعتزلة لم يُفْهم المقصد منها على حقيقته ، فالمعتزلة الذين بحرية الإرادة الإنسانية لا يناقضون أنفسهم ويجيزون الجبر الإلهي على الإنسان وإلا ، فقد قالوا بالرأي ونقيضه في وقت واحد ، **والنظّام** زعيم مدرسة الاعتزال يقول : « إن العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرها » وهذا العبد « حي مستطيع بنفسه لا بحياة ، واستطاعته هي غيره ، وتبق الاستطاعة على الفعل حتى تحدث به آفة » ، فقدرة الإنسان مقيدة بمدى علمه ومدى ما يخطر بباله ، والقدرة تابعة للعلم ، والإرادة نفسها لا تأتي مرتبتها إلا تالية للعلم ، فالإنسان عند النظام « يعلم الشيء ثم تريده نفسه ثم تقوم قدرته بتنفيذه » ، فالعجز ليس في القدرة ولكنها في جهد وطاقة واستطاعة هذه القدرة ، والتي منحها الله الإنسان بطاقة معينة واستطاعة محددة وجهد مرسوم ، وهذه القدرة قد بذلت طاقتها فاستطاعت كل الأغراض ، أما بالنسبة للقرآن فإنها **حاولت وجربت فعجزت** فانصرفت ، ومن ثم سُمّي مبدأ الصرفة أي الانصراف وليس الصرف ، فما الإنسان بعلام للغيوب ، ولا علام بالنفوس ، ولا قادر على النظرة الشاملة المتكاملة التي تعيش كل العصور وكل البيئات وكل المتغيرات ، ولكنه قادر على تصوير ما في نفسه وما في عصره وبيئته وما في خياله وأحلامه ، إذن تدور دائرته حول نفسه ، ودائرة القرآن تدور حوله وحول من سبقه ومن سيأتي بعده ، لذا عجز الإنسان عن تقليد القرآن[8] .

● **خامساً :** لأن ابن ناقيا نبطيُّ الأجداد ، نراه يتخذ شرحه لسورة يس ، وسيلة لحديث مُسْهب عن القمر ومنازله ، وذلك في قوله : ﴿ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ﴾ ، يشرح معنى ألفاظها ثم يقول : « وسنذكر أحوال المنازل على رأي العرب ، فرأيهم أولى بهذا الكتاب من رأي أصحاب الحساب ، وأول ما يعدون من هذه المنازل **الشرطان** وهما كوكبان يقال هما **قرنا الحمل .. الخ** . وينسى الرجل نفسه مسترسلاً من ص ١٩٩ إلى ٢٣٦ » ، ولا أدري من قال له إن حديث الفلك أولى به أن يكون في ثنايا كتب البلاغة ؟ ! !

وأخيراً ، إذا كنت قد حاولت أن أقدم ابن ناقيا وتشبيهات القرآن الكريم في صورة أقرب إلى المنهج العلمي ، فما قصدت إلا أن أشكر للرجل وأشكر للمحقق جليل ما صنعا ، فابن ناقيا قد أفاد الدرس البلاغي والدكتور الجويني قد أعاد تقديم جهد ابن ناقيا ، فتآزرا معاً لخدمة القرآن الكريم كتاب العربية الأكبر ، والحمد لله رب العالمين .

الحواشي

(١) انظر ص ٨٥ من الكتاب ، طبع منشأة المعارف بالإسكندرية ١٩٧٤ م .
(٢) ص ٨٥ أيضاً .
(٣) ص ٨٦ وما بعدها .
(٤) ص ٩٠ .
(٥) ص ٩١ .
(٦) ص ٨٦ وما بعدها .
(٧) ص ٩٤ .
(٨) منير سلطان : إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة ، ص ٢٠٢ ، ط ١ منشأة المعارف بالإسكندرية ١٩٧٨ م .

في المنطق

ا

استنباط :

الاستنباط هو استخراج الماء من العين ، من قولهم نبط الماء إذا خرج من منبعه ، والاستنباط **اصطلاحاً هو استخراج المعاني من النصوص بفرط الذهن وقوة القريحة ، كما ذهب إلى ذلك الجرجاني في « التعريفات »** ، أما **الصفة** « استنباطي » فهي تطلق على كل ما يتصف بالدقة ولزوم النتيجة من المقدمات دون الإصابة بالتجربة .

ب

برهان :

هو القياس المؤلف من اليقينيات ، سواء كانت ابتداء وهي **الضروريات** أو بواسطة وهي **النظريات** ، والحد الأوسط فيه لا بد أن يكون علّة لنسبة الأكبر إلى الأصغر . وللبرهان عند **أرسطو** تعريفان : ١ ــ قياس منتج للعلم ، ٢ ــ قياس منتظم من مقدمات صادقة أولية سابقة في العلم على النتيجة ، وأبين منها ، وعلّة لزومها .

ت

تحصيل حاصل :

في المنطق ، غلط منطقي عبارة عن تكرار شيء واحد في صيغ مختلفة كأنها ترق للفكر ، وفي **المنطق الرياضي** ، جميع قضايا المنطق والرياضة تحصيل حاصل لأنها لا تنبئ بشيء أبداً عن العالم ، وإنما هي وضع ما نعرفه في صياغة جديدة ، أو تكرار لفظ بما يساويه .

ث

ثانوي :

كيفيات ثانوية ، هي : **اللون والصوت والرائحة والطعم** ، في مقابلة كيفيات أولية وهي : **المقدار والحركة والسكون** .

ج

الجدل :

هو القياس المؤلف من **المشهورات والمسلمات** ، والغرض منه إلزام الخصم وإفحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان ، وذلك كما جاء في تعريفات **الجرجاني** ، والجدل عند **سقراط** هو فن الحوار بمرحلتيه . . **التهكم والتوليد** ، وعند **أفلاطون** الجدل هو المنهج الذي يرتفع العقل به من المحسوس إلى المعقول ، لا يستخدم شيئاً حسياً ، بل ينتقل من معان إلى معان ، بواسطة معان . ويفرق **أرسطو** بين الجدل والتحليل ، **التحليل** موضوعه البرهان ، أي القياس المنتظم من مقدمات صادقة أولية سابقة في العلم على النتيجة وأبين منها وعلّة لزومها ، **أما الجدل فموضوعه الاستدلالات التي تقوم على مقدمات محتملة** ، أي آراء متواترة أو مقبولة عند العامة . ومعنى ذلك أن الجدل ليس علماً أو منهج العلم كما أراد أفلاطون ، ولكنه الاستدلال على وجه الاحتمال ، وهو فن يتوسط **الخطابة والتحليل** ، وفي الفلسفة الحديثة يقال الجدل على الفكر الذي لا يقنع بالوقوف عند حد معين .

ح

حد :

هو قول دال على ماهية الشيء ، ولا شك في أنه يكون مشتملاً على مقوماته أجمع ، ويكون لا محالة مركباً من جنسه وفصله ، لأن مقوماته المشتركة هي جنسه ، والمقوم الخاص فعله .

خ

خطأ :

مخالفة لقاعدة منطقية أو جمالية أو رياضية أو لغوية ، وبالتالي فهو تأليف بين أفكار لا ارتباط بينها في الحقيقة وفي الواقع ، والخطأ لا يكون في الفعل الذي به يرى الذهن ، بل في الفعل الذي به يحكم الذهن .

د

دليل :

ما يراد به إثبات أمر أو نقضه ، **وقد يستعمل أيضاً بمعنى الحجة** ، وتجب التفرقة بين « **دليل شخصي** » وهو الحجة الموجهة إلى قول الشخص نفسه ، لا إلى أي شيء آخر . و« **دليل الجهل** » وهو الحجة الموجهة إلى الجمهور ، وليس من

السهل الوقوف على بطلانها ، و« **دليل موضوعي** » وهو الحجة الموجهة إلى نفس الموضوع وليس إلى الشخص .

ذ

ذكـــر :

عند **أفلاطون** العلم ذكر والجهل نسيان ، وعند **أرسطو** الذكر قوة استرجاع الذكريات مع ما يصاحبها من ظروف الزمان والمكان ، وهذه القوة غير متوفرة عند الحيوان ، لأنها تفترض الانعكاس على الذات والمقارنة وفكرة الزمان . ويميز **ابن سينا** بين الذكر والتذكر ، من حيث أن التذكر يتم عفواً فهو قوة في النفس ، والذكر يتم إرادياً فهو قوة في الذهن .

ر

رابطـة :

عند **ابن سينا** ، هي اللفظة الدالة على النسبة في القضية الثلاثية ، ويعبر عن الرابطة بفعل الكينونة ، الذي يدل على الوجود المنطقي لا الوجود الواقعي مثل قولنا : المنطق ، « هو » العلم الذي . . . وبتعبير آخر ، الوجود المقصود هنا هو الإيجاب ، وكثير من اللغات وعلى رأسها اللغة العربية لا تصرح بهذا الفعل .

ز

زينون الإيلي :

(٤٩٠ ــ ٤٣٠ ق . م) فيلسوف ومنطقي يوناني ، من **المدرسة الإيلية** ، اعتبره أرسطو **أول من استخدم الطريقة الجدلية في المنطق** ، واشتهر ببرهانه على استحالة الحركة والكثرة تأييداً **لمذهب بارمنيدس** في أن الكون واحد ساكن ، ومؤدى دليله : « إذا فرضنا أخيل ذا القدمين الخفيفين ، يسابق سلحفاة وهي أبطأ الحيوان ، وأن هذه السلحفاة متقدمة عليه مسافة قصيرة ، وأنهما يبدآن الحركة في وقت واحد ، فإن أخيل لن يدرك السلحفاة إلا إذا قطع المسافة الأولى التي كانت فاصلة بينهما ، ثم المسافة الثانية ، والثالثة ، وهكذا إلى ما لا نهاية ، بحيث تبقى السلحفاة متقدمة دائماً على أخيل » .

س

سـلـب :

السلب مطلقاً هو رفع النسبة الوجودية بين شيئين ، كما ذهب ابن سينا في كتابه « **النجاة** » وهو يرى أن **الإيجاب أسبق من السلب** ، لأننا لا نستطيع أن ننكر وجود شيء ما ، إن لم يكن لدينا فكرة عن هذا الوجود الذي نريد أن نسلبه من هذا الشيء .

ش

شـرط :

الشرط هو تعليق شيء بشيء ، بحيث إذا وجد الأول وجد الثاني ، وقيل الشرط ما يتوقف عليه وجود الشيء ، ويكون خارجاً عن ماهيته ، ولا يكون مؤثراً في وجوده ، وعند **الجرجاني** في التعريفات ، **أن الشرط ما يتوقف ثبوت الحكم عليه** ، والشرط الضروري هو ما يلزم عنه نتيجة ما ، وعند **كانط** أن المقولات شروط لإمكان التجربة .

ص

صـدق :

صفة لموجود منزه عن الخداع ، وفي المنطق ، هو قوة الإصابة في الحكم في المسائل التي لا تنطوي على وضوح منطقي ، وعند **ديكارت** أن الصدق هو قوة الإصابة في الحكم ، وتمييز الحق من الباطل ، وهي القوة التي يطلق عليها في الحقيقة اسم **صدق الحس** أو العقل ، وهي واحدة بالفطرة عند جميع الناس .

ض

ضـرورة :

في المنطق ، الشرط الذي بدونه لا يكون تغير ولا حدوث شيء ، **والضرورة عند أرسطو** قد تكون مفارقة وقد تكون باطنة ، ويقال ضروري على توقف قضية على تضمن قضية في مجموعة من القضايا ، والضروري في تعريفات الجرجاني ، هو الذي لا يمكن أن يكون بخلاف ما هو كائن .

ط

طبـاق :

اصطلاح بلاغي أصلاً ، ويستخدم كذلك في المنطق ، يطلق على الجمع بين معنيين متضادين ، **وسمي أيضاً المطابقة والتضاد** . وينقسم إلى **طباق إيجاب وطباق سلب** ، وفرعه **البلاغيون** إلى أقسام شتى عندما عدوه من **المحسنات البديعية** ، وأطلق على طباق **أبي تمام** « تنافر الأضداد » لأنه لم يكتف بالتطابق اللفظي الساذج ، بل تعمقه وأبعد فيه ، وحمله الأفكار العقلية والأقيسة المنطقية .

ظ

ظـن :

الظن هو الاعتقاد الراجح على احتمال النقيض ، ويستعمل في اليقين والشك ، وقيل الظن أحد طرفي الشك بصفة الرجحان ، كما ذهب إلى ذلك الجرجاني في « **التعريفات** » وعند ابن سينا في « **النجاة** » أن الظن الحق هو رأي في شيء أنه كذا ، ويمكن أن لا يكون كذا . وعند أفلاطون أن الظن معرفة غير مربوطة بالعلة ، فلا تعليم للغير ، لأن التعليم تبيان الأمور بعللها ، أي أن الظن موضوعه الموجود المتغير ، ولهذا فهو تخمين .

ع

عـدم :

العدم هو الخلو أو الانتفاء ، والاسم العدمي في المنطق يدل على خلو شيء من صفة كانت فيه أو صفة غير موجودة فيه ، ولكن من شأنه أن توجد فيه ، مثل العمى والسكون والموت ، **وعند ابن سينا أن العدم ليس هو بذات موجودة على الإطلاق ، ولا معدومة على الإطلاق** ، بل هو ارتفاع الذات الوجودية بالقوة ، ويذهب **ابن رشد** في « تفسير ما بعد الطبيعة » إلى أنه لا يوجد

عدم مطلق كما يوجد وجود مطلق ، بل عدم مضاف ، إذا كان العدم عدماً لشيء ! .

غ

غلط :

هو ما يقع فيه الإنسان عندما يستنتج **الكلي من الجزئي** ، **والذاتي من العرضي** ، وهو استدلال زائف ، كما يذهب إلى ذلك **كانط** ، وقيل المغالطة مركبة من مقدمات شبيهة بالحق ، ولا يكون حقاً ، ويسمى **سفسطة** ، والمغالطات في القياس إما أن تقع في اللفظ ، أو في المعنى ، أو في صورة القياس أو في مادته ، وإما أن تكون غلطاً أو مغالطة . وعلى ذلك فهي حجة تبدأ بمقدمتين صادقتين وتؤدي إلى نتيجة مرفوضة رغم مطابقتها لقواعد الاستدلال الصورية .

ف

فصل :

في المنطق جملة الموضوعات التي تربط بينها صفات مشتركة ، ويقال على النوع والجنس على حد سواء ، ويفرق المناطقة بين « **الفصل القريب** » وبين « **الفصل البعيد** » ، أما « الفصل القريب » فهو جزء من الماهية يميز النوع من مشاركيه في الجنس القريب ، كالناطق بالنسبة للإنسان ، وأما « الفصل البعيد » فهو جزء من الماهية يميز النوع من مشاركيه في الجنس البعيد كالإحساس بالنسبة للإنسان .

ق

قاعدة :

عند الجرجاني ، **القاعدة** هي القضية الكلية التي تنطبق على جميع جزئياتها ، وعند **ديكارت** أن القاعدة قول يوضح ما يجب أن يكون ، فيقال قاعدة أخلاقية أو قاعدة منطقية ، وعند **كانط** أن القاعدة تفيد مجموع المبادئ التي تتخذ أساساً للمعرفة ، وقد أطلق المشائيون الإسلاميون هذا الاصطلاح على القاعدة المنطقية التي يجب أن تؤدي إلى بلوغ الحقيقة .

ك

كليات :

الكليات هي المعاني المجردة ، الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام . والمصطلح العربي هو المتداول في كتب المنطق العربية إلى يومنا هذا ، أما كتب المنطق الإفرنجية ، فلا تزال تحتفظ بالاسم الذي وضعه أرسطو لها وهو « **المحمولات** » ويضيف « **إخوان الصفا** » إلى الكليات الخمس لفظاً سادساً هو « **الشخص** » ومن الألفاظ الستة ثلاثة تدل عندهم على الأعيان : **الجنس والنوع والشخص** ، وثلاثة تدل على المعاني : **الفصل والخاصة والعرض** .

ل

لازم :

اللازم في تعريفات الجرجاني هو ما يمتنع انفكاكه عن الشيء ، وهو أي خاصته مصاحبة للماهية بالضرورة ، ويقال برهان لازم بمعنى مطابقته للقواعد المنطقية . وعند ابن سينا أن اللازم والعارض يشتركان في أن كل واحد منهما خارج عن حقيقة الشيء ، لاحق بعدها .

مـ

منطق :

لم يرد لفظ « **لوجيكا** » في كتب أرسطو كاسم لهذا العلم ، ثم ورد في عصر **شيشرون** كاسم لهذا العلم ، بمعنى الجدل ، إلى أن استعمله **اسكندر الافروديسي** بمعنى المنطق ، ويقول أرسطو بهذا المعنى « **العلم التحليلي** » أي العلم الذي يحلل العلم إلى مبادئه وأصوله ، والمنطق عند العرب يقع في المقام الأول ، فهو المدخل إلى الفلسفة وعلم الكلام ، ويطلق عليه أحياناً « **معيار العلوم** » ، **وللغزالي** كتاب في المنطق يحمل هذا الاسم . والمنطق في تعريفات **الجرجاني** ، هو آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر ، فهو علم عملي آلي ، كما أن الحكمة علم نظري غير آلي . وينقسم المنطق إلى : ١ ـ **منطق صوري** ، وهو البحث في التصورات والأحكام والبراهين بعد تفريغها من مادتها . ٢ ـ **منطق مادي** ، وهو البحث في العمليات العقلية التي تؤدي إلى الخطأ والصواب ، وكذلك البحث في العمليات الاستقرائية والفروض ومناهج البحث العلمي . ٣ ـ **منطق رمزي** ، وهو البحث في القواعد العامة التي يجري عليها الاستدلال ، وهو يتكون من ثلاثة أقسام : أ ـ **الحساب التحليلي للقضايا** . ب ـ **الحساب التحليلي للفصول** . ج ـ **الحساب التحليلي للعلاقات** .

ن

نظرية :

جملة تصورات مؤلفة تأليفاً عقلياً تهدف إلى ربط النتائج بالمقدمات ، ويقال **المعرفة النظرية** في مقابل **المعرفة الساذجة أو المهوشة** ، وهي المعرفة التي لا تستند إلى مجموعة من التصورات العلمية ، وفي تعريفات الجرجاني أن النظري هو الذي يتوقف حصوله على نظر وكسب كتصور النفس والعقل ، وكالتصديق بأن العالم حادث . وعند **كانط** أن ما هو نظري معني بالموضوعات التي لا مقابل لها في التجربة ، ومن هذه الوجهة الاستعمال النظري للعقل ، يعارض استعماله الطبيعي .

هـ

هوية :

الهوية هي الأمر المتعقل من حيث امتيازه عن الأغيار ، والهوية تقال بالترادف على المعنى الذي ينطلق عليه اسم الموجود ، وهي مشتقة من **الهو** كما تشتق الإنسانية من الإنسان ، **ومبدأ الهوية صيغته في المنطق** ، أن الموجود هو ذاته ، أو هو ما هو ، وهذا المبدأ يهيمن على الأحكام والاستدلالات الموجبة ، وشأنه أن يجعلنا نحرص على ألا نخلط بين الشيء وما عداه ، وأن نضيف للشيء ما ليس له .

و

وسط :

هو ما يقع بين شيئين ، تكون بينهما علاقة وسطية ، وفي المنطق مبدأ الوسط المرفوع ، وصيغته « لا وسط بين الوجود واللاوجود » وهو يرجع إلى مبدأ عدم التناقض ، في صيغة شرطية منفصلة ، والوسط العدل بهذا المعنى ، يقال على الفضيلة عند أرسطو وكيف أنها ملكة ، تقوم في وسط بين إفراط وتفريط كلاهما رذيلة .

مناقشات

و تعليقات

حَوْضَا ، وحَوْضَا ، وحَوْضَا

اقرأ واضْحَكْ إن كان لديك مُتَّسَعاً للضَّحِك ، مع أنَّ الأمر يدعو إلى الأسى ، ولكن كما قيل : (**من البَلِيَّةِ ما يُضْحِك**) .

ها هو كاتب تُفْسح له مجلة من مجلاتنا الأثيرة في نفوسنا المجال وتنشر له مقالا بعنوان (**مسح جغرافي يرتكز على الشعر القديم**) يتحدث فيه عن (**بادية الدهناء**) :

لا يصح أن يُهْضم حق الكاتب الكريم لمقاله يُنْبِئ عنْ سعة اطلاعه ، ولكن سعة الاطّلاع وحدها لا تكفي .

لا نُريد أن نطيل بعرض ما حواه ذلك المقال ، بل نكتفي بأن نَعْرُض للقارئ سطوراً قليلة منه .

قال الأستاذ **الدكتور محمد عبد المنعم خاطر** : (ويلتقي بالوحيد حَبْلٌ طويلٌ من رَمْلٍ هو **أمل القراف**[1] **يقول الراعي النميري** :

مهارِيس لاقَتْ بِالْوَحيد سحابةً
إلى أمل العراف ذات السلاسل

وقريب من الوحيد مكان ملتصق به يعرف « **بحوضا** »[2] وفيه **مسجد بناه رسول الله ﷺ** أثناءَ مَسيره إلى **تبوك** . ومن « حوضا » كان يشرف ويُحاول تحديد مسير الظعائن وفيهن « مي » :

فَأشْرَفتِ الْغَزالَةُ رأسَ حَوْضَا
أُرَاقِبُهُمْ وَمَا أُغْنِيْ قِبالا
كَأنِّيْ أشْهَلَ الْعَيْنَيْنِ بَازٌ
عَلَى عَلْيَاءَ شَبَّهَ فَاسْتَخالا

وقريب من حَوْضَا والوحيد في الشمال أيضاً من الدهناء توجد أرض « **حُزْوَا** » **وخَفَّانُ** وهما كما قال « **الأحول** » موضعان قريبان من **السواد بالعراق**) . انتهى

أقرأت أغرب وأعجب من هذا الكلام في تحديد المواضع ؟!

هذا المكان الواقع شرق الدهناء لأن الكاتب الكريم قال قبل هذا الوحيد يقع عند التقاء **الصَّمَّانِ** بالكثبان الرملية الحمراء من رمال الدهناء ، ثم ذكر أن حَوْضَا مكان مُلْتَصِقٌ بالوحيد .

وحوضا هذا المكان فيه مسجد بناه رسول الله ﷺ أثناء مسيره إلى تبوك .

أي إن موضع حوضا انتقل بقدرة قادر من أقصى الشمال الغربي من الحجاز إلى أقصى الشرق حيث الصمان والدهناء .

ثم بعد ذلك أصبح الموضعان الوحيد وحوضا في الشمال من الدهناء بقرب حُزْوَا وخَفَّان ، وهما موضعان قريبان من السَّواد بالعراق وهذا الباحث المحقق يورد أدِلَّتَهُ على هذه الحركة السريعة من تَنَقُّلِ حوضا بين غرب الجزيرة وشرقها وشمالها ، فهو لم يأتِ بشيء من عنده ، وإنما أورد نصوصاً استقاها من مصادر موثوق بها وإذَنْ فلا مَحَلَّ لِلْمُؤاخَذَةِ .

وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلا صَحِيْحاً
وآفَتُهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّقِيْمِ

حَسَنٌ أن يتصدَّى الكاتب لكتابة في موضوعات يُحِسُّ من نفسه القدرة على استيعاب فهم ما يَرِدُ حولها من نصوص ، وليس حسناً أن يَتَّجِه المرء للبحث في موضوعات بعيدة كل البعد عن فهمه وإدراكه .

ولا يضير المرءُ أن لا يكون عالماً بكل شيْءٍ ، وإنما يضيره أن يخوض بما يجهله ثم لا يكتفي بذلك بل يقدمه باعتباره دراسة علمية فيضيف إلى ضلاله إضلال غيره .

إن اسم حوضا كغيره من أسماء المواضع الكثيرة لا يَخُصُّ مكاناً واحداً بل يُطلق على مواضع متباعدة في غرب الجزيرة وفي شرقها .

ومن تلك المواضع حَوْضَا الواردة في شعر **ذي الرُّمَّةِ** ، وهذه تقع شرق الدهناء بقرب حُزْوَا والسَّبِيَّةِ ودَحْل فُتاخ ، فهي في الجنوب الشرقي من الدهناء غرب معقلة كما أوضحت ذلك في « **المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية** » قسم (**المنطقة الشرقية**) .

وحوضا أيضاً موضع يقع بين العُلا وتبوك ، وهناك موضع مسجد الرسول ﷺ حين سار لغزوة تبوك ، وهذا في شمال الحجاز وقد حددت موقعه في « المعجم » أيضاً قسم (شمال المملكة) .

وحَوْضَا أيضاً موضع لا يزال معروفاً يقع في عالية نجد شرقي بلدة رَنْيَةَ بنحو مئة وخمسين كيلاً ، بقرب عِرْق سُبَيْع ، النُّفُود المعروف قديماً باسم رملة بني عبد الله بن كلاب ولهذا الموضع ذكر كثير في شعر الكلابيِّيْنَ من هوازن وغيرهم .

وقد ذكر هذا الموضع الأستاذ **سعد بن جنيدل** في كتاب « **عالية نَجْد** » أحد أقسام « المعجم الجغرافي » .

وذكر **ياقوت** في « **معجم البلدان** » أن في بلاد هُذَيْلٍ موضعاً يدعى حَوْضَا فإذا صح هذا ولم يكن الاسم محرفاً فإن هذا الموضع يقع في **تهامة** بقرب **مكة المكرمة** حيث كانت **بلاد هذيل** شمالها وجنوبها وشرقها ، على مقربة منها ولم تكن تتجاوز **الحجاز** مشرقة .

إن إطلاق الاسم الواحد على مواضع متعددة من الأسباب التي توقع في الخطإ وهو أمْرٌ لم يسلم منه متقدموا العلماء .

والباحث إذا لم يكن ذا معرفة بمنازل القبائل العربية في القديم لم يسلم من الوقوع فيما وقع فيه غيره .

والمتقدمون يوردون في تحديد الموضع أقوالا مختلفة فيظنها من لا معرفة لديه

مناقشات وتعليقات

بمنازل القبائل القديمة تنطبق على موضع واحد ، بل قد يورد بعضهم أقوالا كثيرة في تحديد موقع واحد نقلها عن رواة مختلفين فَيَظُنُّها المرء ـ الذي لا خبرة له بطريقة المتقدمين في إيراد النصوص ـ تطلق على مواضع متعددة كأن يقول أحدهم :رُكْبَةُ صحراءُ في عالية نجد ، ويقول الآخر : ركبة أرضٌ واسعة في طرف السِّيِّ ، ويقول ثالث : ركبة بقرب غَمْرَةَ وذَاتِ عِرْقٍ ، ويقول رابع : ركبة من بلاد سُلَيْمٍ وهوازن وهكذا ، وكل هذه الأقوال صحيحة غير أن كل صاحب قول وصف ذلك الموضع بما يعرفه .

الحواشي

(١) (العرّاف) .

(٢) تكتب بالياء (حوضى) ولكننا آثرنا كتابتها كما تُنْطَق ، اخذاً برأي من يرى ذلك من المتقدمين ، تسْهيلاً للقارئ .

« الحجر ليس مدائن صالح »

قرأت ما جاء في الجزء الخامس والعشرين من « **مجلة الفيصل** » ــ رجب سنة ١٣٩٩ هـ ــ صفحة (١٤٧) حول ما نشرته عن التغاير بين **مدائن صالح وبين الحجر** .

لقد تحدثت مبيناً أن إطلاق اسم مدائن صالح على موقع الحِجْر ليس معروفاً لَدَى قدماء العلماء ممن وصلت إلينا مؤلفاتهم وأوضحت أنَّ اسم (مدائن صالح) لم يطلق على وادي **الحِجْر** إلا في العصور المتأخرة وأنَّ إطلاقه كان ناشئاً عن وَهْمٍ أوضحته فيما كتبت فجاء أَحَدُ المعلقين من الإخوان يقول : « ليس غريباً بأن تسمى الحِجْرُ مدائن صالح وهي موطن ثمود وقد أرسل إليهم صالح رسولا من عند الله ، وهو من أوسطهم نسباً وأفضلهم مكانة ، وقد جعل الله لهم آية ناقة الله ، كل ذلك حدث في مدائن صالح المعروفة الآن باسم الحجر » ، وقال قبل ذلك : « والواقع أن مدائن صالح هي الحجر نسبة لرسول الله صالح عليه السلام » .

من الذي أنكر أن يكون الحجر موطن **ثمود** وأنه يسمى في الوقت الحاضر مدائن صالح ؟! بل من الذي أنكر أن صالحاً عليه السلام نبياً لثمود حتى يأتي أخونا ليرشده إلى هذا الخطإ الشنيع ؟! وإنما **السؤال من هو الذي يستطيع أن يثبت أن واحداً من العلماء المتقدمين أطلق على الحجر اسم مدائن صالح ؟** . ومن الذي يستطيع بالأدلّة التاريخية أن يثبت ما قال الأخ (كل ذلك حدث في مدائن صالح) ؟ بينما النصوص القاطعة تدل على أنه حدث في الحجر ؟!

بين يدي الباحثين ما لا يُحصى من الكتب في التفسير والتاريخ وتحديد المواضع ، وفي كثير منها ذكر قصة ثمود وسكناهم الحجر وإرسال صالح عليه السلام إليهم ، ولكن هل فيها أن هذا الحجر يُسَمَّى مدائن صالح ؟!

إن الحجر بلادُ قوم ظلموا أنفسهم ، فأهلكهم الله بالنص الثابت في **القرآن الكريم والسنة النبوية . وصالح عليه السلام لا يصح أن** يوصف بما وصفوا به .

وقد أنجاه الله ومن آمن معه من الرجفة التي حلّت بأولئك ﴿ **فأصبحوا في دارهم جاثمين** ﴾ ولو كان مقيماً في تلك البلاد لأصابه ما أصابهم ، وقد أمر **رسول الله** ﷺ بالإسراع عند المرور بتلك الديار خشية الإصابة بما أصاب أهلها .

واعجب أيها القارئ ــ إن كنت في محل عجب ــ من إنسان يورد النصوص التي سقتها للتدليل على تغاير الموضعين ثم يقول بعدها : « وهذا الكلام يدلنا على أنه لا يوجد بما يسمى بمدائن صالح غرب العلا ، وقد قال **الأستاذ حمد الجاسر** بأنه يوجد ذلك ويبعد عن العلا خمسين كيلاً ، وهذا لم يقل به أحد من متقدمي المؤرخين الذين وصفوا طريق الحج ، والمنطقة التي ذكرها الأستاذ حمد هي سلسلة من الجبال الوعرة التي لا يمكن أن يمر بها الحاج لوعورة مسالكها » .

أيها الأخ الحبيب وماذا تعرف من نصوص متقدمي المؤرخين حتى تستطيع أن تحكم هذا الحكم : « لم يقل أحد » ؟ **إن كبار العلماء لا يستبيحون لأنفسهم أن يعبِّروا هذا التعبير ، بل يقول أحدهم : لم أطلع أو لم أسمع أو لم أعرف ، أما النفي الشامل العام فهذا لا يستجيزه إلا من جهل فحواه .**

ويصف الأخ المنطقة التي ذكرت في كلامي أنها موقع مدينة صالح ــ وليس صالحاً النبي كما أوردت إيضاح هذا من نصوص متقدمي العلماء ــ

مناقشات و تعليقات

يصف ذلك الموقع بأنه سلسلة من الجبال الوعرة ، وأنا لم أقصد تلك الجبال وإنما قصدت ملتقى الأودية الذي يعرفه الأخ الكاتب إن كان من أهل تلك البلاد يعرفه باسم (**المابِيّات**) وقد رجحت أنَّ في ذلك الموقع كانت تقوم مدينة قديمة تُدْعَى (**الرُّحْبة**) ذكرها الجغرافيون القدماء ، ثم عرفت أخيراً باسم مدينة صالح وتُوُسِّع في هذا الاسم فصار يقال (مدائن صالح) وقد خربت في عصور متقدمة ، **وموقع (المابيّات) في رحبة واسعة من الأرض تلتقي فيها الأودية وتكثر فيها الرمال بحيث يصعب اجتيازها بالسيارات وتبرز فيها آثار العمران .**

وقد أوردت على ما ذكرت نصوصاً من أقوال المتقدمين في بحث مطول نشرته في **مجلة « العرب »** في سنتها الثالثة عشرة بعنوان : (ليس الحجر مدائن صالح) .

وكنت أودُّ أن يتصدى لمناقشة الموضوع من لديه فهم وادراك وسعة اطلاع لأنني أرتاح كثيراً عندما يتضح لي وجه الخطأ فيما كتبت إذ غايتي البحث عن الحقيقة .

أما من ليس لديه من الإطلاع ما يؤهله لمناقشة أمثال هذه الموضوعات العويصة فخير له أن يسأل العالمين بها وأنْ يقف عند هذا الحد .

ولا أريد أن أتهم الأخ الذي علق على كلامي بتهمة انسياقه للعاطفة والرغبة في أن يبرز ذلك الموقع بصفة من القداسة لا تتفق مع ما ثبت عنها من الناحية الشرعية .

ولعله يذكر وهو من أهل تلك الجهة أن سكان إحدى القرى القريبة من الحجر غمرهم السرور حين علموا بفتوى **الشيخ عبد الله بن سليمان بن بليهد** رحمه الله أن موقع قريتهم خارج الحجر الذي يريد الآن أخونا أن يجعله (مدائن) صالح النبي الكريم نعم (مدائن) هذه الكلمة التي أشرت فيما كتبت أن أول من رأيته أطلقها على هذا الموضع أحد إخوتنا من المسلمين الأعاجم ، البعيدين عن معرفة هذه البلاد . . **وعلى كل حال فالعواطف لا دخل لها في الأبحاث العلمية .**

وإذا كان في تناول العامة وأشباههم بعض المسائل التي لا يعرفونها بالنقاش إذا كان في ذلك ما يكون مبعثاً للارتياح فهو انتشار الوعي بدرجة جعلت ما ينشر في صحفنا مقروء ومتناولا بالبحث أياً كان الباعث لهذا .

حقاً إنّ هذا من الأمور السارة بل من الأمور التي يجب أن تُنَمَّى ، ولكن بحذر ما .

★ حمد الجاسر ★

ضرار بن الأزور
تعقيب على تعليق

سرني كثيراً تعليق الأستاذ الباحث المحقق **عبد العزيز أحمد الرفاعي** المنشور بمجلة « **الفيصل** » ، العدد الثاني عشر ، الصادر في جمادى الثانية ١٣٩٨ هـ ، على مقال سابق نشرته لي بمجلة « **العربي** » في عددها ٢١٩ ، الصادر في صفر ١٣٩٧ هـ (فبراير ١٩٧٧ م) .

والأستاذ عبد العزيز الرفاعي يمد يده للتعاون في البحث عن سيرة الصحابي البطل الشاعر **ضرار بن الأزور الأسدي** ، لا أقول إثراء لتراثنا بهذا الفحص والتحقيق ، فإن تراثنا ثري غني موسر بما فيه الكفاية وزيادة ، ولكن لتقديمه إلى أبناء جيلنا الظامئ لأمجاد الأسلاف في ثوب قشيب وعلم صحيح ، في عصر ذهب فيه أبناؤنا مذاهب شتى بين الجد والهزل ، ومنهم من اتبع السبل فتفرقت بهم عن سبيل الله وصراطه المستقيم ، وراحوا يقتدون بهذا الراقص أو ذاك الممثل أو مذهب من المذاهب التي ما أنزل الله بها من سلطان . إلى هؤلاء نقول : القدوة هنا والأسوة ههنا ، والمثل العليا معينها لا ينضب في كتاب الله تعالى وعند **رسول الله صلى الله عليه وسلم** وأصحابه النجوم الأطهار الأبرار .

والأستاذ عبد العزيز في ذلك له الفضل ، ويستحق الشكر والأجر ، في فتح صفحة هذا « التعاون » وفي الحديث « **من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة** » .

ولقد اتجهت أولا إلى أن أجعل من هذا التعقيب رسالة خاصة أصدرها إلى الأستاذ مباشرة ، لولا أن الموضوع قد خرج عن النطاق الثنائي ليشمل القاعدة العريضة المثقفة من قراء العربي وقراء الفيصل ، وهو أمر يشكر على نجاحه فيه ، سواء كان ذلك بقصد أو بغير قصد .

سن ضرار بن الأزور وأبناؤه

وقف الأستاذ المحقق عند وصفنا لصاحب الترجمة الصحابي الجليل الفارس الشاعر ضرار بن الأزور ، بأنه شاب ، وذكر ان ابناً لضرار كان معمراً جاوز المائة هو **أرطاة بن سهية** (أمه) مثل بين يدي **الخليفة عبد الملك بن مروان** ، وخلص من ذلك إلى أنه قد ناهز الخمسين **عام الوفادة على النبي صلى الله عليه وسلم** ، وأن سن أبيه ضرار ، تبعاً لذلك ، يجب أن يكون حوالي السبعين (إن لم يكن أكثر) في السنة التاسعة من الهجرة .

ونعترف ابتداء أننا لم نقف على ذكر أرطاة بن سهية ونسبته إلى ضرار قبل أن يبصرنا الأستاذ عبد العزيز الرفاعي بذلك ، وأننا لم نصف ضرار بالشباب نقلاً عن مصدر ، ولكننا ذكرنا شبيبة ضرار من ضرورة مقتضى الحال ، فإن البطولات والمبارزات ومواقف الفروسية والطعن والطعان الواردة عن بطلنا حتى عصر الفتوح التي ساهم فيها لا نحسبها تأتي لرجل بلغ الخامسة والسبعين أو جازها .

إن صفحات تاريخ تلك الحقبة تذكر بطلاً آخر هو **عدي بن حاتم الطائي** ،

كان مسناً ، وقد جاءت أخباره متناسبة مع سنه فكان بطلاً قيادياً يحشد قبيله ويقودهم في الميدان ، ولكن لم يؤثر عنه مبارزات مع فرسان الأعداء مثلاً .

وفي « **الأغاني** » أن أرطاة بن سهية من شعراء دولة بني أمية « لم يسبقها ولم يتأخر عنها » . بعبارة أخرى هو لم يكن شاعراً قبل عام ٤١ هـ ، وبالتالي فإنه وفقاً لما ذهب إليه الأستاذ ، يجب أن يكون أرطاة قد عاش ثمانين عاماً أو يزيد ، قبل أن يقول الشعر . . ثم قاله بعد ذلك ! ولقد كانت ولاية عبد الملك بن مروان من عام ٦٥ حتى ٨٦ هـ ، وفي الأغاني أن أرطاة دخل عليه وقد أسن ولكنه لم يذكر أنه جاوز المائة ولم نقف على مصدر الأستاذ في ذلك ، وفي اللغة أسَنَّ الرجل شاخ ، والشيخ من استبانت فيه السن وظهر عليه الشيب . ولا ندري في أي سني حكم عبد الملك كان ذلك . ولكن هذه الرواية تحتمل أن يكون أرطاة قد ولد عام الهجرة أو قبله ويكون عام الوفادة قد بلغ العاشرة أو نحوها وتكون حكايته مع عبد الملك بن مروان في حوالي الخامسة بعد الثمانين من عمره ويكون ضرار في نحو الثلاثين عام الوفادة ويكون في **فتوح الشام** قد بلغ حوالي الخامسة والثلاثين .

ويبدو أن نسبة أرطاة إلى ضرار لم تكن مقطوعاً بها ، يقول أرطاة لبعض أولاد زفر :

فإذا خصتم قلتم يا عمنا وإذا بطنتم قلتم ابن الأزور

وفي « الأغاني » أن عبد الملك بن مروان قد حكم أن **شبيب بن البرصاء** كان أكرم أباً من أرطاة ، وهو لا شك كان يعني الأب **زفر بن عبد الله** ولم يكن يعني ضرار بن الأزور ، وإذا نظرنا في نسب شبيب فهو **ابن جمرة (أو جبرة) بن عوف بن أبي حارثة بن مرة بن نشبة بن غيظ بن مرة بن سعد بن ذبيان ، والبرصاء أمه** ، فأي أولئك كان أكرم من صحابي رسول الله ضرار بن الأزور . فإذا كانت نسبة أرطاة إلى ضرار قد ثبتت ثبوتاً صحيحاً عند عبد الملك بن مروان لكان له رأي آخر .

كتاب فتوح الشام

ايضاحاً لما جاء بمقالنا في « العربي » وتعليق الأستاذ عبد العزيز الرفاعي في « الفيصل » نذكر أن جميع المصادر التي رجعنا إليها لم نجد بها ذكراً **لخولة بنت الأزور** ، ومنها كتاب « **تاريخ فتوح الشام** » **للأزدي** (**محمد بن عبد الله**) ، أما الكتاب الأوحد الذي ذكرها فهو كتاب « **فتوح الشام** » **المنسوب خطأ إلى الواقدي** (**محمد بن عمر**) ، الفرق بين عنوانيهما كلمة « تاريخ » ، فهذا غير ذاك . وقد نشرت لنا مجلة العربي الغراء مشكورة مقالا عن الواقدي وكتاب فتوح الشام ضمناه رأينا في الواقدي وفي ذلك الكتاب وأنه لا تصح نسبته إلى الواقدي وذلك في عددها رقم ٢٢٩ الصادر في ذي الحجة ١٣٩٧ هـ - ديسمبر (كانون الأول) ١٩٧٧ م .

بنو الرثية

وفد ضرار على **النبي** صلى الله **عليه وسلم** مع وفد **بني أسد** في قوم من **بني الزنية** وهي **سلمى بنت مالك بن غنم** ، استندنا في ذلك إلى ما جاء بترجمة **حضرمي بن عامر في (« أسد الغابة »)** . وقد ذكرها الأستاذ « **بنو الرثية** » وواضح أن « الزنية » أو « الرثية » إحدى الكلمتين تصحيف للأخرى وقد ذكرها **ابن حزم** « بنو الزِّنْية » في **جمهرة أنساب العرب** .

شعر ضرار

روينا قول ضرار :

أرقت ببانقيا ومن يلق مثل ما لقيت ببانقيا من الجرح يأرق

عن كتاب « **فتوح البلدان** » للبلاذري . وقد أخذها الأستاذ الرفاعي « **من الحرب** » بدلا من « **من الجرح** » عن **معجم البلدان لياقوت** .

استشهاد ضرار

اختلفت الروايات في مقتل ضرار ، **فرواية أنه استشهد باليرموك** على ما اشار الأستاذ ، **ورواية يؤكدها الواقدي أنه قتل يوم عقرباء في حروب الردة ، وقد قطعت ساقاه ، فصار يحبو وهو يقاتل وتطؤه الخيل حتى غلبه الموت** ، أو أنه بقي جريحاً بعقرباء ثم مات قبل أن يرتحل خالد بن الوليد منها بيوم ، وقد ذكر **البخاري** عن رواية الواقدي أنها وهم ، وهي رواية تنفي جميع تاريخه اللاحق ليوم عقرباء ، وفي رواية أنه استشهد **بأجنادين** وقيل مات **بدمشق** وقيل نزل **حران** وتوفي بها ، وقيل توفي **بالكوفة** .

قضايا أخرى

وأخيراً عن تساؤلات الأستاذ نفيد أن تفصيلات حوار وفد بني أسد مع النبي صلى الله عليه وسلم وقصة ضرار مع مهلهل جمعناهما من « **سير أعلام النبلاء** » ومن « **الاستيعاب في معرفة الأصحاب** » ومن « **الإصابة** » في ترجمة ضرار بن الأزور ومهلهل بن زيد الخير وكذا من « **أسد الغابة** » في ترجمة حضرمي بن عامر وضرار .

أما **عبد الرحمن بن الأزور الأسدي** أخو ضرار . . . فقد وردت ترجمة له في « الإصابة » بهذا الاسم والصفة بالقسم الثالث الذي خصصه لمن أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره ، وقال ذكره وثيمة عن ابن اسحق . وجدنا هذا الأخ وفاتنا أن نجد الأخ الآخر زيداً الذي وفق الأستاذ الرفاعي في استخراجه من نفس المصدر .

ولعل ما جاء في « الإصابة » عن زيد بن الأزور أنه شهد **اليمامة** وأبلى فيها حتى قطعت رجلاه وقتل ، لعل هذا أن يفسر لنا ما ذهب إليه الواقدي عن استشهاد ضرار باليمامة ، ويبدو أن الواقدي قد خلط بين الأخوين .

وبعد ، فإني أكرر شكري للأستاذ الجليل عبد العزيز أحمد الرفاعي . ورضي الله عن ضرار بن الأزور الأسدي ، وعن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين .

أحمد عادل كمال
مصر الجديدة — القاهرة

ردود قصيرة

● **الأخ (محمد جمال الدين ضبيط -حلب سورية)،**
● **الأخ (سيف الدين أشقر -اللاذقية- سورية).**

اشارة إلى ملاحظتكما إلى ما جاء في جواب السؤال العاشر من مسابقة العدد (١٧) والمنشور في العدد (٢٤) من أن الرقم التقريبي لضحايا **الحرب العالمية الثانية** كان ٣٦ مليون نسمة. وما جاء في العدد (٢٥) من أن قتلى تلك الحرب كان ١٥ مليون نسمة، ونحن مع شكرنا لكما نلفت انتباهكما إلى أن كلمة **الضحايا** تشمل القتلى والجرحى والمشوهين، لذلك فإن عددهم أكبر من عدد القتلى فقط. تحياتنا.

● **الأخ عبد العزيز سليمان التهامي -القصيم- المملكة العربية السعودية.**

المجلة تتقبل كل ما يصل إليها من آراء قرائها وتعمل على تنفيذ المناسب منها. مقترحاتك ستعرض على لجنة إعداد المسابقة. وصفحات المجلة لا تخلو من الكتابة عن رواد التراث العربي ومن بينهم بعض من ذكرت من الشعراء.

● **الأخ منذر قباني -حلب- سورية.**

نشكرك على اعجابك بالمجلة وحرصك على اقتناء أعدادها، وبالنسبة لبعض اقتراحاتك سوف نعمل على تحقيق الممكن منها. أما البعض الآخر فبإمكانك الاتصال بالجامعات والكليات التي تريدها لتزويدك بما تحتاجه من معلومات عنها ولك تحياتنا.

● **الأخ عبد اللطيف عبد الملك آل الشيخ -الطائف- المملكة العربية السعودية**

نحن أيضاً نشكر لك اهتمامك الكبير بالمجلة وإن كنا قد قدمنا شيئاً فما هو إلا جزء بسيط من الواجب. ونرجو أن تجدوا دواوين الشاعر **محمد إقبال** المترجمة إلى اللغة العربية في المكتبات الكبيرة مع تمنياتنا الطيبة.

● **الأخ بلقاسم برهومي -منجم أم العرائس- تونس.**

شكراً لك على رسالتك المليئة بالمشاعر الطيبة والإعجاب، وإن كنا نبذل مجهوداً فما هو إلا الواجب. قصائدك المرفقة غير مناسبة للنشر. لذلك نعتذر متمنين لك التوفيق.

● **الأخ عبد الله السيد شرف -طنطا- صناديد غربية- مصر.**

شكراً لك على رسالتك ونعتذر عن نشر القصيدة مع تحياتنا.

● **الأخ محمد مرعي مهنا- دمشق- سورية**

مع شكرنا لك على ثقتك فإننا نعتذر عن نشر قصائدك لأن مضمونها غير مناسب ومنهاج المجلة الداعي إلى عدم التدخل في أية خلافات سياسية مهما كانت. كما أنّ المواضيع التي تصل الينا لا تعاد إلى أصحابها سواء نشرت أو لم تنشر. لك تحياتنا.

● **الأخوان (محمد الباقر)، (سكينة مطهر) قرشي- أندونيسيا**

بإمكانكما الحصول على ما تريدانه من معلومات بالكتابة مباشرة إلى الرئاسة العامة لرعاية الشباب- الرياض لمعرفة، الإجابة عن سؤالكما.

● **الأخ محيي الدين اليافي- سورية**

أعداد المجلة لا تخلو من المواضيع التي أشرت إليها إلا أنها لم تكن في أبواب ثابتة، وهذا يعود إلى محاولتنا التجديد دائماً وإلى وجود المواضيع التي تبحث في تلك العلوم والتي يزودنا بها الكتّاب أصحاب الاختصاص. لك تحياتنا.

● **الأخ أنس خليفة الشيخ- جامعة محمد بن عبد الله- فاس- المغرب**

بإمكانك أن تطلب نسخة من الكتاب من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- الرياض، لأنها الجهة التي تولت ترجمة الكتاب إلى العربية.

● **الأخ جلال علي محمد العشري- أشمون- المنوفية- مصر**

إن يكن الحظ لم يحالفك في الفوز بإحدى جوائز مسابقة المجلة كما تقول فإنك لم تحرم من الفائدة العلمية وأنت تبحث في المراجع عن الحل، ولعل التوفيق والحظ يحالفك في المرات القادمة.

● **الأخ عبد الله محمد سعيد الحميدي- برحة القزاز- الطائف- المملكة العربية السعودية**

كتابة القصة فن، وكاتب القصة فنان وأنت جعلت من رسالتك وكتابتك شيئاً واحداً وكتبت على الورقة من الجانبين، ومع كل هذا فالقصة غير مناسبة.

● **الأخ محمد مفرج- شارع الحسن الثاني- طنجة- المغرب**

نشكرك على مشاعرك الرقيقة ونشاركك الدعاء بأن تكون أحد الفائزين بإحدى جوائز المسابقة إن كانت اجابتك صحيحة كما تقول. تحياتنا.

● **الأخ عبد الرحيم طاهر إسماعيل- مدينة نصر الحي- القاهرة- مصر**

نشكرك على تهنئتك، وبإمكانك الحصول على ما طلبت بالكتابة مباشرة لجامعة الملك فيصل بالدمام ولك تحياتنا.

● **الأخ د. بيطري محمد جنادي- محافظة درعا- ناحية نوى- الحي الشرقي- سورية**

نشكر لك إعجابك بالمجلة وبإمكانك الحصول على ما طلبت بالكتابة مباشرة لمدير عام الصحافة بوزارة الإعلام في الرياض مع تحياتنا.

● **الأخوان (محمد صالح السامرائي- بغداد- العراق)، (مصطفى خالد- الإسكندرية- مصر)**

نشكركما ونعتذر عن نشر قصائدكما مع تحياتنا لكما بالتوفيق.

مسابقة مجلة الفيصل

شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١ ـ قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي . . موزعة على عشر جوائز على النحو التالي :

ا ـ الجائزة الأولى ٣٠٠٠ ريال

ب ـ الجائزة الثانية ٢٠٠٠ ريال

جـ ـ الجائزة الثالثة ١٥٠٠ ريال

إلى جانب سبع جوائز مالية اخرى قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي)

٢ ـ المطلوب الاجابة على جميع الأسئلة . . وارفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحا عليها الاسم ثلاثيا أو رباعيا ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

٣ ـ ترسل الاجابات على العنوان التالي :

(الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ مجلة الفيصل ـ ص . ب . (٣) المسابقة) .

مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

٤ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوما من صدور العدد لا يلتفت إليها .

٥ ـ ننصح بمتابعة أعداد المجلة لأن أغلب أسئلة المسابقة سوف يجدها القارىء في ثنايا المواضيع المنشورة فيها .

٦ ـ من حق القارىء أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة اكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .

السؤال الأول :

ما المدينة التي بنيت ، وتهدمت تسع مرات ، وتعرف بذات التسع حيوات ؟

السؤال الثاني :

كـم من الأفراد تضم كل من (الفرقة) و (الطائفة) و (العصابة) ؟

السؤال الثالث :

(اللوغاريتات) جزء من علم الحساب والجبر .. مَنْ وضَعَ هذا العلم ؟ وهل كلمة (لوغاريتم) أصلها عربي ؟

السؤال الرابع :

اذكر اسم الحيوان الذي تحدثت عنه الأمثال قائلة :

(إذا جاع ساءت أخلاقه ، وإذا امتلأ من الطعام ارتأض ـ لا يشرب من ماء ولغ فيه كلب ـ إذا أكل نهش من غير مضغ ـ ريقه قليل جداً ـ يوصف بالشجاعة والجبن ، ومن جبنه أنه يفزع من صوت الديك) .

السؤال الخامس :

عالم عربي ، ولد في مدينة حران ، وإليها ينسب ، بدأ عمله في الصرافة ، تتلمذ على يدي الخوارزمي ، ترجم كتاب (المجسطي) لبطليموس . أروع ما قام به أنه قاس قطر الكرة الأرضية . ألف عدداً من الكتب في العلوم والفلك والرياضة والفلسفة . مات في بغداد .. من هو ؟

السؤال السادس :

مدرسة الديوان .. وجماعة أبولو ، كان لهما تأثيرهما على الشعر العربي .. متى .. وأين نشأتا .. مع ذكر أسماء خمسة من أعضاء كل منهما ؟

السؤال السابع :

عاصمة دولة أوروبية غيرت اسمها ثلاث .. عرفت في القرن الأول الميلادي باسم (سرديكا) ، ثم عرفت فيما بعد باسم (تريادتزا) .. فما اسمها الثالث الذي تعرف به حالياً ؟

السؤال الثامن :

ما سيناميد الكالسيوم ؟

السؤال التاسع :

تاج محل .. من المعالم المشهورة التي يعرفها الناس .. أين يوجد .. وما اسم صاحبته .. وما اسم الملك الذي شيده ؟

السؤال العاشر :

السكر .. هل يسبب :

١ ـ الانفجار . ٢ ـ الاختناق . ٣ ـ انتشار النار .

الإجابة بلا .. أو نعم عن كل فقرة من الفقرات الثلاث .

قسيمة مسابقة مجلة الفيصل

● العدد ٣١ ●

الاســم : ------------------------------------

المهنـة : ------------------------------------

العنـوان : ------------------------------------

نتيجة مسابقة العدد ٢٤

لقد أجاب على **مسابقة العدد ٢٤** عدد كبير من القراء ، وذلك لأن كل الأسئلة تتعلق بالمجلة ، وأبوابها ، ومواضيعها ، وهو ما دأبت عليه المجلة سنوياً لجس قدرة القراء على متابعة أعدادها اطلاعاً ومتابعة .

وكما أشرنا فالأسئلة سهلة جداً يستطيع الإجابة عليها كل قارئ تابع أعداد السنة الثانية ، لهذا قسمنا الجوائز إلى **٢٠ جائزة قيمة كل جائزة خمسمائة ريال** (٥٠٠ ريال سعودي) ، وقد وجدنا عدم ضرورة نشر الإجابة لأنها ستكون تكراراً لما في المجلة .. من أجل هذا سنكتفي بأسماء الفائزين في هذه المسابقة فقط .. وهم :

١ ــ من خميس مشيط في **المملكة العربية السعودية** ، ص . ب ٦١ ، فاز بمبلغ ٥٠٠ ريال سعودي ، ضابط طيار الأخ **سعيد محمد القحطاني** .

٢ ــ من **العراق** ــ محافظة ديالى جلولاء ــ ص . ب (١) ، فاز الأخ **علي محمد صوفي** بمبلغ ٥٠٠ ريال سعودي .

٣ ــ من **سورية** ــ دمشق ، ص . ب ٥٤٥٢ ، فازت **الأخت آميرة سيف الدين الحافظ** ، بواسطة والدها السيد سيف الدين الحافظ جريدة تشرين بمبلغ ٥٠٠ ريال سعودي .

٤ ــ من **لبنان** ــ كلية الآداب ــ قسم اللغة الإنجليزية ــ سنة رابعة ــ الجامعة اللبنانية ــ بيروت ، فاز **الأخ فتحي صالح صالح** بمبلغ ٥٠٠ ريال سعودي .

٥ ــ من **الإمارات العربية المتحدة** ــ العين ــ ص . ب (١٥٣٢٥) ، فاز الأخ **عبد الله عبد الحميد عرواني** بمبلغ ٥٠٠ ريال سعودي .

٦ ــ من **الظهران** ــ السعودية ــ جامعة البترول والمعادن ــ ص . ب (٥٣٤) ، فاز الأخ **محمد عبد الله باعيسى** بمبلغ ٥٠٠ ريال سعودي .

٧ ــ من **سورية** حلب ــ حي السبيل ــ بناية عمر فتال ، فاز **الأخ عبد القادر الحفار** بمبلغ ٥٠٠ ريال سعودي .

٨ ــ من **المغرب** ــ جامعة محمد بن عبد الله ــ كلية الحقوق ــ السنة الأولى ــ فاس ظهر المهراز ــ الحي الجامعي الجديد للبنات ــ الغرفة رقم ٣٤ ، فازت الأخت **هند محمد** بمبلغ ٥٠٠ ريال سعودي .

٩ ــ من **الكويت** ــ ص . ب (٢٦٩٣) مخزن الردعان ، فاز الأخ **هشام ردعان** بمبلغ ٥٠٠ ريال سعودي .

١٠ ــ من **السودان** ــ حلفا الجديدة ــ ص . ب (١٤٤) ، فازت الأخت **صالحة عباس محمد إدريس** بمبلغ ٥٠٠ ريال سعودي .

١١ ــ من **تونس** ــ حي الخضراء الثاني ، نهج ٨٢٦١ عدد ١٥ ، فاز الطالب بكلية الطب الأخ **محمد حسن مسلمي** بمبلغ ٥٠٠ ريال سعودي .

١٢ ــ من **الأردن** ــ عمان ــ الوحدات ــ مخيطة صابر الحوامدة ، فاز الأخ **عبد الفتاح أحمد إبراهيم** بمبلغ ٥٠٠ ريال سعودي .

١٣ ــ من **البحرين** ــ بواسطة محمد الدوسري ــ كلية البحرين الجامعية ــ ص . ب (١٠٨٢) ، فازت الأخت **كوكب شاهين الدوسري** بمبلغ ٥٠٠ ريال سعودي .

١٤ ــ من **سورية** ــ اللاذقية ــ جامعة تشرين ــ كلية الآداب ــ قسم اللغة العربية ، فاز الأخ **محمد رجب بن مصطفى** بمبلغ ٥٠٠ ريال سعودي .

١٥ ــ من **اليمن الشمالي** ــ صنعاء ــ وزارة الإعلام والثقافة شارع ٢٦ سبتمبر ، فاز الأخ **عبد الله عبد الله علي جحزر** بمبلغ ٥٠٠ ريال سعودي .

١٦ ــ من **مصر** ــ القاهرة ــ ص . ب (٢٠٧٧) ، فازت الأخت **تماضر تهامي محمود** بمبلغ ٥٠٠ ريال سعودي .

١٧ ــ من **مكة المكرمة** ــ جامعة الملك عبد العزيز ــ كلية التربية ، فاز الأخ **زائد عجير زيد الحارثي** بمبلغ ٥٠٠ ريال سعودي .

١٨ ــ من **المغرب** ــ الرباط ــ زنقة موناسيتر ، عمارة E رقم ٨ ، فازت الأخت **نعيمة غنام** بمبلغ ٥٠٠ ريال سعودي .

١٩ ــ من **النرويج** ــ فاز الأخ **ابن السامرو محمد** بمبلغ ٥٠٠ ريال سعودي ، وعنوانه :

Mr. IBN ELASSAMRO MOHAMED
VOGTS GATE 13 (BAK GARDEN)
OLSO. 4. NORWAY.

٢٠ ــ من **بريطانيا** فاز الأخ **فيصل بن فهد بن محمد بن تركي** بمبلغ ٥٠٠ ريال سعودي ، وعنوانه :

Mr. FAISAL BIN FAHAD BIN MOHAMMED BIN TORKI 55, PARK-LANE, FLA 163, LONDON. W. 1. ENGLAND.

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية

المراسلات

الرياض - المملكة العربية السعودية
مجلة الفيصل
ص . ب (٣)
هاتف ٤٦٤١٩٦٨

أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

المملكة العربية السعودية	٦ ريالات
الكويت	٣٠٠ فلس
الامارات العربية المتحدة	٥ دراهم
قطر	٥ ريالات
البحرين	٤٠٠ فلس
سلطنة عمان	٣٠٠ بسة
الأردن	٢٥٠ فلساً
ج . ع . اليمنية	٣ ريالات
ج . اليمن الديمقراطية الشعبية	٤٠٠ فلس
مصر	٣٠٠ مليم
السودان	٣٠٠ مليم
المغرب	٤ دراهم
تونس	٤٠٠ مليم
الجزائر	٤ دنانير
العراق	٣٠٠ فلس
سوريا	٣٠٠ قرش
لبنان	٣٠٠ قرش
ليبيا	٤٠٠ درهم

ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE
PUBLISHED BY
AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

All Correspondence To:
Riyadh-Saudi Arabia
Al-Faisal Magazine
P.O.Box 3
Tel.: 4641968

EUROPE – AMERICA – ASIA

Belgium	BF	100
Denmark	DKR	15
Finland	FMK	15
France	FF	10
F. R. G.	DM	7
Greece	DR	100
Italy	L	2000
Netherlands	DFL	7.5
Norway	NKR	15
Pakistan	RS	10
Portugal	ESQ	80
Spain	PTS	100
Sweden	SKR	15
Switzerland	SF	7
United Kingdom	£	1.25
U. S. A.	$	2.50

● **أسعار الاشتراكات السنوية :**
للأفراد ١٠٠ ريال سعودي
لغير الأفراد ٢٠٠ ريال سعودي
ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل

ANNUAL SUBSCRIPTION RATES

Personal Subscription : S.R. 100
Others : S.R. 200
PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE

مطابع شركة الطباعة العربية السعودية العمارية ، الرياض